

شعر القبائل اليمانية الشاميّة في العصر الأموي

تأليف:
مفلح النمر الفايز

Amman 2002 عمان عاصمة الثقافة العربية The Arab Cultural Capital

طبع بدعم من وزارة الثقافة عمان - الأردن

٢٠٠٢


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شعر القبائل اليمانية الشامية

في العصـــر الأموي

اسم الكتاب : شعر القبائل اليمانية الشامية في العصر الأموي .
اسم المؤلف : مفلح عطا الله صياح الفايز .
الطبعة الأولى : ٢٠٠١ م

دار الينابيع للنشر والتوزيع .
عمان ، ص . ب ٩٢٦٠٥٨ تلفاكس ٤٦٤٧٢٩٧ عمان

رقم الاجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات : ٢٣٩٥ / ١٢ / ٢٠٠١ .
رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : ٢٥٨٩ / ١٢ / ٢٠٠١ .
تصميم الغلاف : يوسف الصرايرة .
الصف والتنفيذ : أريج عياش * علا الصادق .

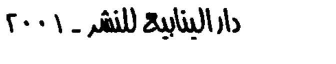
شعر القبائل اليمانية الشامية في العصر الأموي

تأليف

مفلح الفايز

الطبعة الأولى ٢٠٠١م - ١٤٢٢هـ .





عمان عاصمة للثقافة العربية - ٢٠٠٢





إلى والدي العزيز

إلى أهلي وعشيرتي

إلى زوجتي وأطفالي الأحباء

{ صايل ، وفارس ، وعنود ، ومها }

مقـــدمـــة

ما تزال حياة الشعر في بلاد الشام في العصر الأُموي غامضة لم تُدْرس درْساً وافياً ، بسبب ما شاع بين الباحثين من أنَّ الشعر في تلك البيئة قليل ضعيف ، وأنَّ الشعر الذي وُجد أو سُمع فيها ، إنَّما هو شعر يُحْمل إليها من بيئات أُخرى ؛ لأنَّ معظم سكانها كانوا من القبائل اليمانيّة ، وهي عنْدَهُم لا تُضارع القبائل المُضريَّة في الفصاحة والشاعريَّة منذ العصر الجاهلي ، لضعف استعِدادها لقول الشعر وحِفْظِه وتذوُّقه ، ولاختلاطها بالسُّرْيان والروم وتأثرها بلغتهم وثقافتهم .

وكان المُستشرق الإيطاليّ كارلو نالينو أوَّل من أشاع هذا الرأي في كتابه : « تاريخ الآداب العربيّة من الجاهلية حتّى عصر بني أُميَّة » ثُمَّ أذاعة الدكتور طه حسين في حديثه عن بيئات الشّعر الإِسلاميّ ، بعد أنْ وسَّعه وفصَّله ، ولم يقْصُرْه على بلاد الشام وحدها ، بل سحبه على غيرها من البيئات التي غلبت عليها القبائل اليمانية . وقد ظلّ بعضُ الباحثين يْقبلون هذا التفسير العرقّي لما يظَنُّ من ضآلة الشعر بالشام في العصر الأموي .

ويسْعى هذا البحث إلى دراسة شعر القبائل اليمانيّة الشامّية في العصر الأُمويّ ، لجلاء حقيقته ، وكَشف الغموض الذي يكْتنف صورته ، ولتبيين أغراضه وتشْخيص أعلامه، وإِبراز الجوانب الفنيّة فيه ، لما في ذلك من خِدمة للتراث ، وكشفٍ لجوانب من حياة المجتمع الشامّي السيّاسية والاجتماعّية ، فقد واكب شعر القبائل اليمانيّة الأُحداث السياسيّة والفتن القبليّة التي حدثت بالشام في ذلك العصر ، وعبّر عن العصبية القبلية التي استطارت بين القبائل اليمانيّة والقيسيَّة الشامية .

وواجهت البحْثَ صعوبات عدَّة منها : ضياع الكتب و الدواوين التي جَمَعَ العلماء فيها شعر القبائل اليمانية في الجاهلية والإسلام ، وضياع كثير من المصادر المُهمّة التي تضمّ شعر القبائل اليمانية الشامية في العصر الأُمويّ ، وقلّة ما وصل إِلينا من شعر هذه القبائل ، وتفرُّقه في كثير من المصادر ، واختلاف رواياته .

ومنها : أنَّ مُعظم شعراء هذه القبائل هم من الشعراء المُقلين المُتوسطين ، وليسوا من أصحاب الدواوين المشهورين ، وأكثر هؤلاء المُتوسطين مغمورون . ويستثنى منهم النُّعْمان ابن بشير الأنصاري ، وعديّ بن الرقاع العاملي . فأما النّعْمان بن بشير ، فقد جَمَع يحيى الجبوري شعره ، واقتصرت من شعره على ما نظمه بعد انتقاله من المدينة إلى الشام . وأما عديّ بن الرقاع فهو أشهر شعراء القبائل اليمانيّة الشامية في العصر الأمويّ ، وقد سلم ديوانه من الضّياغ ، ونَشَره حديثاً الدكتور نوري حمّودي القيسيّ والدكتور حاتم صالح الضّامن ببغداد . وهو يحتوي تسْعاً وعشرين قصيدة ومقطوعة ، ومجموع شعر عديّ فيه هو ألف وثلاثة وتسعون بيتاً .

ومن الصّعوبات التي واجهت البحث أيضاً : أن المصادر التاريخيَّة والأدبية و كتب التّراجم لا تعين كثيراً على تحديد الزّمان والمكان اللّذين عاش فيهما كثير من شعراء اليمانيّة ، فإن في كتاب « المؤتلف والمُختلف » للآمديّ ، و « مُعجم الشعراء » للمرزباني عشرات الشعراء اليمانيين الذين لا نعرف إلا أسماءهم وقليلاً من أشعارهم ..

والبحْثُ موزّع بين أربعة فصول ، أفردت الفصل الأول منها للحديث عن القبائل اليمانيّة الشامية قبل الإسلام وبعده . وقَسْمتُه ثلاثة أقسام : تتبّعتُ في القسم الأول منها القبائل اليمانيّة التي نزلت الشام قبل الإسلام . وتتبعت في القسم الثاني القبائل اليمانيّة التي شاركت في فتح بلاد الشّام واستوطنتها بعد ذلك . واستخلصتُ في القسم الثّالث صورة لجميع القبائل اليمانيّة التي استوطنت بلاد الشّام في العصر الأُموي .

ودرسْت في الفصل الثّاني لغة القبائل اليمانية الشامية وأثرها في قول الشعر . وقسمتُه قسمين : أفردتُ القسم الأول منهما للغة القبائل اليمانيّة الشامية ، فبينْتُ أنَّ هذه القبائل قد اتخذت لهجة قريش التي سادت القبائل العربية في الجاهليّة لغة لها . وأنَّه لم يكن لها اختلاط كبير بالروم والسريان ؛ لأن أكثرها كانت قبائل بدوية تتنقَّل من مكان إلى مكان في المنطقة الممتدة من جنوبي دمشق إلى حدود الحجاز . وأنّ بعضها قد وصفت بالفصاحة ، إلا أن علماء اللغة لم يهتموا بشعرها ، ولم يحتجّوا بلُغتها ؛ لأنها كانت عُرضة للاختلاط بالأعاجم .

وتحدَّثتُ في القسم الثاني عن أثر هذه القبائل في قول الشّعر ، فبيَّنتُ اهتمام القبائل اليمانيّة بالشعر واحتفالها بالشعراء ، وتحدَّثتُ عن أهم الأسر اليمانية التي عرفت بقول الشعر ، وأثبتُّ أسماء الدّواوين والكتب التي جمع العلماء فيها أشعار القبائل اليمانيّة ، وتتبَّعتُ مشاركتها في حركة الشعر منذ العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأمويّ ، وأوضحتُ أنّ الشعر فيها متّصل عريق كعراقته في القبائل المُضريَّة ، وأن ظاهرة قلَّة الشعر في القبائل اليمانيّة عامّة وفي القبائل اليمانيّة الشامية في العصر الأمويّ خاصّة لا ترجع إلى عوامل النَّسب والبيئة والاستقرار ، وإنما ترجع إلى ضياع معظم شعر هذه القبائل في الجاهلية والإسلام لأسباب متعددة.

وتحدَّثتُ في الفصل الثالث عن موضوعات شعر القبائل اليمانيّة الشامية في العصر الأمويّ وهي : المديح ، والغزل ، والفَخْر ، والهجاء ، والرّثاء ، والوصف ، والعتاب ، والحنين ، والحكم والآداب والمواعظ ، وطلب الأمان ، والتَّهنئة بالزّواج . ورتَّبتُ أشعار اليمانيّة في كل موضوع من هذه الموضوعات ترتيباً زمنياً ، وأشرتُ إلى ما وقع في بعضها من اختلاف في الرواية واضطراب في النِّسبة ، وعرفت بكثير من شعراء اليمانية الذين أوْرَدْت لهم شعراً ، بالقدْر الذي أعانتني عليه المصادر ، ودللت على مصادر تراجمهم وأخبارهم .

وجعلتُ الفصل الرابع دراسة فنيَّة لشعر هذه القبائل ، فتحدثتُ عن بنائه الفني ، وعن لغته ومعانيه وصوره .

وختمت البحث بخاتمة ضَّمنتُّها نتائجه ، وبقائمة لمصادره ومراجعه .

وقد كثرت مصادر البحث وتنوعَّت ، فمنها : الدّواوين والمجموعات الشعّرية . ومنها : كتب التّاريخ والفتوح ، وكتب التّراجم والبُلْدان ، وكتب الأنساب . ومنها أيضاً : الكتب الأدبيّة واللغوية والنَّحويّة . وعُدْتُ إلى بعض المصادر المخطوطة مثل : أنساب الأشراف

للبلاذريّ ، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر. وانتَفعْتُ بعددٍ من الدّراسات الأدبية والتاريخيّة الحديثة .

وديوان الحَماسة ونقائض جرير والأخطل لأبي تّمام ، وأنساب الأشراف ، وتاريخ الرّسل والملوك ، والأغاني ، وتاريخ مدينة دمشق هي أهم هذه المصادر وأغناها بأشعارالقبائل اليمانيّة الشاميّة وأخبارها في العصر الأموي .

وأمّا الأُستاذ الدكتور حسين عطوان الذي تفضل بمراجعة هذا البحث ، فقد غمرني بلطفه ووافر حِلِمه ، وأولاني عنايته ورعايته ، ومكنني من الاطّلاع على بعض المصادر المطبوعة والمخطوطة التي لم تتيسّر لي ، وقوّم البحث بملحوظاته المفيدة ، وصوّبه بآرائه السديدة ، حتّى خرج على هذه الصّورة ، فله مني أجزل الشكر وأعظم التّقدير .

والله وليّ التوفيق .

الفصل الأوّل

القبائل اليمانيّة الشامية قبل الإسلام وبعده .

أولاً : قبل الإســــلام .

ثانياً : اليمانية الفاتحون للشام .

ثالثاً : القبائل اليمانية الشامية في العصر الأموي .



أوّلاً : قبل الإسلام

سكَن العربُ الشامَ [١] منْذُ قُرون عديدة قبل الميلاد ، إذْ يُقال : إنّ عاداً ملكت الشامَ قبل الميلاد بعشرة آلاف سنة [٢] .

« وكان الثَّموديّون بالشام في القرن السابع قبل الميلاد ، ولم يزالوا بها إلى القرن الثالث بعد الميلاد [٣] » وكان مُلْكُهم بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحَبَشيّ [٤] ، ومن منازلهم : العُلا والحِجْر (مدائن صالح) في شماليّ الحجاز [٥] .

ثم جاءَ جيلٌ من العمالقة [٦] ، وهم عرب صُرَحاء ، كانت منازلُهُم تمتُّد من حدود مِصر فطورْ سيناء إلى فلسطين [٧] ، وقد أسَّسوا لهمُ مُلكاً بالشام منذ أربعة آلاف وخمْسمائة سنة قبل الميلاد [٨] .

وجاء بعد العمالقة الأنباطُ الذين يُرَّجحُ أنَّ وجودهم في الشام يرجعُ إلى حوالي سنة سبع وثمانين وخمْسمائة قبل الميلاد . واستطاعوا منْذ عام تسعة وستّين ومائة قبل الميلاد

(١) قَسَم العرب الشام خمسةَ أجْناد هي : جُند فلسطين ، وجند الأردن ، وجُند دمشق ، وجُند حمص وجُند قنسرين . انظر : البلاذُري : فتوح البلدان ص : ١٣٧ – ١٣٨ .

(٢) د . جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١ : ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ومحمد أحمد باشميل: العرب في الشام قبل السلام ، ص : ٢٠ – ٢١ .

(٣) د . حسين عطوان : الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأمويّ ص : ٧٦ .

(٤) المسْعوديّ : مروج الذهَّب ومعادن الجَوهر ٢ : ١٥٦ .

(٥) د . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهليّ ، ص : ٣٠ .

(٦) العمالقةُ من نسل لاوذ بن سام بن نوح . وهم عاد وثمود وطَسم وجَديس وعبيل وأميم وجُرهم وحَضرمْوت من العرب البائدة ، التي باد ذِكر اسمها فلم تعد قبائل معروفة ، لأنها ذابت في غيرها حتى تلاشت . المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١ : ٢٩٥ ، وجرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص : ٤٩ ، والعرب في الشام قبل الإسلام ، ص : ١٠٣ .

(٧) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١ : ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

(٨) العرب في الشام قبل الإسلام ، ص : ٢٢ .

أنْ يُقيموا مملكة (١) ، ازدهرت بالتدريج حتى تحوَّلت إلى « إِمبراطورية مترامية الأطراف شملت الشام كلَّها وسيناء وجانباً من دلتا النيل غرباً ، وما بين النَّهرين في العراق شرقاً ، وحتى وادي القُرى وتبوك وديار ثمود في الجزيرة العربية جنوباً (٢) » ، إلى أنْ قضى عليها الرومٌ في عهد إِمبراطورهم تراجان ، في مطلع القرن الثاني للميلاد (٣) .

وتحوَّل الصَّفويون إلى الشام في القرن الأوَّ ل قبل الميلاد (٤) ، وهم قبائل عربيّةٌ شماليّة هاجرت من الجزيرة العربية وسكنت منْطقة الصَّفا بحوران فنُسبت إليها (٥) .

وأمّا تَدْمُر فإنَّ سكّانها عرب من بقايا العَمَالقة وعاد وقضاعة ، وقد ظلَّت مملكة تدْمر العرَّبية قائمة إلى أن قضى عليها الروم في النَّصف الثاني من القرن الثالث الميلادي (٦) .

وسكنت بعضُ القبائل اليمانية بلاد الشام قبل الإسلام ، ويرجع النّسابون هذه القبائل إلى جِذمين كبيرين هما :

حِميرُ بن سبأ بنِ يَشْجُب بن يَعرب بن قَحطان ، وكهلان بن سبأ بن يَشْجب بن يَعْرب بن قَحطان (٧) .

---

(١) العرب في الشام قبل الإسلام ، ص ٣٢ ، ٣٤ ، ويقول د . جواد علي : إنَّ الأنباط عربٌ ، وهم أقرب إلى قريش وإلى القبائل الحجازية التي أدركت الإسلام من عرب الجنوب . انظر : المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ : ١٤ .

(٢) نفسه ص : ٢٤ . وانظر : العرب قبل الإسلام ، ص : ٨٩ ، والجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ،ص : ٧٧ .

(٣) نفسه ص : ٣٥ . وانظر : العرب قبل الإسلام ، ص: ٨٦ .

(٤) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٣ : ١٤٤ .

(٥) نفسه ٣ : ١٥٣ .

(٦) الطبريّ : تاريخ الرسل والملوك ١ : ٦١٨ ، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٣ : ٨٠ ، والعرب في الشام قبل الإسلام ، ص ١٠٦ ، والجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ، ص :٧٨ .

(٧) ابن حَزم : جمهرة أنساب العرب ، ص : ٣٢٩ .

أ - القبائل الحِمْيريَّة (١)

استعمل الروم الذين كانت لهم السَّيطرة على بلاد الشام قبل الإسلام بعضَ هذه القبائل على عرب الشام ، واتخذوها سداً يقيهم هجمات الفُرس الطامعين في أملاك دولتهم .

ومن هذه القبائل : قبيلة قُضاعة (٢) .

قال ابن حَزم : هو قُضاعة بن مالك بن حمير . وقيل : قُضاعة بن مالك بنِ عمروِ بن مُرَّة ابن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ (٣) .

(١) يقال : إن اسم حِمير : العرنْجَجُ بن سبأ . انظر : ابن دريد : الاشتقاق ٢ : ٥٢٣ ، وجمهرة أنساب العرب ، ص ، ٣٢٩ . وأما سبأ : فاسمه عامر أو عبد شمس ، وإنما سُمِّي سبأ ؛ لأنه أول من سبى في العرب . انظر : ابن هشام : السيرة النبوي ١: ١١ ، وجمهرة أنساب العرب ، ص : ٣٢٩ .

(٢) اسمه عمرو ، وقُضاعة لقبه ؛ لأنه انقضع عن قومه ، أيْ : بَعد عنهم . الزُّبَيْر بن بكار : الأخبار الموفقيات . ص : ٣١٧ ، والبلاذريّ : أنساب الأشراف ١ : ١٥ . وانظر : الاشتقاق ٢ : ٥٣٦ . وابن منظور : لسان العرب : مادة : قَضَع ، والنُّويريّ : نهاية الإرب في فنون الأدب ٢ : ٢٨٣ .

(٣) جمهرة أنساب العرب ، ص: ٤٤٠ ثم ذكر ابنِ حَزم قول من ينْسبها إلى معدّ بن عدنان . وهذا الاختلاف في نسب قضاعة ذكرته معظم المصادر ، انظر مثلاً : السيرة النبوية ١ : ١١ ، والمُصعب الزّبيري : نسب قريش ، ص : ٥٠ وابن قتيبة : المعارف ، ص : ٦٣ ، وأنساب الأشراف١ : ١٥ ، ١٨ ، وتاريخ اليعقوبي١ : ٢٠٢ ، ٢٢٣ ، وتاريخ الرسل والملوك ٢ : ٢٧٠ ، وابن عبد البر : الإنباه على قبائل الرواة ، ص : ٣١ ، ٣٤ وابن ماكولا : الإكمال ٧ : ١٤٦ والحازميّ : عُجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ص : ١٠٥ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢ : ٣٢ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٢ : ٢٨٣ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٠٦ والقلقشندي : قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ص :٤١ ، والقلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١: ٣٦٧ والأكثر والأصح في نسب قضاعة أنّها من قبائل حميَر بن سبأ . انظر الإكمال ٧ : ١٤٦ ، وعُجالة المبتدي ص : ١٠٥ وابن خلكان : وفيات الأعيان ٤ : ٢١٣ ، ود . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، ص : ٥٥ والعرب في الشام قبل الإسلام ص : ١٥١ . ويرى بعض الباحثين أن هذا الاختلاف في نسب قضاعة يعود إلى اختلاطها بقبائل معد بن عدنان ، وإلى ظروف سياسية حدثت في العصر الأُموي خاصة ، ولا سيما في أيام معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد اللذين بذلا أموالاً جسيمة لبعض رؤساء قضاعة ، لحملهم على الانتفاء من اليمن والانتساب إلى معدّ بن عدنان ، لأن قضاعة في ذلك العهد كانت قوة كبيرة في بلاد الشام ، فأراد بنو أمية التكثر بها . وقد وافق بعض رؤسائها على الانتفاء من اليمن ، ورفضت أكثريتهم ذلك . ويعود الاختلاف في نسبها أيضاً إلى الصراع العنيف بين قبيلة كلب اليمانية ، وقبيلة قيس المضرية ، أي النزاع بين عدنان واليمن نزاعاً سياسياً عنيفاً ، فحاول كل من الطرفين أن يضم إلى شجرة نسبه أكثر ما يمكن ضمه من القبائل . انظر : الإنباه على قبائل الرواة ص : ٣٢ ، ٣٣ ، وبلاشير : تاريخ الأدب العربي ، ص : ٢٧ ، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام١ : ٣٩٣ ،٤ : ٤١٩ ، ود . إحسان النص : العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ص : ٢٨٣ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

وهي أوّلُ من نزل الشامَ من عرب اليمن ، إذْ هاجر القضاعيون من ديارهم بتهامة وما يليها إلى بلاد الشام ، فوجدوا بلاداً واسعة خالية ، قد خرب أكثرها وغارت مياهُها ؛ بسبب إخراب الفُرس لها ، وانضافوا إلى ملوك الروم ، فملكوهم على عرب الشام بعد أن تنصرّ أكثرهم . (١)

ولمّا استولى أردشير بنُ بابك على العراق ، ولَحقَ من كان به من قُضاعة بالشام ؛ لأنّهم كرهوا المقام في مملكته . (٢)

ولا يُعْرفُ متى تمت هجرة القضاعيين إلى الشام على وجه التّحديد ، ويرى جُرجي زيدان أنها حدثت حوالي تاريخ الميلاد أو قبله قليلاً (٣) ، ولكنّهم لم يستطيعوا أنْ يؤسسوا ملكاً لهم إلا بعد سقوط مملكة الأنباط في مطلع القرن الثاني للميلاد . (٤)

وكانت قبيلةُ قضاعة مواليةً للرّوم ، فوقفت من دعوة الرسول ـ عليه السلام ـ موقفاً عدائياً ، وكانت بطون منها تتجمّع بدومة الجندل (٥) ووادي القُرى (٦) وذات السّلاسل (٧) من مشارف الشام ، للإغارة على الحجاز ، فسار إليها الرسول الكريم ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ في ألفٍ من أصحابه ، سنة خَمس من الهجرة ، فلّما انتهى إلى

---

(١) أنساب الأشراف ١ : ١٩ ، وتاريخ اليعقوبّي ١ : ٢٠٦ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٣١ ، والبكريّ : معجم ما استعجم ٢٥، ٥٢ والعرب في الشام قبل الإسلام ، ص : ١٥٢ ، ١٨٨ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٢ : ٤٢ ، ٢٥٥ ، والكامل في التاريخ ١ : ٣٨٤ .

(٣) العرب قبل الإسلام ، ص : ١٩٣ . وانظر : رنيه ديسو : العرب في سوريا قبل الإسلام ، ص : ١٠ .

(٤) العرب في الشام قبل الإسلام ، ص : ١٥٦ .

(٥) دُومة الجندل : حِصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء . انظر : معجم البلدان : دومة الجندل . وهي اليوم منطقة الجوف بالمملكة العربية السعودية .

(٦) وادي القُرى : وادٍ بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القُرى . انظر : معجم البلدان : وادي القُرى .

(٧) السّلاسل : ماءٌ لجذام في مشارف الشام . انظر معجم البلدان : السلاسل . وهو اليوم بمنطقة العُلا بالمملكة العربية السعودية .

موضعها تَفرّقَ رجالُها وهربوا ، فاستاقَ نعمهم وشاءَهم ، ثُمَّ بعث إِليها سرِّية يقودها زيدُ ابن حارثة ـ رضي الله عنه ـ في السنة السادسة للهجرة ، فلم يلق كَيْداً . ووَّجه إِليها في السنة الثامنة عمروَ بن العاص في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار ، فهزموا فرسان قضاعة وقتلوا منهم وغنموا (١) .

ووّجه الرسولُ ـ صلّى الله عليه وسلم ـ إلى قوم من قضاعة بذات أطلاح (٢) من نواحي الشام ، سرِّيةً يقودها كعْبُ بنُ عُمير الغفاريّ ـ رضي اللّه عنه ـ فرفض أهلها الإِسلام وأصابوا كعْباً وأصحابه . (٣)

وقد أسلمت بطونٌ من قضاعة قبل وفاة الرسول ـ عليه السلام ـ وظلَّت بطون منها على نصرانيتها ، فقاتلت المتنصرة منها المسلمين في معركتي مُؤتة (٤) واليرموك (٥) ، وأمّا من أسلم من بطونها ، فقد انحاز إلى صفوف جيش المسلمين (٦) . ومن بطون قضاعة التي وردت الشام قبل الإِسلام البطون التالية :

١ـ تنوخ (٧) .

قال ابن حَزم : « تنوخ على ثلاثة أبطن : بطن اسمه فَهم، ... ، وبطْنٌ اسمه نزار ، وهم لوث ليس نزار لهم بوالد ولا أُمٌّ ، ولكنّهم من بطون قضاعة كلّها من بني العَجلان بن الثّعْلب ، ... ، ومن بني تَيْمِ الله بن أسد بن وبَرة ومن غيرهم ، وبطن ثالث يُقال له :

(١) الواقدي : المغازي ٢ : ٧٧٠ ، ومحمد بن سعد : الطبقات الكبرى ٢ : ١٣١ ، وأنساب الأشراف ١ : ٣٤١ ، ٣٧٧، ٣٨٠ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٧٥ ، وابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ١ : ٤٠٥ ، والذهبي : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ص : ٤٢٨ .
(٢) ذات أطلاح : موضع وراء وادي القرى إلى المدينة . انظر : معجم البلدان : أطلاح .
(٣) المغازي ٢ : ٧٥٢ ، وأنساب الأشراف ١ : ٣٨٠ ، وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ٢٩ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٣٠ .
(٤) السيرة النبوية ٤ : ١٦ ، والمسعودي : التّنبيه والإشراف ص :٢٣٠، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٣٩٦
(٥) تاريخ خليفة بن خيّاط ، ص ١٣٠ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٥٣١ .
(٦) الأزدي فتوح الشام ص : ١١١ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ ، وابن أعثم الكوفي : كتاب الفتوح ١ : ٢٥٥ .
(٧) التنوخ : الإقامة . وسموا كذلك ؛ لأنهم اجتمعوا وتحالفوا على المقام بالشام . لسان العرب : مادة : تنخ ، ومحمد كرد علي : خطط الشام ١ : ٢٢ .

الأحلاف ، وهم من جميع قبائل العرب كلّها من كِنْدَةَ وجُذام وعبد القيْس (١) .

ويُقال : إنَّ قبيلة تنوخ ظهرت في الشام آتية من جنوب جزيرة العرب في أوائل التاريخ المسيحيّ (٢) ، وكانت تُتاخِم مملكة الروم فلّما غزا ملك الفُرس الروم ، فقتل وسبى وخرَّب ، استنجد ملكُ الروم بتنوخ فأنجدوه وقاتلوه معه قتالاً شديداً ، ثم سألوه أن يتولَّوا حرب الفرس بمفردهم ، فأجابهم إلى ذلك ، فظفروا بالفُرس ، فأقطعهم ملكُ الروم سُورية وما جاورها من الأصقاع ، وهي مدينة بقرب الأحص على جانب البريَّة (٣) .

وتنصرَّت تنوخ فملّكها الروم على من ببلاد الشام من العرب وتتابعت فيهم ثلاثة ملوك أوّلهم : النُّعمان بنُ عمرو بن مالك التنّوخي ، ثم ابنه عمروُ بن النعمان بن عمرو ، ثم الحواريّ بنُ النعمان ، ولم يملك من تنوخ غيرهم (٤) .

وكان حاضرُ قنَّسرين لتنوخ منذ أوّل ما أناخوا بالشام ، وقد نزلوه وهم في خِيَم الشَّعر ، ثم بنوا المنازل (٥) ، ونزلوا أيضاً حاضر حلب الذي جمع أصنافاً من العرب ، من تنوخ وغيرهم (٦) .

---

(١) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٥٣ . وانظر في نسب تنوخ : تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٣ . ومروج الذهب ٢ : ٢٣١ وعجالة المبتدي ص : ٣٣ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٢ : ٢٩٥ .

(٢) العرب في سوريا قبل الإسلام ، ص : ١٠ .

(٣) خطط الشام ١ : ٢٢ ـ ٢٣ ، ويقول ياقوت الحمويّ : سورية : موضع بالشام بين خُناصرة وسَلمية . انظر معجم البلدان : سورية .

(٤) تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٦ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٣١ ، والتنبيه والإشراف ص : ١٥٨ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢٠ ، ٥٨٠ . وانظر خطط الشام ١ : ٢٣ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ :٣٩٧ ، والعرب في الشام قبل الإسلام ص : ١٦٠ . وانظر ايضاً المعارف ص: ٦٤٠ إذ يقال فيه : إن هؤلاء الملوك من سليح .

(٥) فتوح البلدان ص : ١٥٠ ، وانظر معجم البلدان : الحاضر .

(٦) نفسه ص : ١٥١ . وانظر : معجم البلدان : الحاضر ، والبغداديّ : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ١ : ٣٧١ .

وأخبار دولة تنوخ مضطربة متناقضة ، ولم يذكر العرب شيئاً من أعمال ملوكهم ولا زمن ملكهم ، الذي يبدو أنه لم يطلْ فقد غلبهم عليه بطن آخر من قضاعة اسمه سَليح (١).

وكانت تنوخ عند الفتح بدومة الجَندل من مشارف الشام (٢) وانضمّت بعد ذلك إلى جيش الروم في معركة مؤتة (٣) ، وإلى العرب المتنصرّة الذين استنفرهم الروم لقتال جيوش الفتح الإسلامي (٤).

وقاتلت تنوخ مع الروم في معركة اليرموك ، ويبدو أنّها حاولت اللّحاق بهرقل بعد هزيمته ، إذ يقال : إن أوّل من قطع درب بغراس (٥) ميْسرة بنُ مسْروق العبسيّ ، الذي وجهّه أبو عبيدة - رضي الله عنه - في أثر فلول الروم ، فلقي جمعاً منهم ومن تنوخ وغسّان يريدون اللحّاق بهرقل ، فأوقع بهم وقتل منهم مقتله عظيمة . (٦)

وأمّا مَن كان منهم بحاضر قنسرين وحاضر حلب ، فقد صالحهم المسلمون على الجزية ، ثم إنهم أسلموا بعد ذلك (٧).

---

(١) العرب قبل الإسلام ص : ١٩٦ .

(٢) الكامل في التاريخ ٢ : ٣٩٥ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٨٩٥ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق ١ : ٣٩٢ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٨٩ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٤٥١ .

(٥) بغراس : مدينة بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ ، على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب ، في البلاد المطلة علي نواحي طَرسوس . انظر معجم البلدان : بغراس .

(٦) فتوح البلدان ص : ١٦٨ . وانظر : خطط الشام ١ : ٨٩ .

(٧) نفسه ص : ١٥٠ ، ١٥١ . وانظر معجم البلدان : الحاضر ، وابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ١ : ٢٦ ، ٢٩ .

٢ ـ سَليح .

وهم بنو سَليح بن حُلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة (١) .

قال أبو عُبيد البكريّ : سارت سَليح وقبائل من قضاعة إلى أطراف الشام ومشارفها ، وملكُ العرب يومئذٍ ظَرب بنُ حسّان بن أذينة بن السَّمْيدع بن هَوبر العِمليقيّ ، فانضمّوا إليه وصاروا معه ، فأنزلهم مناظر الشام (٢)، من البلقاء إلى حُوارين (٣) إلى الزيتون (٤) ، فلم يزالوا مع ملوك العماليق ، يغزون معهم المغازي ويصيبون معهم المغانم ، حتّى صاروا مع الزباء بنت عمرو بن ظَرب بن حسّان المذكور ، فكانوا فُرسانها وولاة أمرها ، فلما قتلها عمروُبن عديّ بن نصر اللّخْميّ ، استولوا على المُلك بعدها ، فلم يزالوا مُلوكاً حتّى غلبتهم غسان على المُلك (٥).

---

(١) سليح : لقبه ، واسمه عمرو . جمهرة أنساب العرب ص : ٤٥٠ . وانظر تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٣ ، والاشتقاق ٢ : ٥٣٧ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٣١ ، والإنباه على قبائل الرواة ص : ١٣٩ ، وعجالة المبتدي ص : ٧٥ .

(٢) قال ياقوت الحموي : المناظر : جمع منظرة وهو الموضع الذي يُنْظر منه ، وقد يغلب هذا على المواضع العالية التي يشرف منها على الطريق وغيره ، ...، وهو موضع في البرية الشاميّة قرب عرض ، وقرب هيت أيضاً . انظر : معجم البلدان : المناظر .

(٣) حُوارين : من قرى حلب . وحوارين أيضاً حِصن من ناحية حمص . انظر : معجم البلدان : حُوارين .

(٤) الزيتون : جبل بالشام . انظر : معجم البلدان : الزَّيتون .

(٥) معجم ما استعجم ١ : ٢٦ . وانظر : تاريخ الرسل والملوك ١ : ٦١٨ ، وأبو الفرج الأصفهاني : الأغاني (دار الثقافة) ١٣ : ٧٩ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٠٤ وخطط الشام ١ : ٦٢ ، والعرب في الشام قبل الإسلام ص : ١٠٣ ، ١٥٩ .

وقد خلفوا قبيلة تنوخ على مُلكِ عرب الشام . قال المسعوديّ : ثم وردت سليح الشام فتغلبّت على تنوخ وتنصّرت فملّكها الروم على العرب الذين بالشام (١) .

ويرى بعضُ الباحثين أنهم قدموا الشام مع التّنوخيين ولكنّهم لم يملكوا إلاّ بعدهم (٢) .

وكانت رئاسة سليح في الضّجاعمة بني ضَجعم بن سعد بن سليح (٣)، الذين ملكوا أطراف الشام مما يلي البّر من فلسطين إلى قِنّسرين (٤). وذكر ابن خلدون أن لهم « مُلك ما بين الشام والحجاز إلى العراق ، في أيلة (العقبة) وجبال الكرك إلى مشارف الشام » (٥)، وظلَّ مُلْكُهم قائماً إلى أن غلبهم الغساسنة وحلّوا محلّهم في مُلك مشارف الشام ضمن إطار الدولة البيزنطيّة (٦) .

---

(١) مروج الذهب ٢ : ٢٣١ ، وانظر : تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٦ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢٠ ، ٥٨٠ .

(٢) العرب في الشام قبل الإسلام ص : ١٦١ ، والعرب قبل الإسلام ص : ١٩٦ . وانظر : الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ص : ٧٩ .

(٣) ابن حبيب : المحبّر ص : ٣٧٠ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٤٥٠ . وانظر : الاشتقاق ٢ : ٥٤٥ ، والتنبيه والإشراف ص : ١٥٨ ، وحمزة الأصفهانيّ : تاريخ سنّي ملوك الأرض والأنبياء ص : ٨٣ ، والمختصر في أخبار البشر ١ : ٧٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٨٠ .

(٤) الكامل في التاريخ ١ : ٥١٠ .

(٥) تاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢٠ . وانظر : العرب في الشام قبل الإسلام ص : ١٥٢ ، ١٦٣ .

(٦) المُحبَّر ص ٣٧٠ - ٣٧١ ، والعرب في الشام قبل الإسلام ص : ١٤٩ ، ١٦٣ . وانظر : ابن عبد ربّه : العقد الفريد ٣ : ٥٦ ، وتاريخ سنّي ملوك الأرض والأنبياء ص : ٩٩ ، ومعجم ما استعجم ١ : ٢٦ والكامل في التاريخ ١ : ٥١٠ ، والمختصر في أخبار البشر ١ : ٧٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢٠ ، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ : ٣٩٧ ، والعرب قبل الإسلام ص : ١٩٧ .

ووقف بنو سَليح مع الروم في وجه المسلمين فقاوم فُرسانُهم خالد بن الوليد عندما قدم لفتح دُومةِ الجَندل [١].

ويذكر البلاذُريّ أنّهم كانوا بحاضر قنّسرين ، فدعاهم أبو عُبيدة ـ رضي الله عنه ـ إلى الإسلام مع غيرهم ، فأقام أكثرهم على النَّصْرانيّة ودفعوا الجزيْة [٢].

٣ ـ كلب

وهم بنو كلب بن وَبَرة بن تَغْلب بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قُضاعة [٣] لحقوا بالشام بعد أن أغارت حمير على بقيَّة قضاعة في تهامة ، فخيَّروهم بين أنْ يُقيموا على خراج يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم ، فخرجت بنو كلب وجَرم إلى الشام ثُّم إن بني كنانة ابن خزيمة من مُضر ، أغارت عليهم بعد ذلك بَدهر فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، فانهزمت كلب ولحقت بالسّماوة فهي منازلهم [٤].

ونزلت كلب أيضاً أطراف الشام ، وكان لها رئاسة في تبوك ودومة الجندل تتعاقب عليها هي والسّكون من كندة ، ومن رؤسائها : دُجانة بن قُنافة بنِ عديّ بنِ زُهَير بن جَناب الكلبيّ [٥].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٨٩ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٤٥١ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٤٠٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٨٩٥ ، ٨٩٨ . وانظر : المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ : ٣٩٢ ، ٣٩٥

(٢) فتوح البلدان ص : ١٥٠ . وانظر : معجم البلدان : الحاضر ، وزبدة الحلب من تاريخ حلب ١ : ٢٦ .

(٣) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٥٥ . وانظر الاشتقاق ٢ : ٥٣٧ وعُجالة المبتدي ص : ١٠٦ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٢ : ٢٩٥ ، وقلائد الجُمان ص: ٤٦ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٦٨ .

(٤) الأغاني ١٣ : ٨٠ . وانظر : معجم ما استعجم ١ : ٢٤٠ ، وبلاشير : تاريخ الأدب العربي ص : ٢٧٩ .

(٥) المحبَّر ص : ٢٦٣ ، وتاريخ اليعقوبي ١ : ٢٧٠ وفية أنّها كانت تتعاقب على الرئاسة هي وغسان وليس السّكون ، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ : ٤٣٠ . وانظر : المُختصر في أخبار البشر ١ : ١٠٠ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢١ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٦٨ ، والعرب في الشام قبل الإسلام ص : ١٦٥ ، والعرب قبل الإسلام ص : ١٩٨ .

ويُستفاد من الأشعار التي رواها الهَمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » أن كلباً وطِئت قبل الإسلام أرض الجولان ، وما حول الحَرّة الرَّجْلاء من أرض تَدمر [١] .

ويذكر الأخباريون أن الرّسول - صلّى الله عليه وسلم - بعث عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - على رأس سريّة إلى دُومة الجَندل في السنة السادسة للهجرة ، وكان بها قوم من كلب ، فأسلم الأصبغُ بنُ عمرو الكَلْبيّ رأس دُومة الجَندل ، وكان نصرانياً ، فتزوّج عبدُ الرحمن بنِ عَوف ابنته [٢].

ولكن يبدو أنّ أهل دُومة الجَندل من كلب لم يُسلموا كلُّهم ، أو أنهم ارتدّوا عن الإسلام عقب انتقال الرئاسة منهم إلى السّكون من كِندة ؛ لأن خالد بن الوليد ، قد استّصعَب المرور بديار كلب عندما بعثه الرسولُ - عليه السلام - من تبوك إلى من بدُومة الجْندل من كِنـدة [٣] ، ولأن كلباً ممَّن استنفرهم الروم لقتال المسلمين ، ممايدلُّ على ولائها لهم [٤].

وذكر البلاذريّ أن قوماً من كلب كانوا عند الفتح ببادية السَّماوة من ناحية العراق ، وأن خالد بن الوليد نزل قُراقر وسوى من مياه كلب في تلك الناحية ، حين توُّجهه من العراق إلى الشام لنجدة المسلمين [٥].

---

(١) انظر : ص : ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، والحَرّة الرَّجلاء : هي التي تُرجل سالكها ، فلا يقدر فيها على الركوب انظر : معجم البلدان : الحرّة الرَّجلاء .

(٢) المغازي ٢ : ٥٦١ ، والطبقات الكبرى ٢ : ٨٩ ، وأنساب الأشراف ١ : ٣٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٣٨٧ ، وابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ١ : ٢٠٤ . وانظر : تاريخ الرسل والملوك ٤ : ٥٣٥ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٣٩٥ .

(٣) المغازي ٣ : ١٠٢٥ . وانظر : تاريخ ابن خلدون ٢ : ٨٩٥ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٨٩ . وانظر الكامل في التاريخ ٢ : ٤٠٢

(٥) فتوح البلدان ص : ١١٨ . وانظر كتاب الفتوح ٤ : ٣٧ ، ومعجم البلدان : قُراقر وسوى . وكان بُسوى أيضاً قوم من بَهراء .

٤ ـ سائر بطون قُضاعة .

واستوطنت الشام قبل الإسلام بطون أُخرى من قضاعة منها : بنو القَين [١] ابن جَسر [٢] ، وكان لهم جَمع عظيم وثروة في أكناف الشام ، فناهضوا بني كلب بن وَبرة حيناً ، إلا أنهم ضعفوا بعد ذلك ووَهن أمرهم [٣] .

وجاور بنو القَين بلياً وعُذرة بمشارف الشام [٤] ، وانضموا إلى الروم في معركة مؤتة [٥] ، ثّم أسلم فريق منهم بعد ذلك ، وقاتل مع المسلمين في موقعة فِحل [٦] ، بينما ظل فريق آخر منهم يُقاتل إلى جانب الروم في معركة اليرموك [٧] .

ومن منازلهم عند الفتح الإسلامي : حَفير من أرض الأُردن وهم حاضرتها [٨] .

وبنو خُشَيْن [٩] ، وهم بطنٌ عظيم في الشام [١٠] ، وبنو جَرم بن رَبان بن

---

(١) هم بنو النعمان بن جَسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة . وقد حضن النعمان عبد له يقال له : القين ، فغلب اسمه عليه . جمهرة أنساب العرب ص : ٤٥٣ ، ٤٥٤ . وانظر تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٣ والاشتقاق ٢ : ٥٤٢ ، وعُجالة المبتدي ص : ١٠٥ ونهاية الأرب في فنون الأدب ٢ : ٢٩٥ .

(٢) معجم ما استعجم ١ : ٥٢ ، والكامل في التاريخ ١ : ٣٤٤ .

(٣) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٥٤ .

(٤) المغازي ٢ : ٧٧٠ . وانظر : تاريخ مدينة دمشق ١ : ٣٩٧ ، ٤٠٣ .

(٥) انظر : السيرة النبوية ٤ : ١٦ ، وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٧ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٣٩٧ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٣٥ ، وخطط الشام ١ : ٧٤ .

(٦) الأزدي : فتوح الشام ص : ١١١ .ولم يعين ياقوت الحموي موقع فحل ، بل ذكر أنها موضع بالشام انظر : معجم البلدان : فحل . وهي اليوم من قرى محافظة إربد بالمملكة الأُردنية الهاشمية . انظر : الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأمويّ ص : ٣٩ .

(٧) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٥٧ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٥٣١ . وانظر : خطط الشام ١ : ٨٧ .

(٨) الأغاني ١٦ :١٢ . وانظر : معجم البلدان : حفير ، ومراصد الاطلاع ١ : ٤١٤ .

(٩) هم بنو وائل بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران . وخشين لقب وائل .جمهرة أنساب العرب ص : ٤٥٤ . وانظر عجالة المبتدي ص : ٥٥ .

(١٠) الاشتقاق ٢ : ٥٤٤ . وانظر : معجم ما استعجم ١ : ٥٢ .

حُلوان (١) ، وبنو تزيد وعشم ابني حُلوان ، الذين انتقلوا إلى الشام من الجزيرة الفراتيّة (٢).

ومنها : بنو نهد بن زيد (٣) ، وهم : عامر ، وعمرو ، وحنظلة ، والطّول ، ومرّة ، وخُزيمة ، وأبان ، وكلّهم سكنوا الشام ، ودخل قوم منهم في بني عُليم من كلب بن وَبَرة ، وفي بني عديّ بن جناب من كلب أيضاً ، وفي غيرهم (٤).

ومنها : بنوعُذرة (٥) ، وكانوا بحرّة النار(٦) ، وذات السّلاسل (٧) من مشارف الشام . وبنو جُهينة (٨) ، وكانوا بمشارف الشام في وادي القرى وتبوك حتى أيلة (العقبة) (٩).

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٠٤ ، ٥١٧ . وهم بنو جَرْم بن ربّان بن حلوان بن عمران ، جمهرة أنساب العرب ص : ٤٥١ . وانظر : عجالة المبتدي ص : ٣٩ ، وقلائد الجمان ص : ٥٣ .

(٢) معجم ما استعجم ١ : ٢٦ ، وانظر : الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ص : ٨٠ .

(٣) هو نَهد بنُ زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحافي . جمهرة أنساب العرب ص : ٤٤٦ . وانظر عجالة المبتدي ص : ١١٨ ، وقلائد الجُمان ص : ٥١ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٦٩ .

(٤) أنساب الأشراف ١ : ١٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٤٤٦ - ٤٤٧ ، وقلائد الجمان ، ص : ٥١ .

(٥) عُذرة بن سعد هُذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي . جمهرة أنساب العرب ص : ٤٤٧ . وانظر : تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٣ ، وعجالة المبتدي ص : ٩٢ ، وقلائد الجمان ص : ٤٩ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٦٨ .

(٦) معجم البلدان : حرّة النار . وهي حرة بين وادي القرى وتيماء .

(٧) المغازي ٢ : ٧٧٠ . وانظر : السيرة النبوية ٤ : ٢٧٢ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٧٥ وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٢ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٤٠٤ ، وتاريخ الإسلام ص : ٤٢٩ .

(٨) جُهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم . جمهرة أنساب العرب ص: ٤٤٤ . وانظر عجالة المبتدي ص : ٤٣ ، وقلائد الجُمان ص : ٤٣ ، وصبح الأَعَشى ١ : ٣٦٨ .

(٩) الكامل في التاريخ ٢ : ١٨ والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ : ٤٣١ . وانظر : الأغاني ١٣ : ٧٩ ، ومراصد الاطلاع ٣ : ١٠٨٧ .

ومنها أيضاً : بليّ [١]، وكانت منازلها قبل الإسلام بين تيماء ويثرب إلى أيلة [٢].

ونزلت بليّ عند الفتح ذات السّلاسل من مشارف الشام [٣] ، ومآب [٤] من أرض البلقاء . وكان رجل منها اسمه : مالك بنُ رافلة قائداً لجيش العرب المتنصرة الذي انضمّ إلى الروم في معركة مؤْتة [٥].

وأسلمت بليّ في السنة التاسعة للهجرة ، وقدم وفدها على الرسول - صلى الله عليه وسلّم - [٦] ، فاتّخذ الأعجمَ بن سفيان البلويّ عاملاً له على عذرة وسلامان وبليّ من قضاعة [٧] ، إلاّ أن بعضها قد ارتد عن الإسلام بعد وفاة الرسول - عليه السلام - ووقف إلى جانب الروم في معركة اليرموك [٨] ، ثُم إنّها أسلمت بعد ذلك ونزلت مدينة حمص بعد فتحِها مع من نزلها من المسلمين [٩] .

وامتدّت منازل بهراء [١٠] ، شماليّ منازل بليّ ، من يَنْبُع إلى أيلة [١١] . ووقفت

---

(١) بليّ بن عمرو بن الحافي بن قضاعة . جمهرة أنساب العرب ص : ٤٤٢ . وانظر : عجالة المبتدي ص : ٢٧ ، وقلائد الجُمان ص : ٤٥ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٦٧ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ٢ : ٥١٦ .

(٣) المغازي ٢ : ٧٧٠ ، وانظر تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٢ وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٤٠٤ ، وتاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ص : ٤٢٨ .

(٤) مآب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء . انظر معجم البلدان : مآب . وهي اليوم محافظة الكرك بالأردن .

(٥) المغازي ٢ : ٧٦٠ ، وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ٥٧٠ ، والاشتقاق ٢ : ٥٥١ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٣٥ . وانظر : خطط الشام ١ : ٧٤ .

(٦) الطبقات الكبرى ١ : ٣٣٠ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٨٧ .

(٧) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٩٨ .

(٨) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٥٧٠ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٥٣١ . وانظر : خطط الشام ١ : ٨٧ .

(٩) الكامل في التاريخ ٢ : ٤٩٢ ، وتاريخ انن خلدون ٢ : ٩٤٤ .

(١٠) بَهراء بن عمرو بن الحافي بن قضاعة . جمهرة أنساب العرب ص : ٤٤١ . وانظر : عُجالة المبتدي ص : ٢٨ ، وقلائد الجمان ص : ٤٩ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٦٩ .

(١١) الزركلي : الأعلام ٢ : ٧٦ ، والعصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ص : ١٣٩ .

مع أُختها بليّ ضدّ المسلمين في مؤتة [١]، وأعانت أهل دُومة الجَنْدل على خالد بن الوليـدعندما قدم لفتحها [٢]، وظلَّت موالية للروم واستمرت تقاتل معهم [٣]، ممّا دفع خالد بن الوليد إلى الإغارة عليها ـ وهو في طريقه إلى الشام ـ وقتل زعيمها حرقوص بن النُّعمان البهَرانيّ، وهي على ماءٍ لها بناحية السّماوة يُقال له: سُوى [٤].

وذكر البلاذريّ أنَّ بني مَشْجعة بن التَّيم بن النَّمر بن وبرة من قضاعة كانوا بُقُصَم [٥]، وأنّ خالد بن الوليد صالحهم في أثناء توجهه إلى اليرموك [٦].

وذكر الأزديّ أنّهم قاتلوا مع خالد في موقعه بُصرى من أعمال دمشق، وأنّ عَددهم كان نحواً من أربعمائة رجل [٧].

ب ـ القبائل الكَهلانيَّة.

تفرَّعت القبائل الكَهلانية من مالك وعريب ابني زيد بن كهلان بن سبأ. وخضعت هذه القبائل قبل الإسلام للسُّلطة البيزنطية شأنها في ذلك شأن قبيلة قضاعة. واستوطن الشام منها القبائل التالية:

---

(١) المغازي ٢: ٧٦٠. وانظر: السيرة النبوية ٤: ١٦، وتاريخ الرسل والملوك ٣: ٣٧.

(٢) الكامل في التاريخ ٢: ٣٩٥، وتاريخ ابن خلدون ٢: ٨٩٥. وانظر صالح العلي: القبائل العربية في بلاد الشام في زمن الخلفاء الراشدين، مجلة دراسات (المجلد الرابع عشر، مطبعة الجامعة الأردنية نيسان: ١٩٨٧ م) العدد الرابع، ص: ٥٨.

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٣: ٤١٠، وتاريخ مدينة دمشق ١: ٤٥١، والكامل في التاريخ ٢: ٤٠٢، وتاريخ ابن خلدون ٢: ٨٩٨.

(٤) فتوح البلدان ص: ١١٨، ومعجم البلدان: سُوى. وانظر: تاريخ الرسل والملوك ٣: ٤١٦، وتاريخ مدينة دمشق ١: ٤٦٨، والكامل في التاريخ ٢: ٤٠٩.

(٥) قُصم: موضع بالبادية قرب الشام من نواحي العراق. انظر معجم البلدان: قُصَم.

(٦) فتوح البلدان ص: ١١٩. وانظر: الأزديّ: فتوح الشام ص: ٧٦، وتاريخ الرسل والملوك ٣: ٤٠٧ ومعجم البلدان: قُصَم، والكامل في التاريخ ٢: ٤٠٩.

(٧) فتوح الشام ص: ٨١.

١ ـ الأزد .

يـذكر الأخبـاريون أن موطن الأزد [١] كان باليـمن ، ثمَ خـرجوا مع عمرو بن عامر [٢] ، قُبيل خراب سدّ مأرب أو بعده بقليل ، وتفرقوا في مواطن مختلفة [٣]. ويذكرون أن منهم غَسان ، وانه ليس بأبٍ لهم ولا أم ، وإنما هو ماءٌ نزلته الأزد ، فشربت بعض بطونها منه ، فننُسبت إليه [٤].

وروى ابن حَزْم أنّ بطون الأزد التي سُمّيت غسّان هي : بنو الحارث ، وَ جفْنة ، ومالك ، وكعْب بني عمرو مُزَيقياء ، بالإضافة إلى ولد عمرو بن مازن بن الأزد [٥].

وقد وردت غسّانُ الشام قبل الإسلام ، فخضعت للضّجاعة من بني سليح ودفعت لهم الخراج ، ثم تغلّبت عليهم وانتزعت المُلك منهم ، وذلك عند فساد كان بين الروم وفارس ، فخاف ملكُ الروم أن تُعين غـسّان الفرس ، فكتب إليهم واسـتدناهم ، وجعلهم عمّالاً للروم على الشام ، فاستمرّ ملكهم إلى عهد جَبلة بن الأيهم الذي اتّصل ملكُهُ بخلافة

---

(١) هو أُدد بن الغوث بن نَبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . جمهرة أنساب العرب ص :٣٣٠ . وانظر : الهمداني : الإكليل ١٠ : ٢٩ ، وقلائد الجُمان ص : ٩١ ، وصُبح الأعشى ١ : ٣٧٠ .

(٢) هو عمرو مُزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثَعلبة بن مازن بن الأزد . جمهرة أنساب العرب ص : ٣٣١ .

(٣) السيرة النبوية ١ : ١٣ ، والمعارف ص : ٦٤٠ ، وفتوح البلدان ص : ٢٩ ، وتاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٣ وصفة جزيرة العرب ص : ٣٧٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٣١ ، والعمدة ٢ : ٢٢٨ ، والمختصر في أخبار البشر ١ : ٧٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢٤ ، والعرب قبل الإسلام ص : ٢٠٤ ، والعصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ص : ٤٨ .

(٤) انظر المعارف ص : ١٠٧ ، وفتوح البلدان ص : ٢٩ ، والاشتقاق ٢ : ٤٣٥ وصفة جزيرة العرب ص : ١٢٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٣٠ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٤٦٢ . والإنباه على قبائل الرواة ص : ١٨ ، ١٠٧ ، وعُجالة المبتدي ص : ٩٨ ، والمختصر في أخبار البشر ١ : ٧٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢٨ .

(٥) جمهرة أنساب العرب ص : ٣٣١ ، ٣٧٤ .

عمر بن الخطاب ـ رضـي الله عنه ـ فأسلـم ، ثُمّ ارتّـد بعد ذلـك ، وهـو آخر ملـوك الغسـاسنة [١].

وكانت ديار ملوك غسّان باليرموك والجولان وغيرهما بين غُوطة دمشق وأعمالها ، ومنهم من نزل الأُردن من أرض الشام [٢].

ولم تكن حدود مملكة غَسان ثابتة ، بل كانت تتغيَّر وتتبدَّل بتغيُّر قوة الملوك وتبدلها ، فكانت تتسَّع حيناً فتشمل الجولان وحَوران وبعض فلسطين والأُردن ولبنان ، وبعض مناطق حمص ومساحات واسعة من بادية الشام ، وكانت تتقلَّص حيناً ، فتصير أضيق من ذلك بكثير[٣] . ويُستفاد من شِعر حسّان بن ثابت الأنصاري أنها غالباً ما كانت تمتَّد من حَوران إلى خليج العقبة [٤].

وقد شعر الغساسنة منذ وقت مُبكر بالخطر الإسلاميّ الذي يتهدَّد ما كان لهم من مكانة بين عرب الشام ، فجمع قوم منهم ومن قضاعة جمعاً بدُومة الجنْدل من مشارف الشام أرادوا به مهاجمة الحجاز ، فخرج إليهم ـ الرسول عليه السلام ـ وأصحابه فشتتّوا جمْعَهم [٥].

---

(١) المحّبر ص : ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، والمعارف ص : ٤٦١ ، ٦٤٤ ، وتاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٦ ، وتاريخ الرسل والملوك ٢ : ٢٥٢ ، والعقد الفريد ٣ : ٥٦ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٣٢ ، والتنبيه والإشراف ص : ١٥٨ ، وتاريخ سنّي ملوك الأرض والأنبياء ص : ٩٨ ، ومعجم ما استعجم ١ : ٢٦ والعمدة ٢ : ٢٢٨ ، والكامل في التاريخ ١ : ٥١٠ ، والمختصر في أخبار البشر ١ : ٧٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢٠ ، ٥٨٢ ، وانظر : خطط الشام ١ : ٢٢ ، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ : ٣٨٩ ، ٣٩٨ .

(٢) مروج الذهب ٢ : ٢٣٤ .

(٣) نولدكه : أُمراء غّسان ص : ٥١٠ . وانظر : الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصرالأُموي ص : ٨١ .

(٤) شرح ديوان حسـان بن ثابت الأنصـاري ص : ٢٠٥ وانظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ : ٤٤٠ .

(٥) أنساب الأشراف ١ : ٣٤١ . وانظر : الكامل في التاريخ ٢ : ٣٩٥ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٨٩٥

وفي السنة الثامنة للهجرة قَتَل شُرَحبيل بنُ عمرو الغسّاني الحارث بنَ عُمير الأزديّ (١) ، الذي بعثه الرسول ـ عليه السلام ـ بكتاب إلى ملك بُصرى ، فكان ذلك السبب المباشر لغزوة مؤتة (٢).

وقدم وفدُ غسّان على الرسول ـ عليه السلام ـ في السنة العاشرة للهجرة وكانوا ثلاثة نَفَرفأسلموا (٣) ، وانصرفوا إلى قومهم ، فلم يجيبوهم إلى الإسلام (٤).

وتذكر الأخبار أنَّ خالد بنَ الوليد لمّا أمره أبو بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ بالتوجُّه من العراق إلى الشام لنجدة المسلمين ، أغار على قوم من غسّان بمرجِ راهط من غوطة دمشق ، يوم فِصحهم ، فقتل منهم وسبى ، ثم إن عامّتهم صالحته بعد ذلك وأسلمت (٥).

وقاتل بعضُ الغساسنة إلى جانب المسلمين في موقعتي فِحل واليرموك (٦)، إلا أنَّ أكثرهم وعلى رأسهم آخر ملوكهم جَبَلة بنُ الأيهم ، قد قاتلوا المسلمين مع الروم في معركة اليرموك (٧)، وحاولوا اللّحاق بَهرقل بعد هزيمته في المعركة ، فأوقع بهم ميسرة بنُ مسروق العبسيّ بدرب بَغراس قرب أنطاكية (٨).

---

(١) انظر ترجمته في : ابن عبد البّر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ : ٢٩٧ .

(٢) انظر : المغازي ٢ : ٧٥٥ ، والطبقات الكبرى ٢ : ١٢٨ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٣٠ ، والاستيعاب ١ : ٢٩٧ ، وتاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ص : ٤٠١ .

(٣) الطبقات الكبرى ١ : ٣٣٨ .

(٤) تاريخ ابن خلدون ٢ : ٨٣١ .

(٥) الأزدي : فتوح الشام ص : ٨٢ . وانظر : تاريخ خليفة بن خياط ص : ١١٩ ، وفتوح البلدان ص : ١١٩ ، وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ٤١٠ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٤٠٩ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٩٠٢

(٦) نفسه ، ص : ١١١ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ .

(٧) انظر : الواقديّ : فتوح الشام ١ : ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، وكتاب الفتوح ١ : ١٢٥ ، وابن كثير : البداية والنهاية ٨ : ٦٣ .

(٨) فتوح البلدان ص : ١٦٨ . وانظر الكامل في التاريخ ٢ : ٤٩٦ .

ومن منازلهم المشهورة قبل الإسلام : الجولان والجابية [١] التي عرفت بجابية الملوك[٢] . ومن منازلهم عند الفتح : الجولان ومرج الصفّر [٣] ،وحلب [٤] .

ومن الأزد أيضاً : بنو عامر بنِ ثعلبة بن كعب بن الخَزرج ، وقد ساروا إلى الشام مع غسان [٥] .

٢ ـ لخم وجُذام [٦] .

هما أخوان يتصل نَسَبهما بكهْلان بن سبأ . فلخم هو مالك بن عديّ بن الحارث بن مُرّة بن أددَ بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان [٧]، وجُذام هو عمرو بن عديّ بنِ الحارث بن مرة بن أُددَ [٨].

وأمّا ما يلاحظ في كتب الأنساب من اختلاف في نسب قبيلتي لَخم وجُذام ، فمردّه إلى ما حدث في العصر الأمويّ من عصبية قبلية ، وصراع سياسّي عنيف بين قبيلة قيس المُضَرِّية وقبيلة كلب اليمانية ، فحاول بعض نسابي مُضر أن يصلوا أنساب بعض القبائل اليمانية بسلسلة النّسب المُضري ، تكثّراً بها ، كما حاول بعضُ بني أُمية أن يتألفّوا هاتين القبيلتين اللّتين يبدو أنه كان لهما عددٌ وقوة بالشام ، فأغروا بعضَ رجالهما بالانتماء إلى

---

(١) الجابية : قرية من أعمال دمشق قرب مرج الصفّر في شمالي حوران . انظر : معجم البلدان : الجابية
(٢) أمراء غسّان ص : ٥٢ . وانظر : الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ص : ٨١ .
(٣) هو مرج بدمشق . انظر : معجم البلدان : مرج الصفّر .
(٤) الواقديّ : فتوح الشام ١ : ٢٥٩ ، وانظر عدداً من منازل غسان عند الفتح في : الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ص : ٨٧ .
(٥) جمهرة أنساب العرب ص : ٣٣٢، ٣٦٢ .
(٦) يقال : جَذم مالك إصبع أخيه عمرو ، فلَطَمه ، فلُقِّب مالك لخماً ، ولقب عمرو جذاماً ؛ لأن إصبعه جُذمت . انظر الإنباه على قبائل الرواة ص : ٩٩ .
(٧) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٢٢ . وانظر عُجالة المبتدي ص : ١٠٩ ، وقلائد الجُمان ص : ٦٩ .
(٨) نفسه ص : ٤٢٠ ، وانظر عجالة المبتدي ص : ٣٨ ، وقلائد الجمان ص : ٥٤٠ .

معدّ بن عَدنان فوافق بعضُهم وامتنع بعض[1] .

وسكن بنو لَخْم الشام قبل الإسلام بزمن طويل ، إذ كان بعضهم مع الزّباء في تدمر[2] . واتَّجهت فرقةٌ منهم إلى جنوبيّ فلسطين ، وامتدت بعد ذلك غربيّ بحيرة لوط ، فسكنت غَور بيسان وغَورمرّة من بلاد فلسطين والأردن[3]. وسكنت بطون منهم منطقة البلقاء[4] ، وما حول العريش بين الشام ومصر[5] ، ومواضع مُتعدِّدَة من فلسطين[6] .

ونزلت جُذام مشارف الشام[7] ، والبلقاء[8] ، وفلسطين[9]، وأغوار الأرض كغور بيسان وغوْر مرَّة من بلاد فلسطين والأردن[10]، ونزل بنو نُفاثة من جُذام حوالي أيلة (العقبة) من أوَل أعمال الحجاز إلى يَنَبع من أطراف يثرب ، وكانت لهم رئاسة في

---

(١) انظر : نسب قريش ص :٨ ، وأنساب الأشراف ١: ٣٦، ٣٧ ، وتاريخ اليعقوبي ١ : ٢٢٩ ، والأغاني ٩ : ٣٠٨ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١١ ، والإنباه على قبائل الرواة ص : ٥٠ ، ٩٨ ، والعصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ص : ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

(٢) مروج الذهب ٢ : ٨٦ ، والكامل في التاريخ ١ : ٣٤٦ .

(٣) مروج الذهب ٢ : ٢٤٩ ، وخطط الشام ١ : ٦٢ .

(٤) السيرة النبوية ١ : ٢٤٦ - ٢٤٧ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٤١ .

(٥) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٢٤ .

(٦) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإِسلام ٤ : ٤٦٣ .

(٧) معجم البلدان : الأقيصر .

(٨) جمهرة أنساب العرب ص : ١٥١ . والبلقاء : كورة من أعمال دمشق قَصَبتها عمّان ، وفيها قرى ومزارع واسعة . انظر معجم البلدان : البلقاء . وهي اليوم محافظة البلقاء بالأردن .

(٩) الأخبار الموفقيّات ص : ٦٢٥ .

(١٠) مروج الذهب ٢ : ٢٤٩ .

مَعان وما حولها من أَرض الشام ، إِذ كان فرْوةُ بنُ عمْرو بن النّافرة الجُذامي [١] ، عاملاً للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزلهُ مَعان وما حولها من أَرض الشام [٢] .

ومن منـازل جُذام قبل الإسـلام : حـسمى إلى الغـرب من تبـوك [٣] .

ولخْم وجُذام من قبائل كهلان التي كانت موالية للروم في المناطق الجنوبيّة من بلاد الشـام ، فقاتلت معهم في معركة مـؤتة [٤] ، ثُمَّ تجمعَّت بذات السَّلاسـل وهـو مـاء لجُذام [٥]، فهزمتها سرِيَّة عمرو بن العاص في السنة الثامنة للهجرة [٦] ، وانضمت بعد ذلك إِلى جموع هِرَقل التي نزلت مُقدماتها البلقاء في السنة التاسعة للهجرة ، فخرج الرسول ـ صلى اللّه عليه وسلّم ـ لملاقاتها في تبوك [٧].

---

(١) انظر ترجمته في : الطبقات الكبرى ٧ : ٤٣٥ ، والاستيعاب ٣ : ١٢٥٩ ، وتاريخ مدينة دمشـق (مُصورة الجامعة الأُردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق) ١٤ : ١٠٨ .

(٢) السيرة النبوية ٤ : ٢٣٨ ، والطبقات الكبرى ١ : ٣٥٥ ، ٧ ٤٣٥ ، والاستيعاب ٣ : ١٢٥٩ ، ومعجم البلدان : عِفرى ، ونهاية الأرب في فنون الأُدب ١٨ : ٢٨٠ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٣٥ . وانظر : الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأُموي ص : ٨٢ .

(٣) معجم البلدان : حِسْمى . وانظر : مراصد الاطلاع ١ : ٥٩ ، ٤٠٣ وأُمراء غسّان ص: ٤٠ .

(٤) انظر : المغازي ٢ : ٧٦٠ ، والطبقات الكبرى ٢ : ١٢٩ ، وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٧ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٣٩٤ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٣٥ ، وخطط الشام ١ : ٧٤ .

(٥) تاريخ مدينة دمشق ١ : ٤٠٤ ، ومعجم البلدان : السَّلاسل ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٣٢ ، وتاريخ الإِسلام ص : ٤٢٨ ، وخطط الشام ١ : ٧٣ .

(٦) أنساب الأُشراف ١ : ٣٨١ .

(٧) المغازي ٣ : ٩٩٠ . وانظر : الطبقات الكبرى ٢ : ١٦٥ ، وفتوح البلدان ص : ٧١ وأنساب الأشراف ١ : ٣٦٨ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٤١٣ .

ويبدو أن أوّل احتكاك لهما مع المسلمين قد وقع في السنة السادسة للهجرة (١) ، عندما عرض أهل حِسْمى من لخْم وجُذام لدحية بن خليفة الكلبْي (٢) ، مبعوث الرسول - صلّى الله عليّه وسلّم - إلى هِرَقل ، وهو في طريق عودته إلى المدينة ، وسلبوه ما كان معه من مالٍ ومتاع ، فبعث الرسول - عليه السّلام - سريّة إلى حِسْمى بقيادة زيد بن حارثة الكلبّي - رضي الله عنه - لتأديب أهلها ، فقتل زيد منهم وسبى ، ثم قفل عائداً إلى المدينة (٣).

وفي السنة التاسعة للهجرة قدم وفد الداريّين (٤)من لخم على الرسول - عليه السلام - مُنصرفه من تبوك ، وكان فيهم تميم بنُ أوس الداريّ ، فأسلموا (٥)، ولكنّ بعض اللّخميين ظلّوا على عدائهم للرسول - عليه السلام - فأصابهم بعثُ أُسامة بن زيد - رضي الله عنه - الذي أمر الرسول - عليه السلام - بإنفاذه قبل وفاته (٦) .

---

(١) ويُقال : في السنة السابعة ، بسبب الخلاف في السنة التي بدأ فيها الرسول - عليه السلام - بإرسال رُسله إلى الملوك .

(٢) انظر ترجمته في : الطبقات الكبرى ٤ : ٢٤٩ ، والاستيعاب ٢ : ٤٦١ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق) ٦ : ٢٥ ، وابن منظور : مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٨ : ١٥٩ ، والبداية والنهاية ٨ : ٤٧ ، وابن حجر العسْقلاني : تقريب التهذيب ص : ٢٠٠ .

(٣) أنساب الأُشراف ١ : ٣٧٧ . وانظر المغازي ٢ : ٥٥٥ ، والسيرة النبويّة ٤ : ٢٦٠ . والطبقات الكبرى ٢ : ٨٨ ، وتاريخ خليفة بن خياط ص : ٨٥ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٠٧ .

(٤) هم بنو الدار بن حبيب بن نمارة بن لخم . انظر : السيرة النبوية ٣ : ٣٦٨ .

(٥) الطبقات الكبرى ١ : ٣٤٣ .

(٦) تاريخ مدينة دمشق ١ : ٤٣٣ .

وذكر ابن هشام أنَّ رفاعة بن زيد الجُذاميّ ، قد قدم على الرسول ـ صلى اللّه علّيه وسّلم ـ فأسلم وحَسن إسلامه ، فكتب له الرسول ـ عليه السلام ـ كتاباً إلى قومه ، فأجابوا وأسلموا (١) .

ولّما بلغ الرّوم إسلام عاملهم فروة بن عمرو الجُذاميّ ، الذي كان ينزل مَعان وما حولها من أرض الشام ، طلبوه حتى أخذوهُ فحبسوه عندهم ، ثم ضربوا عنُقه وصلبوه (٢).

وعندما تقدّمت الجيوش الإسلامية لفتح الشام ، كان كثير من فرسان القبيلتين يُقاتل في صفوف الروم (٣)، وذكر الأزدي أنَّ بعضهم قد انضم إلى المسلمين في موقعتي فِحل واليرموك (٤)، غير أنهم سَرعان ما خذلوا المسلمين ،ففّروا لّما رأواضراوة القتال (٥).

٣ـ سائر القبائل الكَهلانية .

وكان بالشام قبل الإسلام قبائل أُخرى من فروع كهلان بن سبأ منها :

---

(١) السّيرة النبوية ٤ : ٢٤٣ . وانظر : المغازي ٢ : ٧٠٩ ، والطبقات الكبرى ١ : ٣٥٤ .

(٢) انظر : نفسه ٤ : ٢٣٨ ، والطبقات الكبرى ١ : ٣٥٥ ، ٧ : ٤٣٥ ، ومعجم البلدان : عِفرى ، ونهاية الأرب في فنون الأدب ١٨ : ٢٨ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٢٣٥ .

(٣) الواقدي : فتوح الشام ١ : ١٦٢ ، ١٦٦ . وانظر : فتوح البلدان ص : ١٤٠ وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ٥٧٠ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٥٣١ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٨٩٨ .

(٤) فتوح الشام ص : ١١١ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ .

(٥) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٥٧١ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٥٥٢ ، وصالح العلي : « القبائل العربية في بلاد الشام في زمن الخلفاء الراشدين » ، مجلة دراسات (المجلد الرابع عشر ، مطبعة الجامعة الأردنية ـ عمان ، نيسان ١٩٨٧) العدد الرابع ص : ٦٣ .

قبيلة عاملة [١] ، التي سكنت مشارف الشام [٢] ، وجبل عاملة [٣] بالقرب من دمشق [٤] . وذكر البلاذريّ أنها كانت بذات السّلاسل عندما غزاها عمرو بن العاص في السنة الثامنة للهجرة ، وأنها انضمت إلى جيش هِرَقل في غزوة تبوك [٥]. وقد قاتل بعض العامليين جيش الروم في موقعتي فحل واليرموك [٦]، بينما قاتل بعضهم الآخر جيش المسلمين [٧].

ومنها : طيء [٨] ، وكانت بحاضر قنسّرين من أعمال حلب ، فلما ورد عليهم أبو عُبيدة فاتحاً ، أسلم بعضهم ، وصالح كثير منهم على الجزية ثَمّ أسلموا بعد

---

(١) عاملة بنت مالك بن وديعة من قضاعة ، تزّوجها الحارثُ بن عديّ بن الحارث بن مرة بن أددَ بن زيد ، أخو لخم وجُذام ، فنسب إليها ولده منها . وقد تُنوزع في نسب عاملة ، شأنها في ذلك شأن لخم وجُذام ، فقيل : إن عاملة هو الحارث نفسه وقال بعضهم : هي عاملة بنت سبأ بن يشجُب بن يَعرب ، ونسبها آخرون إلى مُضر . وهي عند الجمهور يمانية كهلانية . انظر : المعارف ص : ١٠٣ ، وتاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٢ ، والحُصري : زهر الآداب وثمر الألباب ١ : ٨٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١١ ، ٤١٩ ، والإنباه على قبائل الرواة ص : ٩٦ ، وقلائد الجمان ص : ١٠٦ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٨٩ ، والأعلام ٣ : ٢٥٦ ، والعصبية القبلية وأثرها في الشعر الأُموي ص : ٥١ .

(٢) معجم البلدان : الأُقيصر . وانظر : تاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٣٦ .

(٣) يقول القلقشندي : هو «جبل ممتّد في شرقي ساحل بحر الروم وجنوبيه حتى يقرب من مدينة صور» . انظر : صبح الأعشى ٤ : ٨٩٠ .

(٤) المختصر في أخبار البشر ١ : ١٠٤ . وانظر قلائد الجُمان ص : ١٠٦ .

(٥) فتوح البلدان ص : ٧١ ، وأنساب الأشراف ١ : ٣٦٨ ، ٣٨٠ ـ ٣٨١ . وانظر : المغازي ٣ : ٩٩ ، والطبقات الكبرى ٢ : ١٦٥ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٤١٣ .

(٦) الأزدي : فتوح الشام ص: ١١١ ٢١٨ ، ٢٢٧ .

(٧) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٥٧٠ ، وانظر : تاريخ مدينة دمشق ١ : ٥٣١ ، وخطط الشام ١ : ٨٧ .

(٨) هو جُلهمة بن أُددَ بن يَشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . جمهرة أنساب العرب ص : ٣٩٨ . وانظر : الإكليل ١٠ : ٢٧ ، وعُجالة المبتدي ص : ٨٥ .

ذلك بيسير إلا من شذّ عن جماعتهم [1].

ومنها أيضاً : السكون من كندة [2]، وكان لها ملك بدومة الجندل من مشارف الشام [3] وذكر البلاذري أنّ سريّة خالد بن الوليد التي انطلقت إليها من تبوك في السنة التاسعة للهجرة ، قد استطاعت أن تقبض على أكيدر بن عبد الملك السّكوني [4] رأس دُومة الجندل ، وأن تأتي به أسيراً ، فكتب الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ كتاباً له ولأهل دُومة [5].

وكان الأشعرون [6] يتبدّون قبل الإسلام من تهامة إلى الشام [7].

---

(١) فتوح البلدان ص : ١٥١ ، والتنبيه والإشراف ص : ١٧٧ ، ومعجم البلدان : الحاضر ، وانظر : جمهرة أنساب العرب ص : ٣٩٩ .

(٢) السّكون بنُ أشرس بن كندة . جمهرة أنساب العرب ص : ٤٢٩ .

(٣) المحبّر ص : ٢٦٣ ، وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ١٠٨ . وانظر تاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢١ .

(٤) انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق) ٣ : ٣٩ ، والإصابة ١ : ٢٤١ ، والأعلام ٢ : ٦ .

(٥) فتوح البلدان ص : ٧٢ ، وأنساب الأشراف ١ : ٣٨٢ .وانظر : المغازي ٣ : ١٠٢٥ ، والسّيرة النبوية ٤ : ١٦٩ ، والعقد الفريد ١ : ٢٥٥ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٨١ ، والبداية والنهاية ٥ : ١٧ ، والإصابة ١ : ٢٤١ .

(٦) هم بنو نَبت بن أُددَ بن زيد بن يشجب . جمهرة أنساب العرب ص : ٣٩٧ .والأشعر لقب لنبت .

(٧) الأغاني ١٣ : ٧٦ .

ثانياً : اليمانية الفاتحون للشام

جاءت إلى الشام في أثناء الفتح قبائل يمانيّة جديدة ، فقد ذكر الأزدي أنّ معظم العرب الذين فتحوا بلاد الشام كانوا من اليمانية ، فكثروا فيها وكانوا سكانها وأهلها (١) .

ويبدو أنهم كانوا يؤثرون التوجّه إلى بلاد الشام ؛ لأنها موطن كثير من أسلافهم الذين استوطنوها قبل الإسلام (٢) ، ثم إنهم انضافوا إلى أسلافهم بعد الفتح ، فغلب العنصر اليماني على سكان تلك البلاد .

ومن هذه القبائل : قبيلة حمير التي قدمت على أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ عندما كتب إلى أهل اليمن كتاباً يدعوهم فيه إلى الجهاد في سبيل الله ، وكان الحِميريون بقيادة ذي الكلاع الحميري (٣) . ففرح أبو بكر بمقدمهم ووجهّهمُ إلى الشام (٤) فأبلوا بلاءً حسناً في معركة اليرموك التي يذكر الأزدي أنهم كانوا عظم الناس فيها ، وأنّهم كانوا يُقاتلون في ميمنة جيش المسلمين (٥) .

وشَهِدَت حضر موت (٦) من قبائل حمير سبأ ، فتح الشَام ، وقاتلت في ميمنة جيش المسلمين في معركة اليرموك (٧) .

---

(١) فتوح الشام ص : ١٦ . وانظر كارلو نالينو : تاريخ الآداب العربية ص : ١٥٠ والجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأمويّ ص : ٩١ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٤٦٣ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٤٤١ .

(٣) انظر ترجمته في : جمهرة أنساب العرب ص : ٤٣٤ ، والاستيعاب ٢ : ٤٧١ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصورّة الجامعة الأردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق) ٦ : ٧١ ، والاصابة ٢ : ٤٢٨ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ٢٦٩ .

(٤) الأزدي : فتوح الشام ص : ١٠ ، ١٦ . وانظر : د . نزار الحديثي : أهل اليمن في صدر الإسلام ص : ١٥٤ .

(٥) نفسه ص : ٢١٨ ، ٢٢٣ .

(٦) حضرموت بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل ... بن الهَمَيْسع بن حمير . انظر : عُجالة المبتدي ص : ٤٩ .

(٧) الأزدي : فتوح الشام ص : ٢١٨ ، ٢٢٣ .

وشاركت الأزد في تحرير الشام من الروّم . إذْ جاءت إلى أبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ في عدد كثير وجمع عظيم ، فقاتلت الروم في معركة اليرموك ، ووصف الأُزدي بلاءها في تلك المعركة ، فذكر أنَّ الأزد كانوا ثُلث المسلمين فيها ، وانهم قاتلوا قتالاً شديداً لم تُقاتله قبيلة أُخرى (١) .

وجاءت قبيلة همدان (٢) بقيادة حمزة بن مالك الهمدانيّ في جمع عظيم يُقَّدر بألفي رجل وزيادة ، فقاتلت مع المسلمين في اليرموك (٣) .

وقدمت طّيء على أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في عدد كثير ، وذكر الأُزدي أنَّ حابس بن سعد الطائي (٤) قد انضمّ إلى المسلمين يوم وقعة فِحل في نحو من مائة رجل من طّيء (٥) .

ومن القبائل اليمانية الأُخرى التي شَهدتَ فتحَ الشام : قبيلة مَذحج (٦) التي قدمت على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وفيها قيس بن هبيرة المُرادي (٧) . ومعه جمع عظيم من قومه ، فوجَّهها إلى بلاد الشام للمشاركة في تحريرها من الروم (٨) .

---

(١) فتوح الشام ص : ١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٤ ، وانظر : أهل اليمن في صدر الإسلام ص : ١٥٨ .
(٢) هم بنو همدان بن مالك بن زيد بن أُوسلة بن رَبيعة بن الخيار بن مالك بن زيد كهلان . جمهرة أنساب العرب ص : ٣٩٢ ، وانظر الإكليل ١٠ ، ٣٠ ، وعجالة المبتدي ص : ١٢٣ ، وقلائد الجمان ص : ٩٩ .
(٣) الأزدي : فتوح الشام ص : ٣٩ ، ٢١٨ . وانظر أهل اليمن في صدر الإسلام ص : ١٥٨ .
(٤) انظر ترجمته في : الطبقات الكبرى ٧ : ٤٣١ ، والاشتقاق ٢ : ٣٩٣ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٤٠٣ ، والاستيعاب ١ : ٢٧٩ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأردنية) ٤ : ٢٩ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٤٢٢ ، والأعلام ٢ : ١٥١ .
(٥) فتوح الشام ص : ١٦ ، ١١٣ .
(٦) هم بنو مالك بن أُددَ بن زيد بن يَشجب بن عريب بن زيد . جمهرة أنساب العرب ص : ٤٠٥ . وانظر : الإكليل ١٠ : ٢٧ وعجالة المبتدي ص : ١١١ ، وقلائد الجمان ص : ٨٩ . ومذحج لقب لهم .
(٧) بنو مُراد ، واسمه يُحابر ، بطن من مذحج . جمهرة أنساب العرب ص : ٤٠٦ .
(٨) الأزديّ : فتوح الشام ص : ١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ . وانظر : أهل اليمن في صدر الإسلام ص : ١٥٧ .

ومنها : بنو أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن زيد بن كهلان ، وهم خَثعم وبجيلة [1] . فأمّا خَثعم فقد شهدت اليرموك مع المسلمين ، إذا كانت من قبائل اليمن التي استنفرها الصدّيق للجهاد [2]. وأما بنو بجيلة فإنه لم يكن منهم بالشام إلا العدد اليسير [3].

ومنها : قبيلة خولان الكهلانيّة [4] التي يذكر ابن حزم [5] أنّها وقعت بمصر والشام فَخَملت أنسابها . ويذكر الأزدي أنّها شَهِدت فتح الشام وقاتلت

---

(١) خَثعم : ا سمه أَقيل ، ويقال أفتَل ، وانما لقب كذلك بجمل كان له اسمه خَثعم ، وأمه هند بنت مالك بن الغافق بن الشاهد بن علكّ . وأما بَجيلة فهم : بنو خزيمة ووادعة وعَبقر والغوث وصُهيبة وأشهل وَشهل وطريف وسُنيّة والحارث وجَدعة ، وأُمهم بجيلة بنت صَعب بن سَعد العشيرة بن مَذحج . وقد نُسب أولادها من أنمار بن إراش إليها . ويقال : إنَّ بجيلة امرأة حَبشيَة ، حَضنَت بني أنمار باستثناء خثعم ، فنسبوا إليها . جمهرة أنساب العرب ص : ٣٣٠ ، ٣٨٧ ، والأغاني ٢٢ : ٥ ـ ٦ . وانظر : الاشتقاق ٢ : ٥١٥ . والإكليل ١٠ : ٢٩ ، والإنباه على قبائل الرواة ص : ٩٢ ، ٩٣ ، وعُجالة المبتدي ص : ٢٣ ، ٥٣ ، وقلائد الجُمان ص : ١٠٣ ، ١٠٤ ، وصُبح الأعشى ١ : ٣٨٢ . ولعلَّ اشتداد العصبية القبلية في العصر الأُموي قد دفع بعض النّسابين إلى محاولة وصل نسب بني أنمار بن إراش بالنسب العدناني ، فوقع في نسبهم خلاف شديد . انظر السيرة النبوية ١ : ٧٦ ، ونسب قريش ص : ٧ ، والمعارف ص : ٦٤ وأنساب الأشراف ١ : ٢٣ ، وتاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٢ ، ٢٢٣ ، والتنبيه والإشراف ص : ١٥٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١٠ ، والعصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ص : ١٧ ، ٤٩ ، ٣٤٧ .

(٢) الأزديّ : فتوح الشام ص : ٢٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ .

(٣) نَصر بن مزاحم : وقعة صفّين ص : ٢٢٧ . وانظر : تاريخ الرسل والملوك ٥ : ١٤ .

(٤) هم بنو خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مُرّة بن أدد بن زيد بن يَشجُب بن عريب بن زيد ابن كهلان . جمهرة أنساب العرب ص : ٤١٨ . وانظر : الإنباه على قبائل الرواة ص : ١١٧ ، وعُجالة المبتدي ص : ٥٦ ، وقلائد الجُمان ص : ١٠١ .

(٥) جمهرة أنساب العرب ص : ٤١٨ .

الروم في اليرموك [١] .

ومنها أيضاً : زبيد [٢] (من حِمير) وخُزاعة [٣] ، والنَّخَع [٤] (من مَذحج) ، وكهلان [٥] ، ونَبهان [٦]، والأنْصار [٧].

وهكذا نرى أنَّ القبائل اليمانيّة التي جاءت إلى الشام في أثناء الفتح الإسلاميّ ، وقاتلت مع المسلمين في معركة اليرموك هي قبائل : حمْير (ومنها : زبيد وحَضرَموت) والأزد ، وهمدان ، وخثعم ، وبَجيلة ، ومُراد والنخَّع (من مذحج) وطِّيء ، وخزاعة وكهلان ونبهان ، والأنصار ، إلى غيرها من أهل اليمن الذين لم تُعرف قبائلهم [٨]، أو الذين نسبوا إلى مدن أهل اليمن وبلدانهم مثل :سبأ [٩]، وساحل عُمان [١٠] ، ومأرب [١١]، وَصَدوان [١٢].

ومن قبائل اليمن الشاميّة التي حَضَرت فتح الشام وقاتلت مع المسلمين في اليرموك قبائل : قضاعة ، ولخْم ، وجُذام ، وعاملة ، وغّسان ، وكندة [١٣].

---

(١) فتوح الشام ص : ٢١٨ ، ٢٢٣ . وانظر : أهل اليمن في صدر الإسلام ص : ١٥٧ .

(٢) الواقديّ : فتوح الشام ١ : ٦٨ .

(٣) نفسه ١ : ٢٥٧ .

(٤) نفسه ١ : ٦٨ .

(٥) نفسه ١ : ١١١ .

(٦) نفسه ١ : ١١١ ، ٢٦٣ .

(٧) نفسه ١ : ١٠ ، ١٥ ، والأزديّ : فتوح الشام ص : ١٩ .

(٨) نفسه ١ : ٥ ، ٤٠ ، ٧٦ ، ٢٤٥ ، والأزديّ : فتوح الشام ص : ١٠ .

(٩) نفسه ١ : ١٨٠ ، ٢٦١ .

(١٠) نفسه ١ : ٤٠ .

(١١) نفسه ١ : ٢٦١ .

(١٢) نفسه ١ : ١٨٠ .

(١٣) نفسه ص : ٢١٨ .

ثالثاً : القبائل اليمانية الشاميّة في العصر الأمويّ

بدأت صِلة القبائل اليمانيّة الشاميّة بالأمويين مُنذُ ولاية مُعاوية بن أبي سُفيان على الشام ، وتطورّت بعد أن أصهر إِليهم ، إذ كانت أُم ابنه يزيد من كلب . وتوطّدت هذه الصِّلة خلال النِّزاع بينه وبين عليٍّ بن أبي طالب ـ كرَّم الله وجْههُ ـ على الخلافة ، فاستعان مُعاوية بالقبائل اليمانية واستثار عصبيتها ، وجعل النزاعَ بينه وبين عليّ نزاعاً إِقليمياً بين أهل الشام وأهل العراق من أجل السيادة والحُكم . ولمّا صَفت له الخلافة تفرّعت صلتّه بتلك القبائل وتشعبّت ، إِذ جمعت بينهما المصلحة الواحدة والصِّهر ، فاستعمل رجالها في أكثر الدواوين ، وألف منهم كتائب جيشه التي كانت جاهزة للذَّود عن خلافته ، وإخماد ثورات من يُعاديه ، ليظلّ لها نفوذها وسيطرتها وفوائدها التي تجنيها من بقاء دمشق مركزاً للخلافة الإِسلاميَّة (١) .

« وعندما اضطرب أمرُ بني أُمية بعد موت يزيد بن معاوية ، وبدا أنَّ حُكمهم أشرف على الانهيار ، دعمت القبائل اليمانيّة في فلسطين والأردن ودمشق مروان بن الحكم ، وبايعته بالخلافة في مؤتمر الجابية سنة أربع وستّين ، وأيدته على القبائل القيسيَّة ونصرته عليها في معركة مرج راهط » (٢).

وتتضمَّن المصادر معلومات عن القبائل اليمانيّة في صدر الإِسلام ورد أكثرهُا في أخبار تعبئة معاوية بن أبي سفيان لأهل الشام ، استعداداً لُملاقاة أهل العراق بصفِين (٣)، وفي أخبار المعارك التي دارت بها بين الفريقين (٤).

---

(١) د . حسين عطوان : الوليد بن يزيد عرض ونقد ص : ٤١١ ـ ٤١٢ .

(٢) نفسه ص : ٤١٢ . وانظر : د . حسين عطوان : الأمويون والخلافة ص : ١٠٥ .

(٣) صفين : موضع بقرب الرقة ، على شاطىء الفرات من الجانب الغربيّ ، بين الرقة وبالس . انظر : معجم البلدان : صفيّن .

(٤) الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ص : ٩٨ .

وليس في المصادر المُختلفة بعد وقعة صفّين إلى نهاية العصر الأموي نصٌّ فيه إحصاء كامل لقبائل اليمن الشّامية في العصر الأمويّ ، إلا أنّه يمكن استخراج أسماء تلك القبائل وبعض منازلها ، من بَعض نصُوص متفرقة في المصادر ، تشمل معلومات مُفردة عنها [1].

« وتحدّث الهمداني عن القبائل اليمانية ومنازلها بالشام [2] ، ويعود حديثة عنها إلى مطلع القرن الرابع ، ولذلك فإنه من التّجاوز اتّخاذه مصدراً لمعرفة القبائل اليمانية ومنازلها بالشام في العصر الأمويّ . على أنه يُمكن الاعتماد على ما ورد فيه من معلومات توافق المعلومات التي حفظها المؤرخّون والجغرافيون عن القبائل اليمانية ومنازلها بالشام قبل الإسلام وعند الفتح ، وفي صدر الإسلام إلى أخر العصر الأمويّ ، وهو يفيد في هذا الباب فوائد كثيرة ؛ لأنّه يحدّد القبائل اليمانيّة التي هاجرت إلى بلاد الشام ، ويصفُ منازلها بها وصفاً دقيقاً . وأما ما ورد فيه من معلومات تُخالف الصورةَ العامة للقبائل اليمانيّة ومنازلها بالشام في العصر الأُمويّ ، مما يجُمع عليه المؤرخون والجغرافيّون ، فلا يصحُّ التّسليم به ؛ لأنه يتّصل في الغالب بالعصر العباسيّ الأوّل والعصر العباسي الثاني » [3].

أ ـ القبائل الحِميريّة

تألفت هذه الكتلة من القبائل اليمانيّة من مجموعتي : حمير وقضاعة .

١ ـ حِمْيَر.

نزلت حمير مدينة حمص ، بعد أن أتم المسلمون فتح الشام [4]. وتذكر أخبار

(١) الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأُمويّ ص : ١٠١ .
(٢) صفة جزيرة العرب ص : ١٢٩ ـ ١٣١ .
(٣) الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ص : ١٠٤ .
(٤) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٤ : ٢٨ . وانظر : الأبشيهي : المستطرف في كلّ فنّ مُستظرف ص : ٣٠٦ ، وخطط الشام ١ : ٢٦ .

معركة صفّين أنها كانت في ميمنة جيش أهل الشام [١] ، وأنّها قد عُبِّيت مع ذي الكلاع الحميري ـ وفيها عبد الله بن عمر بن الخطّاب ـ لقتال قبيلة ربيعة العراقيّة ، فقاتلتها قتالاً شديداً انجلى عن مقتل قائدها ذي الكلاع فتضعضعت أركانها ، إلا أنها ثبتت بعد ذلك تُحارب مع عبد الله بن عُمر [٢].

وقُتل من ساداتها في صفّين أيضاً : حوشب ذو ظُليم الحِميري [٣]، وكان على رجّاله أهل حمص [٤].

ومن قبائل حمَير بن سبأ الشاميَّة في صدر الإسلام قبيلتا : حضر موت ويحصُب [٥] فأمّا الحضارمةُ : فإنهّم قاتلوا إلى جانب مُعاوية بن أبي سفيان في صفّين [٦]، وأما يحصُب : فيذكر ابن أعثم الكوفيّ أنها انضمَّت في صفّين إلى قبائل كندة ولخم وجُذام ، لقتال قبيلة هَمدان العراقيّة [٧].

---

(١) وقعة صفين ص : ٢٠٦ . وانظر : تاريخ خليفة بن خياط ص : ١٩٥ ، وكتاب الفتوح ٣ : ٣١ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٠٧ ، وشرح نهج البلاغة ٤ : ٢٨

(٢) وقعة صفين ص : ٢٢٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٧ ، ٣٤١ ، وتاريخ خليفة بن خيّاط ص : ١٩٤ ، والدِّينوري : الأخبار الطِّوال ص : ١٧٩ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٣٤ ، ٣٦ ، وكتاب الفتوح ٣ : ٢٠١ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٠٧ ، وشرح نهج البلاغة ٥ : ١٨٤ ، ٢٣٣ .

(٣) انظر ترجمته في : جمهرة أنساب العرب ص : ٤٣٢ ، والاستيعاب ١ : ٤١٠ وتاريخ مدينة دمشق (مصوَّرة الجامعة الأردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق) ٥ : ١٨٩ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ٢٨٥ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ١٧ ، ويقال : إنه من ألهان إخوة قبيلة همدان الكهلانية . انظر : جمهرة أنساب العرب ص : ٣٩٢ .

(٤) وقعة صفين ص : ٢٠٦ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، وانظر : تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ١٩٤ ، ١٩٥ والأخبار الطوال ص : ١٧٢ ، ١٨٥ ، وكتاب الفتوح ٣ : ٢٠٠ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٤٣٢ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ١٧ .

(٥) يحصب بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية ... بن الهميسع بن حمير . جمهرة أنساب العرب ص : ٤٣٥ .

(٦) وقعة صفين ص : ٢٧٠ ، وتاريخ خليفة بن خيّاط ص : ١٩٦ . وانظر : شرح نهج البلاغة ٤ : ٢٨

(٧) كتاب فتوح ٣ : ٤٣ . وانظر : وقعة صفين ص : ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

وكانت حمير في العصر الأمويّ بحمص [١] ودمشق [٢]، وانضمَّ رجالها إلى جيش يزيد بن معاوية الذي أوقع بأهل المدينة في الحَرَّة [٣]. وقاتل الشّعبانيوّن [٤] من حمير مع مروان بن الحكم في مرج راهط [٥].

ومن سادتها : الضَّحاكُ بن المنذر الحميري الذي فاخر معاوية بن أبي سفيان فأغضبه ، إلا أنّ معاوية تمالك غضبه لمّا رأى كثرةَ قوم الضحاكِ وتحزّبهُم له ، فعقد له ولايةً وأمر له بالخلع والحملان [٦]. ومنهم عفير بن زرعْة سيّد حمير بالشام في زمن عبد الملك بن مروان [٧] . والنّضر بن يريم بن معدي كرب ، عامل عمر بن عبد العزيز على فلسطين [٨].

ومن رجالها : عديٌ بن عياش مولى حمير ، صاحب حرس عبد الملك بن مروان [٩]، وعقبة بن عبد الأعلى الكلاعيّ صاحبُ شرط هِشام بن عبد الملك ، وعبد الله ابن عامر الكلاعي صاحب شرط الوليد بن يزيد [١٠]. ومن الحضَرميينٌ : جُبير بن نفيْر ابن مالك الحضرميّ ، أحد علماء أهل الشام ، وكانت له صحبة ورواية [١١].

---

(١) صفة جزيرة العرب ص : ٢٧٥ .

(٢) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٣٥٨ .

(٣) أنساب الأشراف ٤ : القسم الأول ص : ٣٢٧ .

(٤) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٣٣ .

(٥) أبو تمام : نقائض جرير والأخطل ص : ١٦ .

(٦) الإكليل ٢ : ١٩٦ .

(٧) الاشتقاق ٢ : ٥٣١ . وانظر جمهرة أنساب العرب ص : ٤٣٦ .

(٨) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٢٢٣ . وانظر الإكليل ٢ : ١٥٣ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٤٣٥ .

(٩) نفسه ص : ٢٩٩ .

(١٠) نفسه ص : ٣٥٨ ، ٣٦٧ .

(١١) البداية والنهاية ٩ : ٣٣ .

٢ ـ قضاعة .

نزلت قضاعة في صدر الإسلام دمشق وحمص والأردن [١] ، وكان رجالها أعيان عسكر معاوية بن أبي سفيان وثقاته [٢]، فقد استظهر بالكلبيِّين من قضاعة ، واستشارهم لقتال جيش أهل العراق في صفِّين ، فاستجابوا له وقاتلوا معه ؛ لأنهم أصهاره ؛ ولأن زوج عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ كانت منهم أيضاً ، فهبُّوا معه للطلب بدم عُثمان [٣]، وبعد موقعة صفِّين ظلَّت قضاعة تقف إلى جانب بني أُميَّة وتنصرهم وتقاتلُ خصومهُم بدافع من خوفها على مصالحها ، وكانت تتألف من البطون التالية :

أ ـ تنوخ .

ذكر نصرُ بن مزاحم أنَّ كتيبة من تنوخ ، كانت تقاتل مع جيش معاوية في صفِّين ، وأنَّ من رجالها الحارث بن المنذر التنوخي [٤].

وحدَّد الهمداني منازلها فقال : « إن تياسرتَ من حمص عن البحر الكبير ، وهو بحر الروم ، وقعتَ في أرض بهراء ، ثم من أيسرهم ممّا يلي البحر تنوخ ، وهي ديار الفُضيض سادة تنوخ ومعكودهم [٥]، ومنها اللاذقيَّة على شاطئ البحر». [٦]

وتدل بعضُ الأشعار التي قيلت في معركة مرج راهط على أنَّ التنوخيين قد قاتلوا مع غيرهم من بطون قضاعة ، إلى جانب مروان بن الحكم ، فذكرهم في رَجزه قائلاً :

---

(١) الأخبار الطِّوال ص : ١٧٢ . وانظر : وقعة صفين ص : ٢٠٧ ، وشرح نهج البلاغة ٤ : ٢٨ .
(٢) كتاب الفتوح ٣ : ١٠٨ .
(٣) وقعة صفين ص : ٢٢٧ ، وأحمد الحوفي : أدب السياسة في العصر الأُموي ص : ٤٥٧ .
(٤) وقعة صفين ص : ٣٥٥ . وانظر : مروج الذهب ٣ : ١٢٥ ، ١٢٣ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٤، والكامل في التاريخ ٣ : ٣١٣ .
(٥) المعْكود : المقيم الملازم ، أو لسان القوم .
(٦) صفة جزيرة العرب ص : ٢٧٤ ـ ٢٧٥ . وانظر : خطط الشام ١ : ٢٦ .

لمّا رأيتُ الأمْرَ أمراً نَهبا يسَّرْتُ غَسّانَ لهم وكلْبا (١)
ومن تنوخ مُشمخّراً صَعْبا لا يأخُذونَ المُلكَ إلاّ غصْبا

ويقول زُفَر بن الحارث الكلابيّ (٢) الذي فرَّ من المعركة بعد هزيمة القيْسيَّة : (٣)

ألا ليْتَ شِعري هل تُصيبنَّ غارتي تَنوخاً وحيّي طَيِّءٍ من شِفائيا

ويُستفادُ من ورُودها في الشّعر أنَّ لها قُوّةً كبيرة ، لها أثرُها في مسانَدة بني أُمية ، غير أنّه لم يَرِدِ لرجالها ذِكرْ بعد ذلك في حوادث بلاد الشام ، ولعلَّ ذلك يَرجعُ إلى استعمال الأُمويين لهم في حَملات الصّوائف والشّواتي على الحدود الشّماليّة للدولة (٤) .

ويذكرُ المسْعوديّ أنّها كانت مع قبيلة طَّيء بحاضر قنَّسرين في أواخر الدولة الأُمويَّة فوثَبتا على مروان بن محمَّد آخر خلفاء بني أميَّة ، لّما مرَّ بقنسَّرين مُنْهزماً بعد معركة الزَّاب من أرض الموصل ، ونهبتا عسْكره ؛ لأنَّه كان تعصَّب عليهما وجفاهُما أيام دولته، وقَتَل منُهما جماعة (٥) .

ب ـ كلْب

يقول الهَمْدانيّ : (٦) « وأمّا كلب فمساكنُها السَّماوة ، ولا يخالط بطونَها في

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٨ . وانظر : التّنبيه والإشراف ص : ٢٦٧ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٩ على اختلاف في الروايّة .
(٢) ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيَّة عن مخطوطة المكتبة الظاهريّة ، بدمشق) ٦ : ٢١١ ، والأعلام ٣ : ٤٥ .
(٢) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٤٢ . وانظر : الكامل في التاريخ ٤ : ١٥٢ .
(٤) صالح العلي « القبائل العربية في بلاد الشام في زمن الخلفاء الراشدين » مجلة دراسات (المجلّد الرابع عشر ، مطبعة الجامعة الأُردنية عمان ، نيسان ١٩٨٧) العدد الرابع ، ص : ٤٨ .
(٥) مروج الذهب ٤ : ٩٢ ، وزبدة الحلب من تاريخ حلب ١ : ٥٣ . وانظر : نقائض جرير والأخطل ، ص : ٦ ، وكتاب الفتوح ٨ : ١٨٥ ، والأزديّ : تاريخ الموصل ص : ١٣٦ ، وخطط الشام ١ : ١٣٠ .
(٦) صفة جزيرة العرب ص : ٢٧٢ .

السَّماوة أَحد ، ومن كلب بأرض الغُوطة عامرُ بن الحُصين بن عُلَيْم ، وابن رباب المعْقـلي » .
ويقول : « وقراقر بين كلب وذُبـيان ، وهو منهلٌ ، وعُراعر ، وكان يوم قُراقرٍ وعُراعِرٍ بين كلب وعَبس » .

ويتحدَّث عن قُرى ديار كلب فيقول : « وما وقع في ديار كلب من القُرى تَدمُر وَسَلَمية والعاصِميَّة وحمص ، وهي حِميرية ، وخلفها ممَّا يلي العراق حماة وَشْيزَر وكُفرطاب لكنانة من كلب ، ثُّم ترجع بكِنانة كلب من ديارها هذه إلى ناحية السَّماوة والفرات من المدن تلّ منَّس ، وحَرْص وَزغرايا ومنبج ، ومنبج مُشتركة بينهُم وبيْنَ بني كلاب إلى حدّ وادي بُطنان ، ثُّم تأتي الفُرات من بلد الروم شاقا في طرف الشام على التواء إلى العراق ،فغربيّه ديار كلب ، وشرقيّه ديا رمُضَر » [١] .

ونزلت كلب أيضاً دمشق [٢]وبريَّتها [٣] والأُردن وحَوران [٤]. وقد سَمت منزلتُها في العـصر الأُموي ّ حتـى أصبح اسْمُها يُرادف كلمة اليمـن [٥]، وكـان لرجالهـا الأمرُ والنّهي وصدرُ المجْلس والمشورة قبل الحلِّ والعَقد [٦]، وقربَّها الأُمويّون واعتمدوا عليها في تثبيت مُلكـهم ، فبعد موت معـاوية بن يزيد بن معـاوية الــذي نزل عن الخلافــة ،

---

(١)صفة جزيرة العرب ص : ٢٧٥ . وانظر أنساب الأشراف ٥ : ١٤٧ ، ٣٠٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٩ ، ٧ : ٢٤٣ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، والأغاني ١٩ : ١٤٣ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٥١ ، ٥: ٣٢٨ ، والبداية والنهاية ١٠ :١٠ .
(٢) أنساب الأشراف ٥ : ١٣٣ . وانظر : تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٣ ، ٧ : ٢٤١ ، والعقد الفريد ٥ : ١٣٥ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٦ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ١٠ .
(٣) مروج الذهب ٢ : ٣٠٠ .
(٤) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٧ ، والعقد الفريد ٥ : ١٣٥ ، ١٣٦ . وانظر عدداً من منازلها في العصر الأُمويّ في : الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأُموي ص : ١٠٣ .
(٥) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١ : ٤٩٥ .
(٦) مروج الذهب ٣ : ٢٨٥ .

وأرادها أن تكون شُورى بين المسلمين ، صلّى حسّان بنُ مالك بن بَحدل الكلبّي(١) بالناس ، ودعا إلى نفسه بالخلافة أيّاماً ، ثم سلّمها إلى بني أُمية . فأصبح الناس فريقين : حسّان بن مالك بالأُردن يَهوى هوى بني أُميّة ويدعو إليهم ، والضّحّاك بن قيس الفهريّ(٢) بدمشق يهوى هوى عبد الله بن الزّبير ويدعو إليه(٣) .

وكانت كلب تدعو إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، وتتعصّب لأبيه يزيد ؛ لأنّ أُمّهُ منهم ، ثُمّ اتّفق الأُمويّون وأهل اليمن بزعامة كلب على مبايعة مروان بن الحكم بالخلافة لأنّه كبير بني أُمية ومقدّمهم ؛ ولأنّ خالد بن يزيد كان حديثَ السّن ، فثارت قيس الشام بزعامة الضّحاك بن قيس ، فأوقعت بها كلب وأخواتها من القبائل اليمانية هزيمة ساحقة في معركة مرج راهط (٤) ، قُتل فيها الضّحاك بن قيس ، وتمّت البيعة لمروان بن الحكم في الشام وتَبعته مِصر (٥).

---

(١) انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنية) ٤ : ١٩٩ ، وسير أعلام النّبلاء ٣ : ٥٣٧ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ١٤٨ ، والأعلام ٢ : ١٧٦ .

(٢) انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنية) ٨ : ٢٠٦ ، وتقريب التهذيب ص : ٢٧٩ .

(٣) نقائض جرير والأخطل ص : ٧ ، وأنساب الأشراف ١ : ١٣٥ ، ٤ : القسم الأول ص : ٣٥٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣١ .

(٤) هو موضع في الغوطة من دمشق . وراهط اسم رجل من قضاعة . انظر معجم البلدان : راهط.

(٥) نقائض جرير والأخطل ص : ١٣ ، ١٦ ، وأنساب الأشراف ٥ : ١٣٦ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٧ ، والعقد الفريد ٥ : ١٣٥ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، والأغاني ١٩ : ١٣٩ . وانظر د . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ص : ١٥١ ، والأمويون والخلافة ص : ١٠٩ ، ١١١ . وانظر أيضاً : رجز مروان بن الحكم الذي يذكر فيه قتال كلب إلى جانبه في مرج راهط في : نقائض جرير والأخطل ص : ١٧ : وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٨ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٨٦ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٦٧ .

هذا ولم تكن كلب تَتَوانى عن نُصرة الأمويِّين قبل مرج راهط وبعدها ، إذ ظلّت تُؤيِّدهم وتُقاتِلُ خُصومَهم ، ما داموا يعرفون لها قدْرها ويَرعون لها مصالحها [١] .

واستَعرت العصبيّة القبليّة بين كلب وقيْس بعد هذه الوقعة ، فقاد القيْسيَّةَ زُفَرُ بن الحارث الكلابيّ - الذي لحق بعد الهزيمة بقرقيسياء من أرض الجزيرة - وانضم إليه عُمير بن الحُباب السُّلمي [٢]، فأخذا يُغيران على كلب [٣]، وتُغير كلب عليهما في أيام منها : يوم الإكليل و يومُ السَّماوة ، ويومُ الغُوَير ، ويومُ الهَيل ، ويوم كآبة ويوم دُهمان [٤].

ولمّا رأت كلب المَدر مالقيته كلب البوادي من زُفر بن الحارث وعُمير بن الحُباب أمَّروا عليهم حُمَيْد بن حُريث بن بحدل الكلبيّ [٥]، فجمع كَلْباً وأغار بها على قيس غير مرَّة ، فقتلَ منها وسبى ، فخرج عُميرُ بن الحُباب هارباً إلى زفر بن الحارث بقرقيْسياء [٦] .

وشكت فَزارةُ - من قيس - إلى عبد الملك بن مروان صنيعَ حُميد بن حُريث بها ، فودى قتلاها من أعطيات قضاعة وحمير الذين بالشام ، فقبلِ القومُ الدِّيات ، ولكنَّهم اشتروا بها سلاحاً وخيلاً وأغاروا بقيادة سعيد بن عُيَيْنَةَ وحَلحَلة بن قيس الفزاريِّين ، على

---

(١) أنساب الأشراف ٤ : القسم الأول ص : ٣٢٣ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٦١٠ ،٦ : ٨٦ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٣٣٨ .

(٢) انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنية) ١٣ : ٣٣٨ .

(٣) نقائض جرير والأخطل ص : ٢٦ ، وأنساب الأشراف ٥ : ٣٠٨ .

(٤) الأغاني ٢٣ : ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، وانظر : د . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ص : ١٥١ ، والعصبية القبليَّة وأثرها في الشعر الأموي ص : ٢٩٩ .

(٥) انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأردنية) ٥ : ١٧٢ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ٢٧٣ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ٤٦٣ .

(٦) أنساب الأشراف ٥ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، والأغاني ١٩ : ١٤٢ - ١٤٥ ، ١٤٧ .

بطون من كلب ، وهم على ماءٍ لهم يُقال له : بنات قَين ، فقتلوا منهم قتلى كثيرة ، فعرض عبدُ الملك بن مروان الدِّية على كلب عن قتلاها في ذلك اليوم ، فلم تقْبلها ، فدفع إِليها سعيد بن عُيينةوحلحلة بن قيس فقتلتهما [١].

وكان لغارات عُميْر بن الحُباب السُّلَمّي على كلب أثر كبير ، فقد قَتَل منهم قتلى كثيرة ، واستاقَ غنائمَ عظيمة ، فتحمّلت كلب عن منازلها هاربةً منه ، فصار بعضُها إِلى الغوير بين العراق والشام [٢]، وصار بعضُها إلى غَور الأُردن وتحوَّل بعضُها إِلى ساحل الأُردن فنزل جنوب عكّا [٣].

ج - سائر بطون قضاعة .

ومن بطون قضاعة الأُخرى التي كانت بالشام في العصر الأُمويّ : بَهراء وبليّ . وقد قاتلت بَهراء تحت راية تنوخ في معركة صفّين [٤]، وذكر الهَمْدانيّ منازلها فقال : « إنْ تياسرتَ من حمص عن البحر الكبير ، وهو بحر الروم ، وقعتَ في أرض بهراء » [٥]. ومن رجالها في العصر الأموي : مُعلنُ بن صفّار البهرانيّ والي أرمينيَة وأذْربيجان لهشام ابن عبد الملك [٦]، وجعفر بن حَنظلة البَهرانيّ الذي خلف أسد بن عبد الله القسْري على خُراسان [٧].

---

(١) أنساب الأشراف ٥ : ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، والأغاني ١٩ : ١٤٧ - ١٥٠ .
(٢) الأغاني ٢٣ : ١٩٠ .
(٣) نفسه ٢٣ : ١٩٣ ، والجغرافيّة التاريخية لبلاد الشام في العصر الأُمويّ ص : ١٠٤ .
(٤) مروج الذهب ٣ : ١٢٥ ، ١٣٢ .
(٥) صفة جزيرة العرب ص : ٢٧٤ .
(٦) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٤١ .
(٧) اليعقوبيّ : البلدان ص : ٦٢ .

وذَكَر ديار بليّ فقال : «من مُنقطَع دار جُهينْة (عند واد بين نجْد والبحر) دار بليّ إلى حدّ دار جُذام بالنَّبك على شاطيء البحر ، ثمّ عينُونا من خلفها ، ثُمّ لها ميامنُ البَّر إلى حدّ تبوك ، ثم إلى جبال الشَّراة ، ثَّم إلى مَعان ، ثَّم راجعاً إلى أيلة إلى أن تقول المَغار : ها أنا ذه»(١).

وليس لبليّ أو لرجالها ذِكر في حوادث بلاد الشام في العصر الأمويّ ، ولعلّ ذلك يرجعُ إلى بُعدهم عن مركز الحُكم في دمشق ، إذ كانوا في جنوبيّ بلاد الشام ، وإلى هِجرة بعضهم إلى الأندلس (٢).

ومن بطون قضاعة أيضاً : سَليح ، والقَين ، وجُهينة ، وعُذرة ، وخُشَين ، وجرم ، فقد ذكر الهمَداني (٣) أنّ الضَّجاعم من سَليح كانوا بالبلقاء وَسلمية وحُوَّارين والزّيتون ، ويظهر أنّ بني سليح لم يكن لهم دور يذكر في حوادث بلاد الشام ، فلم تتحدّث عنهم المصادر المختلفة .

وأما بنو القَين فإنهم كانوا ينزلون الأردن في صدر الإسلام ، ومن رجالهم : حُبيشُ ابن دلجة القَيني (٤) الذي قاد قضاعة الأردن في موقعة صفّين ، وعبد الرحمن بن قيس القينيّ الذي كان على رجَّالتها (٥). وذكر الهَمدانيّ أنّ ديارهم : الحيّانيّات(٦) وما يليها ، وأنَّها كانت تُخالط لخماً في ديارها بالأردن وفلسطين ودمشق (٧). ويذكر الطبريّ أنها

---

(١) صفة جزيرة العرب ص : ٢٧٣ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٤٣ .

(٣) صفة جزيرة العرب ص : ٣١٩ .

(٤) انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأردنية) ٤ : ٩٨ والأعلام ٢ : ١٦٧ .

(٥) وقعة صفين ص : ٢٠٦ ، ٢٠٧ . وانظر : تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ١٩٦ وشرح نهج البلاغة ٤ : ٢٨٠

(٦) الحيّانية : كورة بالسَّواد من أرض دمشق ، وهي كورة جَبَل جَرش قرب الغور . انظر معجم البلدان : الحيّانية .

(٧) صفة جزيرة العرب ص : ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

كانت بُقرب الأزرق [١] الواقع بين أرضها وأرض فزارة [٢].

وشاركت القَين في جيش يزيد بن معاوية الذي أرسله لقتال أهل المدينة وحصار مكَّة، وبرزَ من رجالها حُبيش بن دلجة القينيّ، وكان يراه مُسلم بن عُقبة المُرِّي قائد جيش أهل الشام أحقَّ الناس بعده بقيادة الجيش وقُتل بالرَّبذة من قُرى المدينة في أيام عبد الله بن الزُّبير [٣].

وانضمّت إلى بني أُمية في مرج راهط، وقاتلت معهم، يقول مروان بنُ الحكم [٤].

لمّا رأيتُ الأمر أمراً نهبا ... يسَّرت غسّان لهم وكلبا
والقَيْن تَمشي في الحديدِ نُكْبا ... ومن تنوخ مُشْمخرّاً صَعبا

وكان بعض جُهينة بفلسطين والأُردن ودمشق [٥]، وهي من بطون قضاعة التي أيَّدت يزيد بن الوليد في خلع ابن عمّه الوليد بن يزيد بن عبد الملك في أواخر العصر الأموي [٦].

ومن رجالها: طلحةُ بن سعيد الجُهني عاملُ الحجّاج على البَصْرة في أيام الوليد بن عبد الملك [٧].

---

(١) هو اليوم من محافظة الزرقاء بالأردن.

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢١١ . وانظر الأغاني ٧ : ١٠ .

(٣) أنساب الأشراف ٤ : القسم الأول ص : ٣٣٨ . ٥ : ١٥٠ ، ١٥٣ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٤٣ . وانظر تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٢٦١ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٨٢ ، ٤٩٦ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٨ . وانظر : نقائض جرير والأخطل ص : ١٧ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٨٦ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٦٧ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٩ على اختلاف في الرّواية .

(٥) صفة جزيرة العرب ص : ٢٧٣ . وانظر : خطط الشام ١ : ٢٦ .

(٦) الكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٥ .

(٧) تاريخ خليفة بن خياط ص : ٣١٠ .

وأما عُذرة فقد قاتلت في معركة صفّين تحت راية حِمْيرَ ، وكان صاحب لواء ذي الكلاع الحِمْيري رجُلاً من عذرة[١] . ومن أشهر رجالها في العصر الأُموي : زمل بن عمرو العُذري[٢] ، وكان على شُرطة معاوية بن أبي سفيان[٣]، وهو ممَّن أرسلهم يزيدُ ابن معاوية إلى عبد الله بن الزبير ؛ ليعظوه ويُحذروه من الخروج على يزيد ، وليأخذوا بيعته[٤]. غير أنَّ زمل بن عمرو قد بايع بعد ذلك لابن الزُّبير وانحاز إلى الضَّحاك بن قيس في مرج راهط[٥]. ومنهم : عبدُ بن الحَسحاس العذريّ عامل عمر بن عبد العزيز على دمشق[٦]. ويذكر ابن الأثير أنَّ رجال عذرة أيَّدوا يزيد بن الوليد في خلع الوليد بن يزيد ، وكان عليهم ربْعيّ بن هاشم الحارثيّ[٧].

وكانت خُشَين بداريا[٨] من قرى غوطة دمشق[٩]، وقاتلت يوم المرج مع مروان ابن الحكم[١٠]. ومن رجالها : سُليمان بن سعد مولى خشين ، صاحبُ ديواني الخراج والجُند في خلافة عبد الملك بن مروان وابنيه الوليد وسُليمان[١١].

---

(١) وقعة صفين ص: ٤٣٧ . وانظر مروج الذهب ٣ : ١٣٠ ، وجمهرة أنساب العرب ص: ٤٤٩ .

(٢) ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مصورة الجامعة الأردنية) ٦ : ٢٢١ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٤٤٩ .

(٣) البداية والنهاية ٨ : ١٤٥ .

(٤) كتاب الفتوح ٥ : ٢٧٩ .

(٥) نقائض جرير والأخطل ص : ١٥ .

(٦) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٣٢٣ .

(٧) الكامل في التااريخ ٥ : ٢٨٥ .

(٨) البداية والنهاية ٩ : ١١ .

(٩) انظر : معجم البلدان : داريّا .

(١٠) نقائض جرير والأخطل ص : ٢٢ .

(١١) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٢٩٩ ، ٣١٢ ، ٣١٩ .

وسكنت جَرم داريّا [١]، وكان بعضُها يتبدى بنواحي الشام مع كلب وعُذرة [٢].

ب ـ القبائل الكهلانية

تألّفت هذه الكُتلة اليمانية في العصر الأُمويّ من القبائل التالية :

١ ـ الأزد

قاتلت الأزد مع معاوية بن أبي سفيان في صفيّن ، ويُروى أنَّ علّي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ دار في يوم من أيّام المعركة على رايات أهل الشام ، وسأل عنها ، فسُمّيت له ، حتى إذا عَرفها قال لأزد الكوفة : اكفوني أزد الشام ، وأمر كلَّ قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أُختَها من أهل الشام [٣].

ويذكر نصْر بن مُزاحم أنَّ الأزد قاتلوا قبيلة هَمدان ، بالإضافة إلى قومهم من أزد العراق [٤]. واستوطن بعضُهم حِمصَ وفلسطين في صدر الإسلام [٥].

وأيَّد الأزديُّون ، شأن غيرهم من أهل اليمن ، بني أُميَّة وانحازوا إليهم ، فولي جُنادةُ ابن أبي أُمية الأزديّ [٦]غزوَ البحر لمعاوية بن أبي سفيان . وكان عبد الملك بن جَزء الأزدي

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأردنية) ٣ : ٢٥١ .

(٢) الأغاني ١٢ : ٤٢ ، و ٢٢ : ١٢٩ .

(٣) وقعة صفّين ص : ٢٢٩ ، ٢٦٢ . وانظر : الأخبار الطوال ص : ١٧٤ ، ١٨١ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ١٤ ، وكتاب الفتوح ٣ : ١٤١ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٢٩٦ ، وشرح نهج البلاغة ٥ : ١٨٦ .

(٤) وقعة صفين ص : ٢٢٧ . وانظر : شرح نهج البلاغة ٥ : ١٨٤ .

(٥) نفسه ص : ٢٠٧ .

(٦) انظر ترجمته في : جمهرة أنساب العرب ص : ٣٨٦ ، والاستيعاب ١ : ٢٤٩ ، ،تاريخ مدينة دمشق (مصوَّرة الجامعة الأردنية) ٤ : ١٥ ، وسير أعلام النبلاء ٤ : ٦٢ ، وتهذيب تاريخ دمشق لا بن عساكر ٣ : ٤١١ ، والأعلام ٢ : ١٤٠ .

من أهل فلسطين عاملاً لخالد القَسريّ على الكوفة [١].

ويذكر ابن كثير أنَّهم فَسدوا على الوليد بن يزيد ، فبايعوا ابن عمِّه يزيد بنَ الوليد في أواخر العصر الأمويّ [٢].

و اشترطت قبيلة علكّ الأزديّة [٣] على معاوية بن أبي سُفيان ، قبل أن تُقاتل معه في صفّين ، أنْ يجعلْ لها فريضةَ ألفي رجل في ألفين ، ومن هلك فابن عمِّه مكانه ، ففَرض لها [٤]. وكانت علكّ بالأردن [٥] في العصر الأمويّ ، وخالطت أيضاً قبيلتي هَمدان ومذحج بالفَلَجة [٦] ، وقاتل رجالها أهل المدينة في وقعة الحرَّة [٧].

ومن قبائل الأزد ذات الصلّة العريقة بالشام قبيلةُ غسّان التي استوطنَ بعضُها الأردن في صدر الإسلام ، وكان عليها يوم صِفّين يزيد بن الحارث الغسّانيّ [٨].

وكانت ديارُها بينَ دمشق وحمص وما يليها إلى قريب من جبل عامِلَة [٩]، وكانت

---

(١) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٣٥٨ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٦ .

(٢) البداية والنهاية ١٠ : ١٠ .

(٣) هم بنو علكّ بن عَدنان بن عبد الله بن الأزد . جمهرة أنساب العرب ص : ٣٧٥ . وقد حدث لهذه القبيلة مثلما حدث لقضاعة وللخمِ وجُذام من تنازع في النسب ، فنُسبت إلى العدنانيّة . انظر : السيرة النبوية ١ : ٨ ، ١٠ ، ونسَبَ قريش ص : ٥ ، وأنساب الأشراف ١ : ١٣ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٩ ، ١٠، ٣٢٨ .

(٤) وقعة صفين ص : ٤٣٣ . وانظر : كتاب الفتوح ٣ : ٢٢١ ، وشرح نهج البلاغة ٨ : ٧٦ .

(٥) كتاب الفتوح ٧ : ١٣٠ .

(٦) صفة جزيرة العرب ص : ٢٧٤ . وقال ياقوت الحمويّ : فلَجة بالتَّحريك « قال نَصر : أ حسبُه موضعاً بالشام ». ظر معجم البلدان : فلجة .

(٧) أنساب الأشراف ٤ : القسم الأول ص : ٣٢٣ . وانظر : مروج الذهب ٣ : ٢٦٨ .

(٨) وقعة صفين ص : ٢٠٧ . وانظر : تاريخ خليفة بن خياط ص : ١٩٦ ، والأخبار الطوال ص : ١٧٦ .

(٩) صفة جزيرة العرب ص : ٢٧٤ .

غسّان أيضاً بدمشق [١] وبالبَثَنيَّة من نواحي دمشق [٢] .

وفي مرج راهط قاتلت غسّان مع مروان بن الحكم فذكَرها في رَجَزه وقال [٣] :

لمّا رأيْتُ الأمرْ أمراً نَهبْــا   يسَّرتُ غسّان لهم وكلبا

ولم يشهد يزيد بن أبي النَّمس الغسّاني الجابِيَة ، « وكان مُختبئاً بدمشق ، فلّما نزل مروان [بن الحكم] مرْج راهط ، ثار يزيد بن أبي نمس بأهل دمشق في عبيدها ، فغلب عليها ، وأخرج عامل الضَّحاك [بن قيس الفِهْريّ] منها ، وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان ، وأمدّه بالأموال والرِّجال والسِّلاح [٤] .

وفي أواخر العصر الأمويّ انضمَّت غسّان إلى يزيدَ بن الوليد ، وسارت معه لقتال الوليد بن يزيد [٥]. ومن رجالها : يَحْيى بن قيس الغسانيّ صاحب شُرط مروان بن الحكم [٦].

٢ ـ لخم وجُذام .

قاد ناتلُ بن قيس الجُذاميّ [٧] لخم فلسطين وجُذامها في معركة صفيِّن [٨]، وقد

---

(١) أنساب شراف٥ : ١٣٣ . وانظر : الكامل في التاريخ ٤ : ١٤٧ .
(٢) الأغاني ١٥ : ١٣١ .
(٣) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٨ . وانظر : نقائض جرير والأخطل ص : ١٧ ، وكتاب الفتوح ٥ : ٣١٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٨٦ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٦٧ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٩ .
(٤) نفسه ٥ : ٥٣٧ . وانظر : أنساب الأشراف ٥ : ١٣٦ .
(٥) البداية والنهاية ١٠ : ١٠ .
(٦) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٢٦٣ . وانظر : المُحبَّر ص : ٣٧٣ ، وأنساب الأشراف ٥ : ١٣١ .
(٧) انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنية) ١٧ : ٢٤٤ ، وتقريب التهذيب ص : ٥٥٧ .
(٨) وقعة صفيّن ص : ٢٠٧ . وانظر : تاريخ خليفة بن خياط ص : ١٩٦ ، والأخبار الطوال ص : ١٧٢

قاتلت لخْم قبيلة بجيلة التي كانت تُقابلها في جيش العراق [١] .

وكان مُعاوية بن أبي سفيان يضُم القبيلتين إلى يَحْصب وكِندة ؛ لقتال قبيلة هَمدان العراقية تارةً [٢] ، ويَضمُّهما إلى علكّ والأشعريْن ؛ لقتال قبيلة مذحج تارةً أُخرى [٣].

وسكنت لخم في العصر الأمويّ دَيرَ المُرَّان والأرزة وسطران والمِزَّة من قُرى دمشقَ [٤] ، وحَدَس ورفحَ [٥] ومناطق أُخرى من فلسطين [٦].

وتحدَّث الهمدانيّ عن منازلها فقال : « أمّا مساكن لخْم فهي متفرقة وأكثرها بين الرملّة ومصر في الجفار ، ومنها في الجولان ، ومنها في حوران والبَثَنيَّة ومدينة نوى [٧]» . وقال « والمغار منزل للخْم ، ثُّم وقعت في ديار لخْم من حدّ المغار ثم الدّاروم ثمَّ الجفار، ... ، ثمَّ للخم ومن يُخالطها من كنانه ماحول الرَّملة إلى نابلس ، ولهم أيضاً ما جاز تبوك إلى زُغَر وهو بلد النَّخل ، ومنها التَّمر الزُّغري ، ثم البُحيرة الميِّتة التي يرمي فيها وادي اليرموك في الأُردن ، وللخْم أيضاً الجولان وما يليها من البلاد ، نوى والبثَنيَّة وشقص من أرض حوران ، ويُخالطهم في هذه المواضع جُهينة وذبيان ومن القَين [٨] » .

وأمّا جُذام فكانت بفلسطين [٩] والأردن [١٠]، وذكر الهمدانيّ أنَّ منازلها بين مدْين إلى تبوك فإلى أذرح ، ومنها فخِذ ممّا يلي طَبَريَّة من أرض الأردن إلى اللّجُّون واليامون

(١) وقعة صفين ص : ٢٢٩ . وانظر : الكامل في التاريخ ٣ : ٢٩٦ .
(٢) كتاب الفتوح ٣ : ٤٣ ، ومروج الذهب ٣ : ١٢٥ .
(٣) وقعة صفين ص : ٣٠١ . وانظر : كتاب الفتوح ٣ : ٣٦ ، وشرح نهج البلاغة ٥ : ٢٣٨ .
(٤) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٤٢ ، ٣١٣ .
(٥) معجم البلدان : حَدَس ورَفح .
(٦) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٩٧ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣١ ، ٧ ٢٩٧ .
(٧) صفة جزيرة العرب ص : ٢٧١
(٨) نفسه ص : ٢٧٣ . وانظر : خطط الشام ١ : ٢٥ ، ٢٦ ، والجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ص : ١٠٦ .
(٩) أنساب الأشراف ٥ : ١٢٨ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٩٧ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣١ ، ٧ : ٣١٢ ، ٣١٤ .
(١٠) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٢٠ .

إلى ناحية عكّا » وأنَّ حسمى من حدودها ، وهي بينها وبين فَزارة ، ومن بني الثُّعل من بني جَرى من جُشم بن جُذام قوم بِعَبسان : قرية بداروم غزة [١] .

وشارك رجال القبيلتين في قتال أهل المدينةوحصار مكّة في عهد يزيد بن مُعاوية [٢] . وقُبيل معركة مرج راهط استخلف حَسّان بن مالك روح بن زنباع الجُذامي [٣] على فلسطين ، ولحق بالأردن . فَوَثب ناتل بن قيس الجُذاميّ [٤] في من تبعه من لخْم وجذُام على رَوْح بن زِنباع ، وأخرجه من فلسطين ، وأخذ يدعو لعبد اللّه بن الزُّبير [٥] . وانضمَّت لخم وجُذام إلى جيش مَسْلَمة بن عبد الملك الذي خرج لغزو القسطنطينيَّة وكان عليهما وعلى طيء عبدُ الله بن عديّ بن حاتم الطائيّ [٦] .

ويذكر ابن كثير أنَّ لخماً بايعت يزيد بنَ الوليد وقاتلت معه في ثورته على ابن عمِّه [٧] .

ومن رجال لخْم : عبدُ السَّلام اللَّخْميّ أحد قَتَله الوليد بن يزيد [٨] ، وبُكَيرُ بن شمّاخ اللَّخميّ صاحبُ شُرط يزيد بن الوليد [٩] .

---

(١) صفة جزيرة العرب ص : ٢٧٢ .
(٢) أنساب الأشراف ٤ : القسم الأول ص : ٣٢٣ .
(٣) انظر ترجمته في : الاستيعاب ٢ : ٥٠٢ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصورَّة الجامعة الردنية) ٦ : ١٥٠ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٨ : ٣٣٩ ، والذهبيّ : العِبرَ في خبر من غَبر ١ : ٩٨ ، والبداية والنهاية ٩ : ٥٣ ، وابن العماد الحنبليّ ، شذرات الذّهب في أخبار من ذَهب ١ : ١٩٥ ، والأعلام ٣ : ٣٤ . وانظر أيضاً : كتاب الفتوح ٧ : ٨٤ ، ٨٩ ، والثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص : ٥٤٦ ، وزهر الآداب وثمر الألباب ٢ : ٦١٠ .
(٤) انظر : خبر مقتله بأجنادين في :أنساب الأشراف ٥ : ١٥٩ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٩٩ .
(٥) نقائض جرير والأخطل ص : ٦ . وانظر : أنساب الأشراف ٥ : ١٢٨ ، ١٣٢ ، والعقد الفريد ٥ : ١٣٥ .
(٦) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٨٥ .
(٧) البداية والنهاية ١٠ : ١٠ .
(٨) تاريخ خليفة بن خياط ص : ٣٦٤ . وانظر : كتاب الفتوح ٨ : ١٤٠ .
(٩) نفسه ص : ٣٧١ .

ومن جُذام : ثابتُ بنُ نُعَيم الجُذاميّ (١) سيِّد جذام في زمنه ، وقد خرج بناحية الأُردن على مروان بن محمَّد آخر خلفاء بني أُميَّة ، فأجابته إلى الثَّورة بعض أجناد الشام كفلسطين وغيرها ، ولكنَّه ما لبث أن هُزم ، ثمَّ قُبِضَ عليه وصلب هو وأولاده على أبواب دمشق (٢).

٣ ـ كِنْدة .

نزلت كِنْدةُ بعد الفتح مدينتي حمص ودمشق ، وكان على كِندة حمْص في صفِّين : يزيد بن هُبَيْرة السَّكوني ، وعلى كِنْدة دمشق : عبد الله بن حُويّ السَّكسَكيّ (٣) فقاتلت كِنْدة العراق (٤).

وفي العصر الأُموي كانت السَّكاسِكُ والسَّكون من كِندة بدمشق وبيت لَهْيا من قرى غوطة دمشق ، وبحمص والأردن والبلقاء ، وبقرية السَّافرية قرب الرَّملة (٥). وقاد كِندة الشام في وقعة الحرَّة الحُصين بن نُمير السَّكونيّ (٦)، ثمَّ تولىّ قيادة جيش أهل الشام بعد الوقعة ، فحاصر مكّة ورمى الكَعبة بالمجانيق (٧). وقُتِلَ سنة ستّ وستّين هجريّة (٨).

(١) انظر ترجمته في : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٣٧٥ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص : ٣٧٤ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣٩ ، وتاريخ الرسل والملوك ٧ : ٣١٤ ، وانظر : مروج الذهب ٤ : ٨٠ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٨٢ .

(٣) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ١٩٦ . وانظر : الأخبار الطّوال ص : ١٧٢ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٤٩٢ . وشرح نهج البلاغة ٤ : ٢٨ ، وأهل اليمن في صدر الإسلام ص : ١٥٧ .

(٤) وقعة صفّين ص : ٢٢٧ . وانظر : كتاب الفتوح ٣ : ١٤١ ، وشرح نهج البلاغة ٥ : ١٨٤ .

(٥) أنساب الأشراف ٥ : ١٣٨ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٣٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٩٠ ، ٥٣٧ ، ٥٤٤ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٤٣٢ ، ومعجم البلدان : السَّافريّة ، والبداية والنهاية ٨: ٣١٤ .

(٦) انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأردنية) ٥ : ٧٩ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ١٩٠ ، والأعلام ٢ : ٢٦٢ .

(٧) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٢٥٤ ، وانظر : أنساب الأشراف ٤ : القسم الأول ص : ٣٢٢ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٩٠ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٤٢٩ .

(٨) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٢٦٣ . وانظر : أنساب الأشراف ٥ : ٢٥٠ .

وقبل أنْ تُبايع كِندة لمروان بن الحكم اشترط عليه الحُصيْنُ بن نُمير أن يُنزِل البلقاء من كان بالشام من كِندة ، وأن يجعلها لهم مأكلةً ، فأعطاه مروان ذلك ، فقاتلت معه كنْدة في مرج راهط [١] .

وشارك رجال كندة في غزوة مسلمة بن عبد الملك للقسطنطينيَّة في عهد عبد الملك ابن مروان [٢]، وثاروا مع يزيد بن الوليد على الوليد بن يزيد [٣] ، وقاتلوا العبّاسيّين في موقعة الزّاب إِلا أنهم خَذَلوا مروان بن محمَّد ، فحلَّت بجيشه الهزيمة [٤].

ومن رجال السَّكاسِك في العصر الأمويّ : يزيد بن أبي كبْشة السَّكسكيّ صاحبُ شُرطة عبد الملك بن مروان ، ووالي البصرة للوليد بن عبد الملك بعد موت الحجّاج بن يوسف [٥].

ومن السَّكون : مالكُ بن هُبيرة السَّكونيّ ، وكان هو حسّان بن مالك الكلبيّ على خيل مروان بن الحكم يوم مرج راهط [٦]، وكان هواه بالجابية مع خالد بن يزيد بن مُعاوية [٧]. ومنهم : يحيى بن زيد بن شُريح قاضي الأندلس لهشام بن عبد الملك [٨].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٧ ، ٥٤٤ .
(٢) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٨٥ .
(٣) الأغاني ٧ : ٧٨ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٥ . وانظر : البداية والنهاية ١٠ : ١٠ .
(٤) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٤٣٤ ، وكتاب الفتوح ٨ : ١٨٣ . وانظر الكامل في التاويخ ٥ : ٤١٩ .
(٥) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٢٩٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٤٣٢ .
(٦) أنساب الأشراف ٥ : ١٣٨ .
(٧) نقائض جرير والأخطل ص : ١٦ . وانظر : أنساب الأشراف ٥ : ١٣٤ .
(٨) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٣٠ .

٤ ـ سائر القبائل الكهلانيّة .

ومن القبائل الكهلانيّة الأخرى : قبيلةُ هَمدان التي نزلت غُوطة دمشق [١] والأردن في صدر الإسلام ، وكان عليها يوم صفيّن حَمزة بن مالك الهَمداني [٢] ، وكان بعضُها في العصر الأمويّ بالأردن [٣] وبالفَلَجة مع علكّ وبني الحارث بن كعب من مذْحج [٤] . وخرج رجالُها مع مسلمة بن عبد الملك لغزو القسطنطينيّة [٥].

ومن رجالها : سعيدُ بن حمْزةَ بن مالك الهَمدانيّ ، صاحب شُرطة معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد ، ووالي الأردن لعبد الملك بن مروان [٦].

ومن القبائل الكهلانيّة أيضاً : قبيلة طّيء ، وقد نزلت مدينة حِمص بعدَ فتحها [٧] ، وقاتلت إلى جانب معاوية بن أبي سفيان في صفّين [٨].

وكانت طّيء تُخالط ذُبيان في ديارها ، يقول الهَمدانيّ : «وأمّا ذُبيان فهي من حدّ البيَاض بياض قَرقَرة ، وهو غائط بين تيماء وحَوران ، لا يُخالطهم إلا طّيء وحاضرهم السّواد ومَرو والحيّانيّات [٩]» . وكانت أيضاً بحاضر قنسّرين [١٠] ، وحمص [١١] و قاتلت

(١) مروج الذهب ٣ : ٢٨٤ .

(٢) وقعة صفين ص : ٢٠٧ . وانظر تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ١٩٦ ، والأخبار الطّوال ص : ١٧٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٨٤ ، وشرح نهج البلاغة ٤ : ٢٨ .

(٣) الإكليل ١٠ : ٧٠ .

(٤) صفة جزيرة العرب ص : ٢٧٤ .

(٥) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٨٥ .

(٦) الإكليل ١٠ : ٧٠ ـ ٧١ .

(٧) الأزدي : فتوح الشام ص : ١٤٨ .

(٨) وقعة صفين ص : ٦٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٥٢٢ . وانظر : تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ١٩٤ ، وأنساب الأشراف ٢ : ٣٠٦ ، والأخبار الطّوال ص : ١٧١ ، وكتاب الفتوح ٣ : ٢٢٨ .

(٩) صفة جزيرة العرب ص : ٢٧٢ .

(١٠) نقائض جرير والأخطل ص : ٦ ، وزبدة الحَلَب ١ : ٥٣ .

(١١) كتاب الفتوح ٧ : ١٣٠ .

مع مروان بن الحكم في مرج راهط [١] ، وخرج مُقاتلتها مع مسْلمةَ بن عبد الملك لغزو القسطنطينيّة ، وكانوا بقيادة عبدِ الله بن عديّ بن حاتم الطائيّ [٢].

وَوثبت طّيء وتنوخ في آخر العصر الأُمويّ على جيش مروان بن محمّد ، لمّا مرّ بقنّسرين مُنهزماً بعد معركة الزّاب ، وانتهبتا عسْكره [٣].

ومن تلك القبائل : بنو أنمار بن إراش بن عمرو بن الغَوث ، فقد قاتلت خَثْعم مع معاوية في صفّين ، وكان عليها حَمَل بن عبد الله الخَثعميّ [٤]، ونزلت فلسطين ، وشاركت في حصار مكّة مع جيش أهل الشام [٥]. ومن رجالها : مالك بن عبد الله الخَثْعميّ أحد قُوّاد الصّوائف [٦]. وكانت بجيلةُ بالشام في العصر الأُمويّ [٧]، ويبدو أنّه لم يكن لها دورٌ يُذكر في حوادث بلاد الشام لقلّة عددها .

ومنها : قبيلة مذحج ، وكانت في صدر الإسلام بالأردن ، و ذُكِرَتَ بطونُها مُجتمعة بقيادة المُخارق بن الحارث الزّبيديّ [٨] في ميمنة جيش أهل الشام في صفّين [٩]. ويذكر الهَمْدانيّ أنها كانت في العصر الأُمويّ بالفَلَجة من أرض دمشق [١٠] .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٨ . وانظر العقد الفريد ٥ : ١٣٦ ، والتّنبيه والإشراف ص : ٢٦٧ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٩ ، ١٥٢ .

(٢) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٨٥ .

(٣) كتاب الفتوح ٨ : ١٨٥ . وانظر : تاريخ الموصل ص : ١٣٦ ، وزُبدة الحلب ١ : ٥٣ .

(٤) وقعة صفين ص : ٢٠٧ ، ٢٢٩ .

(٥) أنساب الأشراف ٤ : القسم الأول ص : ٣٣٩ ، والأخبار الطوال ص : ٣١٤ .

(٦) جمهرة أنساب العرب ص : ٣٩١ .

(٧) الكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٥ .

(٨) وقعة صفّين ص : ٢٠٧ . ونقائض جرير والأخطل ص : ١٧ . وانظر تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ١٩٦ . وبنو زَبيد : بطن من مذحج . انظر : جمهرة أنساب العرب ص : ٤١١ .

(٩) مروج الذهب ٣ : ١٤١ .

(١٠) صفة جزيرة العرب ص : ٢٧٢ ، ٢٧٤ .

ومن بُطونها التي قاتلت مع مروان بن الحكم يوم مرج راهط [1] : عَنس [2] ورهاء [3]، وكانت عَنس بداريّا من قُرى دمشق [4]، ومن رجالها : كعْبُ بن حامد العَنْسيّ : صاحبُ شُرط عبد الملك بن مروان وأبنائه الوليد وسليمان ويزيد وهشام [5] .

وكانت النّخَعُ من مَذْحج [6] بدير المُرّان والأرزة وسطران من قُرى دمشق ، وانضمَّت بقيادة حُميد بن حبيب النَّخعيّ إلى يزيد بن الوليد ، لمّا ثار على ابن عمّه الوليد بن يزيد [7].

ومنها : قبيلةُ عاملة ، وهي « في جبَلها مُشرفة على طَبريَّة إلى نحو البحر » [8] «وإن تياسرتَ عن الحيّانيات وما يليها ... وقعتَ في ديار عاملة وهي مجاورة للأردن ، وجبل عاملة مُشرف على عكا من قِبَل البحر يليها ويطلُّ على الأردن والفلجة » [9]. ومن رجالها : ثعلبةُ بن سلامة العامليّ : والي الأندلس لهشام بن عبد الملك [10].

---

(١) نقائض جرير الأخطل ص : ١٦ ، ١٧ .

(٢) عَنْس : هو زيد بن مَذحج . جمهرة أنساب العرب ص : ٤٠٥ .

(٣) انظر : جمهرة أنساب العرب ص : ٤١٢ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٤١ . وانظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١ : ٧١ .

(٥) المُحبَّر ص : ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(٦) النّخع بن عامر بن عمرو بن عُلَة بن جَلد بن مالك . ومالك هو مَذحج . انظر : جمهرة أنساب العرب ص : ٤١٤ .

(٧) الكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٥ .

(٨) صفة جزيرة العرب ص : ٢٧٢ .

(٩) نفسه ص : ٢٧٤ .

(١٠) ابن عذاري : البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٢ : ٣٢ . وانظر : المقرّي : نفح الطّيب من غُصن الأندلس الرطيب ٣ : ٢٢ ، والأعلام ٢ : ٩٩ .

ومن قبائل كهلان بن سبأ أيضاً : الأشعرون بنو نبت بن أُدد، وقد قاتلوا مع معاوية في صفين [1]، فأقطعهم البَثَنيَّة [2] وحوران ، وكانوا اشترطوا عليه ذلك قبل أن يقاتلوا معه[3]. وانضمّوا إلى جيش أهل الشام الذي أرسله يزيد بن مُعاوية لقتال أهل المدينة ، وحصار مكّة [4].

ومنها : قبيلة خَولان ، وكانت بداريّا من قُرى غُوطة دمشق [5]، ومن رجالها : أبو إدريس الخَولانيّ قاضي دمشق في زمن عبد الملك بن مروان [6].

وعَرَض اليعقوبيّ في القرن الثالث الهجريّ لسكّان أربعة من أجناد الشام وهي [7]: جُند حِمص ، وجند دمشق ، وجُندالأُردن ، وجُند فلسطين . ويستفاد من حديثه عن سُكان تلك الأجناد أنّ معظم القبائل اليمانية ظلّت تُقيم بديارها التي كانت تقيمُ بها في عصر بني أُميَّة [8].

---

(١) وقعة صفّين ص : ٣٠١ . وانظر : كتاب الفتوح ٣ : ٣٦ ، وشرح نهج البلاغة ٥ : ٢٣٨ .

(٢) هي ناحية من نواحي دمشق ، وقيل : : هي قرية بين دمشق وأذرعات . انظر : معجم البلدان : البَثَنيَّة .

(٣) وقعة صفّين ص : ٤٣٥ ، وكتاب الفتوح ٣ : ٢٢١ . وانظر : شرح نهج البلاغة ٨ : ٧٦ ، وأهل اليمن في صدر الإسلام ص : ١٥٨ .

(٤) أنساب الأشراف ٤ : القسم الأول ص : ٣٢٣ . وانظر : مروج الذهب ٣ : ٢٦٨ .

(٥) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١ : ٧١ .

(٦) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٢٩٦ . وانظر : البداية والنهاية ٩ : ٣٤ .

(٧) انظر : البلدان ص : ٨٠ - ٨٥ .

(٨) الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأمويّ ص : ١١٢ .

ويتّضحُ ممّا سلف أنّ قبائل اليمن التي كانت بالشام في العصر الأُمويّ هي قبائل : حِمْير (ومنها : شَعبان وحضْرموت) وقضاعة (ومن بطونها : تنوخ ، وكلب ، وبهراء ، وبليّ ، وسليح ، والقَين ، وجُهيْنةَ ، وعُذرة ، وخُشين ، وجَرم) من قبائل حِميْر بن سبأ.

والأزد (ومنها : غسّان ، وعك) ولخْم ، وجُذام ، وكِندة (ومنها : السَّكاسِك والسَّكون) وهَمدان ، وطّيء ، وخثعم ، وبَجيلَة ، ومذحج (ومنها : زَبيد وعَنس ، ورَهاء ، والنَّخع) وعاملة ، والأشعرون ، وخَولان من قبائل كَهلان بن سبأ . وقد غلبت هذه القبائل في العصر الأُموي على بلاد الشام فسكنت أجنادها الخَمسة .

ويتّضحُ أيضاً أنَّ الهَمداني قد رسم بعضَ منازلها بدقَّة ، ولاسيمَّا منازل قبيلتي لخْم وجُذام ، إِذ تحدث عن المدن وحدود الأماكنِ التي نزلتها القبائل ، ولم يكتف بالإشارة إِلى الأجناد التي استقرّت بها ،كما فعل من سبقه من المؤرخيّن والجغرافيين . ويظهر من وصفه لها أنَّ كثرتها ظلَّت تُقيم بمنازلها التي سكنتها في العصر الأُمويّ ، وأنَّ بعضاً منها مثل قبيلة عاملة ، قد تركت منازلها القديمة بمشارف الشام ، وتحوَّلت إِلى جبل عاملة بالأُردن (١) .

---

(١) الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأُمويّ ص : ١٠٧ ، ١٠٨ .

الفصـــل الثـــاني

لغة القبائل اليمانية الشاميّة وأثرها في قول الشِّعْر

أولاً : لغة القبائل اليمانية الشاميّة .

ثانياً : أثرها في قول الشِّعْر .



أولاً : لغة القبائل اليمانية الشاميّة

يُقسمُ العربُ إلى ثلاثة أقسام هي : العرب البائدة ، وهي القبائل التي باد ذِكر اسمها فلم تَعُد قبائل معروفة ، مثل : عاد وثَمود وطَسم وجَديس وغيرها . والعرب العاربة : وهم القحطانّيون سكاّن اليمن . والعرب المسُتعربة أو المُتعرِّبة : وهم العدنانيّون[١] .

ويذكُر القحطانيّون أنهم هم العربُ العاربة ، وأنَّ من سواهم المُتَعرِّبة وأنَّ إسماعيل عليه السلام نطق بلسانهم وأخذ من لغتهم حين أتى مكّة ونزل بجُرهم ، ولم تكن العربيّة لغة أبيه[٢].

ويرى العلماء أنَّ لغة العرب نوعان : عربية شمالية ، هي العربيّة الفصيحة التي نزل بها القرآن الكريم ، وكانت تتكلمَّ بها القبائل العدنانيّة ، وعربيّة جنوبية هي لغة أهل اليمن من القحطانيين . وثمّة خلاف جوهري بين هاتين اللغتين في الألفاظ وفي قواعد النّحو والتّصريف ، وقد استطاع البحث الحديث إثبات هذا الخلاف ، اعتماداً على ما عُثر عليه من نقوش ونُصوص حِميرية قديمة . ولكل منهما لهجات محلية لم تكن تختلف فيما بينها اختلافاً كبيراً[٣].

ويجمع العلماء بكلام العرب وأيامهم ومحالّهم ، والرواة لأشعارهم على أن قُريشاً

---

(١) لسان العرب : مادّة عَربَ ، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١ : ٢٩٥ . ٣٥٤ ، والعرب في الشام قبل الإسلام ص : ١٠٣ . وانظر : د . طه حسين : في الأدب الجاهليّ ص : ٨٠ . والعاربة هم العرب الخُلّص . وأما المُستعربة أو المتعربّة : فهم دخلاء ليسوا بخُلصٌ . ويقول الأزهريّ : المستعربة عندي قوم من العجم دخلوا في العرب ، فتكلموا بلسانهم وليسوا بُصرحاء فيهم . لسان العرب : مادة عرب .

(٢) أنساب الأشراف ١ : ٦ ، وابن فارس : الصاحبي في فقه اللّغة ص : ٥٥ ـ ٥٦ . وانظر : لسان العرب: مادّة عَرَب ، والسيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١ : ٣٢ .

(٣) المُزهر ١ : ٢٨ ، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٨ : ٥٣٩ ، ٦٧٣ ، وفي الأدب الجاهليّ ص: ٨١ . وانظر : تاريخ ابن خلدون ١ : ١٠٧٥ ، وأ . ولفنسون : تاريخ اللّغات السّامية ص : ١٦٢ .

أفصحُ العرب ألسنةً وأصفاهم لغةً ، وذلك أنَّ الله ـ جلّ ثناؤه ـ اختارهم من جميع العرب واصطفى منهم نبيَّ الرَّحمة محمَّداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجعلهم قُطان حرمهِ وجيران بيته الحرام ، فكانت وفود العرب من حجّاجها وغيرهم ، يفدون إلى مكّة للحجّ ، ويتحاكمون إلى قُريش في أمورهم ، وكانت قُريش تحكم بينهم وتُعلمهم مناسكَهم . ولم تزل العربُ تَعرف لقريش فضلها عليهم ، وتُسمِّيها أهل الله ؛ لأنهم الصَّريح من ولد إسماعيل ـ عليه السلام ـ لأنه لم تشبهم شائبة ، ولم تنقلهم عن مناسبِهِم ناقلة ، فضيلةً من الله تعالى لهم وتَشريفاً، إذ جعلهم رهط نبيّه الأدنين وعترته الصَّالحين وكانت قُريش مع فصاحتها وحُسن لغُاتها ورقَّة ألسنتها ، إذا أتتهم وفود العرب ، تخيَّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيَّروا من تلك اللّغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصحَ العرب (١) .

ولهجة قُريش هذه هي اللّغة العربية الفصيحة التي تطوَّرت في القرن الخامس للميلاد ، واكتملت وحلّت محلّ اللّهجات القبليَّة في القرن السادس للميلاد ، فعمَّت القبائل العربيّة شمالاً وغرباً وشرقاً ، واقتحمت الأبواب على الحِميْرية لغة أهل اليمن ، وبخاصَّة في أطرافها الشمالية حيث منازل الأزد وخَثعم وهمدان وبني الحارث بن كعب في نجران . وقد عاصر اكتمال نضج هذه اللّهجة حركة تعريب واسعة في الجنوب تناولت القبائل الشَّمالية التي أصلها من الجنوب ، وأمّا في داخل اليمن وظفار ، فكانت اللّغة الجنوبيّة هي اللّغة السائدة (٢) ومن هنا يُفهم قول أبي عمرو بن العلاء : ما لسان حِمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيَّتُهم بعربيتّنا (٣) . فهو يقصد اليمنيّين الداخليّين .

---

(١) الصاحبي في فقه اللّغة ص : ٥٢ .

(٢) د . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهليّ ، ص ، ١٢٠ ، ١٣٤ ، ود . ناصر الدين الأسد : مصادر الشّعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص : ٣٣ .

(٣) محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ١ : ١١ .

وقد مهدت لانتشار لهجة قُريش وسيادتها في الجزيرة العربيّة أسباب دينية واقتصادية وسياسيّة ، فقد كانت قُريش مَهوى أفئدة العرب في جاهليتهم ، وكانت تتمتّعُ من بينهم بنُفوذ واسع بسبب مركزها الدّيني والاقتصاديّ الماديّ ، فهي حارسةُ الكعبة بيت عبادتهم ، وصاحبة قوافل تجاريّة ضخمة كانت تجوب أنحاء الجزيرة العربية ، وكان العرب يجتمعون إليها في سوقها عُكاظ (١) . وأعطى ضعف الدّولة الحِميرية في اليمن وسقوطها سنة خمس وعشرين وخمسمائة للميلاد على يد الأحباش اللّغة الشّمالية عونا للتغلغل في القبائل اليمانية ، ولاسيما أنّ الكتابة الحِميرية المعروفة بالمُسند ، قد اقتصرت على أصحاب الحُكم والإدارة ؛ لأنّ الدولة كانت تمنع العامّةَ من تعلم هذه الكتابة ، فكان لا يتعاطاها إلا من يؤذن له في تعلمّها ، فدخلت دولة الإسلام وليس باليمن من يقرأُ بها أو يكتب ، إلا منطقة اليمن الجنوبية وهي الشّحر فإنها ظلّت محافظة على بقايا الحِميرية حتى في العهود الإسلامية (٢)

ومن الأسباب الأُخرى التي أدت إلى تغلغل لغة أهل الشمال في اليمن وسيطرتها : خُضوع اليمن للفرس بعد الأحباش ، والفتن الداخليّة التي عانت منها اليمن ، وهجرةُ بعض القبائل اليمانية إلى الشّمال ، فصارت بلاد اليمن تتأثر بشمال الجزيرة العربية بعد أن كانت تؤثر فيه ، إذ كانت مصدر الحضارة ومُلتقى تُجار العرب . وقد أدت تلك الأسباب كُلها إلى اندماج لهجات الجنوب في لهجات الشمال ، وبخاصةً بعد ظهور الإسلام الذي قضى على بقايا اللّهجات الجنوبية القديمة دون مُقاومة (٣) .

ثمّ إنّ لهجة قريش ـ التي صارت اللّغة الفصيحة فيما بعد ـ أصبحت لغةً أدبية عامة ينظم فيها شعراء العرب جميعا شِعرهم ، بدليل أنّ ما بين أيدينا من شعر جاهليّ يدل على أنّ القبائل العربية في شمال الجزيرة العربية اصطلحت على لغة أدبية فصيحة ، كان الشعراء

---

(١) د . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهليّ ص : ١٣٣ .

(٢) حمزة الأصفهاني : التنبيه على حدوث التصحيف ص : ٦٢ ـ ٦٣ ، وتاريخ اللّغات السامية ص : ١٦٨ ، وداود غطاشة : حركة الشعر في اليمانيين في الجاهلية الأخيرة رسالة دكتوراة ، الجامعة الأردنية ص : ٣٧٤ .

(٣) تاريخ اللغات السامية ص : ١٦٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٥ .

على اختلاف قبائلهم ينظمون فيها شعرهم ، فالشاعر حين ينظم شعره ، كان يرتفع عن لهجة قبيلته ، إلى هذه اللّغة الأدبية العامة ، ولذلك لم تتضح الخصائص التي تميزت بها لهجة كل قبيلة في شعر شُعرائها إلا قليلا جدا . وربما تدل سوق عكاظ التي كانت تُعقد في مكة بعض الدلالة على ذلك ، فقد كانت سوقاً أدبية ينشد فيها الشعراء قصائدهم ويرتجل فيها الخُطباءُ خُطبهم فضلاً عن كونها سوقاً تجارية ، ولم يرو ذلك عن سوق سواها (١) . ويدعم ذلك أنّ العرب كانت تعرض على قريش شعرها ، فما قبلته منه كان مقبولاً ، وما ردّته منه كان مردوداً (٢).

وأصبح استعمال اللّغة العربية الفصيحة في زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمراً شائعاً حتى بين قبائل اليمن الضاربة في تهامة أو شواطىء البحر الأحمر ، وفي الداخل في البقعة الواقعة بين نجران والجوف اليمني (٣).

ولم يحدثنا رواة الأخبار والسيرة النبوية أنّ الوفود اليمانية التي وفدت على الرسول ـ عليه السلام ـ كانت تَجد صُعوبة في التفاهم معه ، أو أنّها لم تكن تعرف اللّغة العربية الفصيحة ، فاستخدمت اللّغة الجنوبية في خطابه ، كما أنّ الدّعاة الذين وجههم الرسول ـ عليه السلام ـ ليعظوا أهل اليمن ويعلمّوهم الإسلام مثل مُعاذ بن جبل وغيره ، كانوا يتكلمون العربية الفصيحة في دعوة قبائل اليمن مثل : خثعم ومراد وبلحارث الضاربة في تُخوم اليمن ، ولو أنّ أهل اليمن لم يكونوا يعرفون الفصيحة ، لكان إرسال هؤلاء الدّعاة عبثاً . ومعنى ذلك أن اللغة العربية الفصيحة انتشرت بشكل واسع في قبائل العرب قُبيل الإسلام (٤).

---

(١) د . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ص : ١٣١ ، ١٣٤ . وانظر : أحمد أمين : ضُحى الإسلام ٢ : ٢٥٤ .

(٢) الأغاني : ٢١ : ٢٢٥ .

(٣) بلاشير : تاريخ الأدب العربي ص : ٣١ .

(٤) نفسه ص : ٣١ ، ود . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر الجاهليّ ص : ١٣٤ . وانظر تاريخ اللغات الساميّة ص : ٢٠٥ .

ويتردَّد أن بيئة بلاد الشام قبل الإسلام لم تكن بيئة عربية خالصة ، بل كانت موصولة أو كالموصولة ببيئات أجنبية غريبة ، وأنَّ أكثر عرب بلاد الشام كانوا من اليمانية ، وأنَّ الذين تحولوًا منهم إلى بلاد الشام ، واستوطنوها قبل الإسلام غلبت عليهم نزعة الاستقرار فاستقروا في حواضر قريبة من المدن الشامية الكبرى مثل دمشق وحمص وحلب وقنسَّرين ، واشتغلوا بالزراعة ورعي الماشية ، فتأثرت لغتهم بلهجة الطوائف السريانية ؛ بسبب مجاورتهم لها واختلاطهم بها ، فكان عرب الشام من لخم وجُذام وقضاعة وغسان نصارى يتثقفون باليونانية والسريانية فصار لسانُهم لساناً عربياً مشوباً بلكنة ورطانة آرامية ، ولهذا عرفوا عند المسلمين بمستعربة الشام ، مع أنهم من العرب العاربة وهم القحطانيون وكان هؤلاء المستعربة يسكُنون أطراف الإمبراطورية البيزنطية وسيف العراق من حدود نهر الفرات إلى بادية الشام (١) .

ويتردَّد أيضاً أن اللّغة العربية الفصيحة لم تستطع أن تسود في غسان لأنهم كانوا أرقى ممّن حولهم من العرب ، فأنفوا أن يخضعوا للسان غيرهم ، فكانت لهم لغةٌ خاصَّة بهم ، تختلف عن اللغة الفصيحة بعض الاختلاف ، ولكنهم مع ذلك كانوا يفهمون اللّغة المضرية الفصيحة إِذا حُدِّثوا بها (٢) .

وفيما سلف اختلاف كبير يتطلَّب التمحيص والتنقيح ، فما يُقال من أنَّ بيئةَ الشام قبل الإسلام لم تكن بيئة عربية خالصة ، وأنَّ أكثر العرب الذين هاجروا إِليها واستوطنوها كانوا من القبائل اليمانية ، هو أمر ثابت .

وما يفترض من أنّهم استقروا بحواضر في أطراف المدن الشامية الكبيرة واحترفوا الزراعة والرعي ففيه نظر ، لأن أقلهم هم الذين سكنوا هذه الحواضر مثل : حاضر تنوخ وحاضر طّيء ، وكان أكثرهم ينتشرون في مشارف الشام والبلقاء وحَوران والجابية ،

(١) الجواليقي : المُعرب ص : ٢١٦ ، ود . طه حسين : من تاريخ الأدب العربي ١ : ٤٧٢ ، ٤٧٣ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١ : ٥٠٧ ، ٨ : ٧٧٠ ، ٩ : ٢٤٢ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣ . وانظر أحمد أمين : فجر الإسلام ص : ٢٢ .

(٢) فجر الإسلام ص : ٢٢ ، ٢٣ ٨٥ .

وامتّدت ديارهم إلى بادية الشام في الشّمال والشّرق (١) ، وكان هؤلاء بدواً يرتحلون بخيامهم وإبلهم وأنعامهم من مكان إلى مكان في تلك الأنحاء (٢).

وما يُظنّ من أنهم تأثروا الثقافة السُّريانيّة واليونانيّة ، وتنصروا وتعلمّوا اللغة السّريانيّة ، فذابت ثقافتهم ولغتهم العربيّة ، ففيه تعميم كثير ، إذ إنّ بعضهم هم الذين اعتنقوا النصرّانية وتعلموا السريانية وقرأوا بها في صلواتهم (٣)، وكان فيمن تنصروا منهم من ظلّ يقرأ بالعربية في صلواته ويستخدمها في طقوسه الدينيّة ، ومن هؤلاء نصارى العرب في بُصرى والمناطق المُجاورة لها (٤).

وكان بعضُ عرب الشام قبل الإسلام وثنيّين يعبدون الأصنام كصنم الأُقيصر ، الذي كان بمشارف الشام ، وكان صنماً لقضاعة وعاملة ولخْم وجُذام وغيرهم من عرب الشام ، وكانوا يحُجّون إليه وبحلقون رؤسهم عنده (٥). وكان سائر عرب الشام الذين تنصّروا والذين ظلّوا على وثنيتّهم يعرفون اللّغة العربيّة ويتكلمون بها (٦).

وما يُذكر من أنّ بعضَ المؤرخيّن والأخباريين أطلقوا على عرب الشام في أثناء الفتح اسم العرب المُستعربة أو المتنصرة ، لا يعنى أنهم ضّعفوا عروبتهم أو نفَوهم منها ، بل يعني أنّهم قد ميزّوهم بهذا الاسم من العرب المسلمين ، لأنّ بعض متنصّرتهم حاربوا المسلمين مع الروم في بداية فتوح الشام ، ثم انفصلوا عنهم واعتنقوا الإسلام وقاتلوا مع المسلمين (٧).

---

(١) مروج الذهب ٢ : ٢٣٤ ، ومعجم ما استعجم ١ : ٢٦ ، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ : ٤٤٠ . وانظر : الرّواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي ص : ٧٢ .

(٢) د . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ص : ٤٠ .

(٣) الأزدي : فتوح الشام ص : ١٦٩ . وانظر : المُزهر ١ : ٢١١ .

(٤) بلاشير : تاريخ الأدب العربي ص : ٨٦ - ٨٧ .

(٥) ابن الكلبيّ كتاب الأصنام ص : ٤٨ ، ومعجم البلدان : الأُقيصر .

(٦) انظر : الأزديّ : فتوح الشام ص : ١٧٦ ، ٢١١ .

(٧) نفسه ص : ١٦٩ ، ١١١ ، ١٣٠ ، والرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي ص : ٧٧ .

وهم يُسمّون في بعض الرّويات عرب الضّاحيّة [1] أي : عرب البادية الذين كانوا ينزلون أطراف بلاد الشام [2].

وأمّا ما يُزعم من أنَّ الغساسنة كانت لهم لغة خاصَّة بهم ، وأنَّ اللّغة الفصيحة لم تستطعْ أنْ تسود في غسّان ، فيحتاج إلى أدلة تاريخية وأدبيَّة ، تكشف عن هذه اللّغة وتبينها ، وما دامت هذه الأدلة غير متوافرة ، فإن فكرة وجود هذه اللّغة الغسّانية تبقى مُجرد فرض إلى حين العُثور على نصوص تدلّ عليها . وأمّا سيادة اللّغة الفصيحة في غسّان فأمر يكاد يكون ثابتاً ، بدليل أنهم كانوا يستمعون إلى الشعراء الناطقين بها ، ويتذوّقون شعرهم ، وينقُدونه ويجيزون الشعراء عليه ، مما يدلُّ على مَعرفتهم اللغة العربية الفصيحة وفهمهم لها فهماً تاماً [3].

والغالب أنَّ علماء اللّغة والنحّو من رجال القرنين الأول والثاني للهجرة أهملوا لغة القبائل اليمانية الشامية وشعْرها قبل الإسلام وبعده ؛ لأنهم لم يكونوا يأخذون شواهِدهُم عمَّن تحضّر من العرب أو جاور العجم من الفرس والروم والقبْط ، ولا يحتجون بلغته في الغريب والإعراب والتّصريف ؛ بسبب ما يعْرض للغات الحاضرة وأهل المَدَر من اختلال وفساد وخَطَل ، فلم يأخذوا اللُّغة من جُذام ولا من لخْم ؛ لأنهم جاوروا أهل مصر والقبط ، ولم يأخذوا من قُضاعة وإياد وغسّان ، لمجاورتهم أهل الشام [4]. بل أخذوا اللّغة من قبائل قيس وتَميم وأسد ، ثم من هُذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم [5] .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٨٨ .

(٢) لسان العرب : مادّة ضحا . والرواية الأدبيّة في بلاد الشام في العصر الأُمويّ ص : ٧٨ .

(٣) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٨ : ٦٤٧ ، وخطط الشام ٤ : ١٤ . وانظر : فجر الإسلام ص : ٢٣ .

(٤) ابن جنيّ : الخصائص ٢ : ٥ ، والمُزهر ١ : ٢١٢ ، والرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي ص : ٧٧ . وانظر : الرافعي : تاريخ آداب العرب ١ : ٢٥٥ ، ٣٤٢ .

(٥) المزهر ١ : ٢١١ .

وقبيلة طَيِّء اليمانية التي أخذ العلماءُ عنها بعض اللّغة ، لم تكن ذاتَ صلة باللّغة العربيّة الجنوبيّة ، بل كانت تتَّخذ الفصيحة لغة لها ، وإن عُدَّ نَسَبُها في الجنوب (١) .

ويبدو أنَّ علماء أهل الشام قد شاركوا في جَمع اللُّغة ، ووضع قواعد النَّحو العربي مثلما شاركوا في علوم القراءات ، والحديث والتاريخ والفقه ، وبخاصَّة أنَّ بادية الشام قريبة منهم وفيها من الأعراب الفُصحاء والعرب الخُلَّص الذين يمكن أن تُدون لُغتهم (٢) ، إلا أن شهرة العلماء العراقيّين والتنافس الذي كان قائماً بينهم وبين علماء أهل الشام غطّى على مشاركة الشاميّين في ذلك ، فكانوا لا يقيمون لعلماء الشام وزناً ، ولا يوثّقون رواياتهم إلا إذا كانت من ناحيتهم (٣) .

وهكذا يتبيّن لنا أن القبائل اليمانية الشاميّة لم تكن يمانية ولا جنوبية من الوجهة اللّغوية ؛ لأنها تعرَّبت منذ العصر الجاهليّ واتّخذت اللُّغة العربيّة المُضريَّة أو الشمالية العدنانيّة لغة لها ، وأنَّ علماء اللّغة العراقيّين وفقهاءها قد منحوا هذه القبائل ثقة ضئيلة ، فلم يهتموا بلغتها ولم يحتجّوا بشعرها ، غير مُلتفتينَ إلى أنَّ لغتها زادت بالإسلام رسوخاً وانتشاراً ، بحيث لم تلبث ستّين أو سبعين سنة للفتح حتّى عَمَّ انتشارها ، ونُقلت الدّواوين في زمن عبد الملك بن مروان من اليونانيَّة إلى العربيّة ، وبذت اللُّغة العربيّة الفصيحة اللّغة السريانيّة وتغلبت عليها ؛ بسبب غناها وسلاستها وضبط قواعدها واحتياج الناس إليها (٤) . وغيرمُلتفتين أيضاً إلى تميُّز بلاد الشام بالفصاحة ، حتى إنَّ كُتاب الدولة الأمويّة استعملوا من الألفاظ العربيَّة الفَحلة والمتينة الجزلة ، مالم تستعمل مثله الدّولةُ العباسيَّة ؛ لأنهم قصدوا ماشاكل زمانهم الذي استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها ، حتى غدت في جملة الفضائل التي يُثابر

---

(١) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٨ : ٥٩٠ .

(٢) ضُحى الإسلام ٢ : ٣١٦ - ٣١٧ .

(٣) الرّافعيّ : تاريخ آداب العرب ١ : ٣٥٣ . وانظر : الرّواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأمويّ ص : ٦٠ .

(٤) خطط الشام ١ : ٤١ ، ٤٧ . وانظر : فجر الإسلام ص : ١٣٠ ، ١٨٨ ، وضحى الإسلام ٢ : ٢٤٨ .

على اقتنائـها [١]. وإلى أنَّ بعضَ القبائـل اليمـانية وصـفت بالفصـاحة مـثل قبائل : جَرم [٢] (من طِّيء) وكلب[٣] وعُذرة [٤] وبَجيلة وأزد السَّراة [٥].

وليس فيما وصل إلينا من شعر القبائل اليمانيّة الشاميّة في العصر الأمويّ ما يدل على ركاكة أو ضعْف في التَّعبير ، وإنما فيه ما يدل على تمكن قائليه من اللغة الفصيحة ، ومقدرتهم على مُحاكاة النَّماذج الشِّعريَّة الجاهلَّية لغةً وتعبيراً [٦].

على أنَّ علماء اللّغة العراقيين لم يلتفتوا إلى ذلك كلّه ، وإنما تحاموا لغة القبائل اليمانية الشامية ولغةَ غيرها من القبائل العربيّة التي كانت عُرضة للاختلاط بالأعاجم ؛ لأنهم اعتبروها خارجَ مُحيط اللغة الفصيحة الذي تواضعوا على تحديده [٧].

---

(١) خطط الشام ١ : ٤٢ . وانظر ٤ : ١٢٣ .

(٢) المبِّرد : الكامل في اللغة والأدب ٢ : ٧٦٥ .

(٣) المُختصر في أخبار البشر ١ : ١٩٢ .

(٤) أبو عُبيد البكريّ : فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ص : ٢٥٣ .

(٥) العُمدة ١ : ٨٨ - ٨٩ .

(٦) انظر : الفصل الثالث من هذه الدراسة .

(٧) بلاشير : تاريخ الأدب العربيّ : ص : ٢٧٩ ، ٥٤٨ .

ثانياً : أثرها في قول الشعْر

شاركت القبائل اليمانيَّة في حركة الشِّعر منذ العصر الجاهلي ، وأسهم شعراؤها في رَفْدِ ديوان الشعر العربيّ بشعرهم ، فقد ظهر من بينها شُعراء عِظام على رأسهم امرؤ القيس ابن حُجر الكِنديّ . ووفد الشعراء من جزيرة العرب على ملوك الحيرة اللخّميين ، لإنشادهم شعرَهم في مَدحهم وكانت الوفود تَقدم إليهم وتخطب أمامهم ، كما كان لهم ديوانُ شعر فيه أشعار الفحول من الشعراء ، وما مدح به النُّعمان بن المنذر وأهل بيته (١) .

وكان ملوك الغساسنة في بلاد الشام مقصد الشعراء ، إليهم يذهبون وعلى أبوابهم يقفون للإنشاد ، فيستمعون إليهم ويبارون بينهم ، فصاروا بذلك هم وملوك الحيرة في العراق قدوةً لخلفاء الأمويين والعباسيِّن في تبنيهم للشِّعْر والشعْراء ، وفي ترويج الشعر وإعطائه قوة وصولة إِذ اتّصل بهم أكثر شعراء العصر الجاهليّ ، وكانوا يتذوقون الشعر ويميزون جيِّده من رديئه ، ويُظهرون عيوبه أمام الشعراء (٢) .

ولكن يبدو أنَّ صلة ملوك الغساسنة بالشعراء كانت دونَ صلة ملوك الحيرة بهم ، ولعلَّ ذلك يرجع إلى أنَّ حُكم الغساسنة لم يتجاوز حدودَ بادية الشام ، فلم يكن لهم اتصَّال بقبائل البادية البعيدة عن مناطق نُفوذهم ، ولا بقبائل الحجاز والبحرين واليمامة ، ولذلك لم يصل إِليهم إِلا أصحاب الحاجة من الشعراء الذين كانوا يطوفون البلاد ، وإلا الشعراء الذين غَضِب ملوك الحيرة عليهم ، أو لم ينالوا منهم ما طلبوا فينصرفون عنهم إلى ملوك غسّان نكاية بهم ، وإلاالشعراء الذين أغارقومهم على الغساسنة فوقع نفر منهم في أسرهم ، فمدحوا الغساسنة ليفكّوهم (٣).

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١ : ٢٥ .

(٢) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٨ : ٦٤٧ - ٦٤٨ . وانظر : فجر الإسلام ص : ٢٠ .

(٣) نفسه ٩ : ٤٢٦ .

وبدافع من العصبيّة القبليّة فقد تنازعت القبائل العدنانيّة واليمانية الشّعر في الجاهلية ، فادَّعت العَدنانية أنَّ شعراء الجاهلية كانوا في قبيلة ربيعة ، وأوَّلهم مُهلهل بن ربيعةَ التَّغلبيّ ، والمرقشّان (المُرقشُ الأكبر والمرقّشُ الأصغر) وغيرهم ، ثمَّ صار الشّعر في قبيلة قيس ، فمنها : النَّابغة الذّبياني ، وزهير بن أبي سُلمى وغيرهما ، ثم آل إلى قبيلة تميم فلم يزل فيها [١] .

وقوم يرونَ تقدمة الشعر لليمن : في الجاهليَّة بامرئ القيس الكِندي ، وفي الإسلام بحسّان بن ثابت الأنصاري ، وفي المُولَّدين بأبي نواس وأصحابه مُسلم بن الوليد وأبي الشّيص ودعبل بن عليّ الخُزاعيّ ، وكلّهم من اليمن ، وفي الطبقة التي تليهم بالطائيين أبي تمّام والبحتريّ ، ويختمون الشعر بأبي الطيِّب المُتنبيّ فيقولون : بُدئ الشعر بكِندة ـ يَعنون امرأ القيس ـ وختم بكِندة ـ يعنون أبا الطيِّب ـ وقال آخرون : إنَّ الشعر رجع إلى ربيعة فخُتم بها كما بُدئ بها .وأشعر أهل المَدَر بإجماع من الناس واتفاق حسّان بن ثابت الأنصاريّ [٢] .

وجعلت كلُّ قبيلة أوليَّة الشعر لشاعرها ،فادّعتها اليمانية لامرىء القيس الكنديّ ، وادَّعتها بنو أسَد لشاعرها عبيد بن الأبرص ، وادعتها تغلب لمُهلهلِ ابن ربيعة التغلبيّ [٣].

وحظي الشعراء في القبيلة اليمانية بمكانة مرموقة ؛ لأنهُّم هم الذين ينصُرونها وينشُرون مفاخِرها ، ويُدافعون عن حقّها ، إذا ما تعرَّض لها شعراء القبائل الأُخرى ، حتى إنَّ قبيلة هَمدان كـانت لا تزوج رجلاً من غير أبنائها ، إلاّ أنْ يكون شاعراً أو عالماً بعيون الماء [٤].

---

(١) المُزهر ٢ : ٤٧٦ - ٤٧٧ .

(٢) العُمدة ١ : ٨٩ . وانظر : ١ : ٩٤ . وانظر أيضاً : الأصمعي : فُحولة الشعراء ص : ٣٥ ، والمفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩ : ٤٢٤ .

(٣) المزهر ٢ : ٤٧٧ .

(٤) المفضل بن سَلمة : الفاخر ص : ١٤٦ .

وكان يمانية الشام من الغساسنة والتّنوخيين وغيرهم يُفاخرون بالشعر ، وإذا نشأ فيهم شاعر رفعوا من شأنه واعتمدوا على قريحته في الشدائد . وكان جَبَلة بن الأيهم الغسّاني شاعراً مُجيداً يعجبَ بالشعر ويجيز عليه ، وهو أحد ممدوحي حسّان بن ثابت الأنصاريّ ، ومن أهل بيته فُصحاء لايُستهان بهم [١] .

وظهرت في قبائل اليمن أُسر أنجبت عدداً لا بأس به من الشعراء الجاهليّين والإسلاميّين منها : أُسرة الشاعر زُهير بنِ جَناب الكلبي التي ظهر فيها شعراء كثيرون منهم : مُصادُ بن أَسعد بن جُنادة بن صبهان بن امرئ القيس بن زهير بن جَناب ، وحريث بنُ عامر ابن الحارث بن امرئ القيس بن زُهير ، والخَزنبل بنُ سلامة بن أبي جابر بن زهير ، وعرفجة ابنُ جنادة بن أبي بن النُّعمان بن زهير ، والمسيَّب بنُ رفل بنِ حارثة بن جناب بن قيس بن امرئ القيس بن أبي جابر بن زهير . وذكر أبو الفرج الأصفهاني أنَّ من ولد زُهير بن جَناب شعراء كثيرون ، وأنَّ الذين سمَّيناهم هم الشعراء الفُحول من ولده [٢] .

ومنها : أُسرة النُّعمان بن بشير بن سعد الخَزرجي الأنصاريّ ، وهي أُسرة مُعرقة في الشعر سلفاً وخلفاً ، فجدُّ النُّعمان بن بشير شاعر ، وأبو النعمان ، وعمُّه شاعران ، وهو شاعر ، وأولاده ، وأولاد أولاده شعراء [٣] .

ومن هذه الأُسر أيضاً : أُسرةُ عَبد يغوث الحارثي [٤] وأسرة زيد الخَيل الطائي [٥]، وأسرة كَعب بن مالك الخَزرجي [٦]، وأُسرة حسّان بن ثابت الأنصاري [٧]. ويدلُّ وجود

---

(١) خطط الشام ٤ : ١٤ .

(٢) الأغاني ١٨ : ٣١١ ـ ٣١٣ .

(٣) نفسه ١٦ : ١٤ . وانظر : د . يَحيى الجبوريّ : شعر النعمان بن بشير الأنصاري ص : ١٦ .

(٤) نفسه ١٦ : ٢٥٤ .

(٥) نفسه ١٧ : ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٦) نفسه ١٦ : ١٦٤ .

(٧) معجم الشّعراء ص : ٢٦٩ . وانظر : الرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأُمويّ ص : ٨٠ ـ ٨٣ .

هذه الأُسرة اليمانية المعروفة بالشعر في الجاهليّة والإسلام على عراقة الشعر في القبائل اليمانية كعراقته في القبائل العدنانيّة من مُضرية ورَبَعيّة .

وذكر الآمديّ في كتابه « المؤتلف والمُختلف » أسماء عدد كبير من شعراء اليمانية بلغ نحواً من مائة وخمسين شاعراً ، وأشار إلى شعر كثير للقبائل اليمانية جُمع في كتب أو مجموعات شِعرية ،فقد ذكر أشعار كلب وأشعار الأزد [١] ، وأشعار بني القَين بن جسر [٢] ، وأشعار طّيء [٣] ، وأشعار حمير [٤] ، وأشعار تنوخ [٥] ، وكتاب خُزاعة [٦] ، وكتاب بَجيلة [٧] ، وكتاب عُذرة [٨] ، وكتاب جُهينة [٩] ، وكتاب نَهد [١٠] ، وكتاب السّكون [١١] ، وكتاب بَلي [١٢] ، وكتاب خَثعَم [١٣] ، وكتاب جَرم [١٤] ، وكتاب الأوس والخزرج [١٥] ، وكتاب بني جُعفّي من مَذحج [١٦] . ولم ينسب الآمدي شيئا منها إلى جامع أو صانع من الرواة .

---

(١) ص : ٢٤ .
(٢) ص : ٢٦ .
(٣) ص : ٤٨ .
(٤) ص : ٩ .
(٥) ص : ٢٩٩ .
(٦) ص : ٦٥ .
(٧) ص : ٧٧ .
(٨) ص : ٨٦ .
(٩) ص : ١٢٣ .
(١٠) ص : ١٩١ .
(١١) ص : ٢٥٣ .
(١٢) ص : ٢٧٧ .
(١٣) ص : ١٩٢ .
(١٤) ص : ٣٠٢ .
(١٥) ص : ٥٩ .
(١٦) ص : ٢٠٩ .

وكُتُب القبائل هذه : مجموعات شعرية تضمّ قصائد كاملة ومقطّعات وأبياتاً لشعراء كلّ قبيلة أو لبعضهم ، وقد تضم أكثر شعر هؤلاء الشعراء ، بل ربّما ضَمّت ديواناً كاملاً لشاعر منهم . وفيها أيضاً أخبار وقصص ونسب وأحاديث تتصّل بالشعراء أو بأفراد من قبائلهم ، وما يوضّح مناسبات القصائد ، ويفسّر بعض أبياتها (١) .

وسمّى ابن النّديم في « الفهرست » (٢) عدداً من دواوين القبائل اليمانية التي جمعها أبو سعيد السّكريّ وهي : أشعار طّيء ، وأشعار بجيلة ، وأشعار بني القين ، وأشعار الأزد .

وأشعار البغداديّ في « خزانة الأدب » (٣) إلى ديواني الأزد وكلب ، وذكر أنّه اطّلع عليهما . إلا أنّ يد الدهر لم تُبق من دواوين القبائل اليمانية شيئاً فكلّها ضاعت (٤).

وجمع داود غطاشة شعر ستّ وأربعين قبيلة يمانيّة جاهلية بلغ عددُ شعرائها الذين وصل إلينا شعرهم أربعمائة وتسعة وثلاثين شاعراً ، وذكر أنّ قبيلة طّيء تأتي في مُقدمة القبائل من حيث عددُ الأبيات الشّعرية (٥).

ويدلّ ذلك على احتفال القبائل اليمانية بالشعر والشعراء . ومُشاركتها فيه مشاركةً كبيرة ، ولذلك فَخَرَ أبو تمام الشاعر باليمن وعدَّهم يُنبوع الشعر فقال : أبى اللّه إلا أنّ يكون الشعر يمنياً (٦).

ومع ذلك فإنّ المصادر التاريخية والأدبية المُتوفرة لا تحتفظ لقبائل اليمن الشامية قبل

---

(١) مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخيّة ص : ٥٥٤ .

(٢) ص : ١٨٠ . وانظر : مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخية ص : ٥٤٨ .

(٣) ٢ : ٢٤٠ .

(٤) مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخيّة : ٥٤٨ .

(٥) حركة الشعر في اليمانيين في الجاهلية الأخيرة ، رسالة دكتوراه مخطوطة ، ص : ٢٣٥ .

(٦) الآمدي : الموازنة بين شعر أبي تمام والبُحتري ١ : ١١ .

الإسلام بشعر كثير ، وربَّما كان السبب في ذلك أنَّ شِعرها لم يصل إلى رواة الشعر في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، أو انّهم أعرضوا عن روايته ؛ لأنه لم يكن لعرب الشام في الجاهليَّة سُلطان واسع على قبائل الجزيرة العربية ، بل كان لهم سلطان محدود على قبائل نجد ؛ ولأنه لم تنعقد بينهم وبينها مودّة دائمة ، إذ كان الغساسنة عُمالاً للروم ، يحرسون حُدودهم الجنوبيَّة ، ويشتبكون مع القبائل النَّجدية في حُروب دامية (١) .

ويرى بعضُ الباحثين (٢) أنَّ أخبار فتوح الشام لم تذكر شيئاً من شعر القبائل اليمانية الشامية التي حاربت المسلمين مع الروم ، أو التي كانت تُحارب الروم مع المسلمين ، وأنَّ الشعر الذي قيل في هذه الفتوح قليل جداً ولا يُعطي صورةً كاملة عن حوادث الفتح ، وعن بلاء المُحاربين ومشاعرهم وأحاسيسهم . والحقُّ أنَّ في بعض المصادر والمظانّ المختلفة المُتاحة شعراً كثيراً مما قيل في فتوح الشام ، وهو لا يقلُّ عن الشعر الذي قيل في فتوح العراق (٣) .

ونَجد لقبائل اليمن الشامية في صدر الإسلام قصائد وأرجازاً نظمها الشعراء والرجّاز اليمانيون في معركة صفّين ، وهي تكشفُ عن بلاء قبائلهم في تلك المعركة ، وعن تأييدها لمُعاوية بن أبي سُفيان ووقوفها إلى جانبه (٤) .

---

(١) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩ : ٤٢٨ ، ود . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر الجاهليّ ص : ٤٢ ، والرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأُموي ص : ٧٧ .

(٢) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩ : ٤٢٨ ، والنّعمان القاضي : شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ص : ١٥٣ .

(٣) انظر مثلاً : الواقديّ : فتوح الشام ١ : ٤٤ ، ١٢٧ ، ٢٠٨ ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٨٥ ، ٢ : ١٣ ، والأزدي : فتوح الشام ص : ٥١ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٣٣ ، ١٣٥، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٩٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، و محمَّد بن حبيب : المُنمّق في أخبار قريش ص : ٢٢ ، ٥١٩، ٥٢٢ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١ : ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ٣ : ٤٣٧ ، ٥ : ١١٢ ، ٣٠٩ ، ٧ : ٣٥ ، ومعجم البلدان ، أجنادين ، ومرج الصفُر .

(٤) انظر وقعة صفّين ص : ٢٠٢ ، ٣٥٧ ، ٣٧٥ ، ٤٠٠ ، ٤٥٣ .

ولاحظَ بعضُ العلماء (١) أنّ حجم الشعر في بيئة بلاد الشام في العصر الأُمويّ يقلّ كثيراً عن حَجَم الشعر في غيرها من البيئات العربيّة المُجاورة لها ، وأرجعوا سبب ضعف الشّعر في هذه البيئة إلى أنَّ سكانها كانوا من القبائل اليمانية ، وهي عندهم لا تضارع القبائل العدنانية في الفصاحة والشاعريَّة منذ العصر الجاهلي . وكان المستشرق الإيطالي كارلو نالينو أوّل من أشاع هذا التفسير في قوله :« إنَّ جميع ما نعرفُه من شِعر الجاهليَّة ، إنَّما هو لأهل نَجد والحجاز والبحرين أو لمن سكن في هذه الأنحاء ، وأن أصله من قبائل اليمن. أما أهل الحَضَر من سُكان اليمن ومهرة وحضر موت وعُمان فلا يُعرف لهم أبيات صحيحة الرّواية لا بالعربية ولا بالحِمْيريَّة » (٢).

وقد تبنَّى هذا الرأي بعضُ الباحثين العرب ، فطوّروه ووسَّعوه ، ومنهم الدكتور طه حُسين في كتابه « من تاريخ الأدب العربيّ ، العصر الجاهليّ والعصر الإسلامي » والدكتور شوقي ضَيف في كتابيه « تاريخ الأدب العربيّ ، العصر الإسلامي » و « التطوّر والتجديد في الشعر الأمويّ » . وفحوى هذا الرأي كما بَسطه الدكتور طه حسين هو : أنَّ الشّعر في العصر الأُموي كان متوارياً في بلاد الشام ، إذ لايكاد يُوجد فيها شاعر أو شاعران ، والشعر الذي وجُد أوسُمع في الشام في العصر الأمويّ ، إنما هو شعر يُحمل إليها من بيئات أُخرى (٣) .

ويعزو الدكتور طه حسين ذلك لسببين هما : الإقليمُ والنَّسب .فأما الإقليم فيقولُ فيه : إذا نظرنا إلى البلاد الإسلاميَّة في العصر الإسلاميّ ، فإننا نَجِد أنَّ الشعر كان موجوداً ومُزدهراً في بعض الأقاليم ، ولكنه لا يكاد يُوجد في أقاليم أُخرى . وهو مُزدهر في الحجاز وفي العراق باديته وحاضرته ، وأمَّا في بلاد الشام ، فلا نكاد نعرفُ شاعراً يُعدُّ في طبقات الشُعراء المعروفين ؛ لأنها كانت موصولة ببيئات أجنبية غربية ، ومقطوعة أو

---

(١) انظر : بلاشير : تاريخ الأدب العربي ص : ٥٤٨ .

(٢) تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أُمية ص : ٦٩ .

(٣) من تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي ١ : ٤٧٠ .

كالمقطوعة عن عرب شمال الجزيرة العربيَّة إَلا ما كان من عَدِيّ بن الرقّاع العاملي شاعر الوليد بن عبد الملك ، فهو شامي المْولد والنشأة ، ولكنَّه من قُضاعة ، وهي لا تعرفُ لنفسها نسباً ، فهي عدنانيَّة مَرَّة وقحطانية مرَّة أُخرى [١] .

ويقول أيضاً : إنَّ بيئة بلاد العرب الشَّماليّة هي البيئة التي لازمت نشأة الشعر ونموَّه وتطوره ، وإن القبائل اليمانية إذا ظهر فيها شعر ، فإنما يظهر في فروعها التي سكنت الشمال . وكلَّما كان الاختلاط بينها وبين العدنانية كان الشعر قوياً فيها . ويدللُّ على ذلك بقوله : « إنَّ بيئة المدينة نشط فيها الشعر ؛ لأنَّ سُكانها اليمنيين اختلطوا بالعدنانيّين اختلاطاً شديداً ، في حين أنَّ بيئة الشام التي استوطنها اليمانيون كذلك لم يظهر فيها شعراء بارزون لأنهم لم يختلطوا بالعدنانيّة بل اتصلُّوا ببيئات أجنبية غريبة ، فتوارى فيها الشعر . ويؤيد هذا أنّ قبيلة الأُزد مثلاً استقر بعضها في موطن عربي خالص فنشأ فيها الشعر ، واستقر بعضُها في موطن بعيد فلم ينشأ عندها شعر [٢].

وأمّا النَّسب فيقول فيه: إن خُلاصة ما أذهب إليه في عامل النَّسب هو أنَّ العرب ينقسمون في الأصل إلى شعبين عظيمين هُما : العدنانيّة والقحطانيّة ، وأنَّ الشعر العربي كان عدنانياً مُضرياً ولم يكن قحطانياً يمنياً ، وأنه لم يزدهر في العصر الإسلامي إلا حيث استطاعت القبائل المُضرية أن تسود ، أو حيث استطاعت القبائل والمجموعات الأُخرى أن تتصل بالقبائل المُضرية وأنَّ تتأثر بها . وقد يقول قائل : إنَّ امرأ القيس وحسّان بن ثابت قحطانيا النَسب ، فنقول : إنّ هؤلاء الذين يُروى لهم الشّعر قحطانيون في النسب عدنانيّون في الموطن ؛ لأنهم استقروا في البلاد العدنانية المُضريّة التي قيل فيها الشعر، أو أنّهم تأثروا بالنشأة التي أثرت أيضاً على العدنانيّين . فامرؤ القيس نشأ في البلاد المُضريةَّ وعاش فيها ، وحسان بن ثابت من الأنصار الذين هاجروا من الجنوب إلى الشمال ، فتأثروا بالعدنانيّة ونطقوا بلُغتها ، فأصبحوا عدنانيّي النشأة والحياة .

(١) من تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهليّ والعصر الإسلاميّ ١ : ٤٦٩ ، ٤٧٣ .

(٢) نفسه ١ : ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

(٣) نفسه ١ : ٤٧١ .

ولكي يُدللَّ على صحة رأيه هذا قال : إِنَّ الكثرة المُطلقة من عرب البصرة في باديتها وحاضرتها كانت من عرب الشمال ، فنشأ فيهم الشعر ، وكثر فيهم الشعراء مثل : الفرزدق وجرير وذي الرمَّة . بينما كانت الكثرة المُطلقة من عرب الكُوفة من اليمانية ، فلم يفْش فيهم الشعر في العصر الإسلامي (١) .

وقال أيضاً : إِنَّ الشعراء النابهين في العراق بعد الفتح الإسلاميّ هم من عرب الشمال من المُضرية ، ولا نكاد نجد شاعراً ينتسب إلى القحطانيّة ، ومع وجود عدد من القبائل اليمانية في العراق واتّصالها بالعدنانيَّة إِلا أنّها لم تتعلم منها الشعر إَلا في عصر مُتأخرٍ جداً (٢) .

ووافق الدكتور شوقي ضيف رأي الدكتور طه حُسين فقال : إِنَّ الشام لم تعرف الشعر في العصر الأموي إلاّ طارئاً « إِما على لسان هؤلاء الشعراء الوافدين الذين كانوا يمدحون الخُلفاء في دمشق ، وإما تحت تأثير ظروف طارئة كهذه الحروب التي شبَّت نارها بين القيسية واليمنية مُنذ فتنة ابن الزبير ، أو على لسان هذه الأسرة القُرشية المُضرية من بني أُمية . وهذا كلُّه واضح الدّلالة على أن ّبيئة الشام كانت مُتخلّفة في هذا العصر من حيث الشعر عن بيئة العراق وبيئة الحجاز ، ومع ذلك فهناك بيئات إِسلامية كانت أكثر تخلُفاً (٣) .

وكان أكثر العرب الذين سكنوا الشام قديماً من القحطانيّة ، فأثر ذلك في هذه البيئة من حيث شاعريَّتها ، فإِنَّ من يستعرض نصوصَ العصر الأمويّ لا يكاد يجد لبلاد الشام نشاطاً شعرياً يُذكر . وأغلبُ الظّن أنَّ ذلك يرجع إلى أنَّ سكانَ تلك البلاد كانوا من اليمنيّين الذين اصطنعوا العَربية الشماليّة اصطناعاً فلم تؤهلهم لقول الشعر ولذلك لا نَجِد لهم شعراء معدودين في العصر الأمويّ سوى عَدِي بن الرقاع العامليّ . وثمَّة فرقٌ بعيد بين نشاط

(١) من تاريخ الأدب العربيّ ، العصر الجاهليّ والعصر الإسلاميّ ١ : ٤٧٣ .

(٢) نفسه ١ : ٤٧٢ .

(٣) التطور والتجديد في الشعر الأمويّ ص : ٤٧ ـ ٤٩ . وانظر : تاريخ الأدب العربيّ العصر الإسلامي ص : ١٦٥ ، ١٦٦ .

الشعر في الشام ، وبين نشاطه في العراق ، ففي العراق نستطيع أنْ نعُدَّ أسماء شعراء ممتازين بالعَشرات ، وأمّا في بلاد الشام فلا يكاد يَظهرُ على المسرح شاعر مُمتاز سوى عَدِي بن الرِّقاع ، وهو مع ذلك لا يعدُّ شيئاً إذا ما قيس بفُحول شعراء العراق من مثل : الفرزدق والأخطل وجرير وذي الرّمة (١) .

ويستعرض الدكتور شوقي ضَيف البيئات الأُخرى التي سكَنها اليمانية فيقول : إنَّ بيئة اليمن لا يوجد فيها شعر أو نثر في العصر الأموي ّ ،لسبب بسيط هو أن أهلها لم يسهموا في الشعر الجاهليّ من قبل ، ومن هُنا تخلَّفت بيئة اليمن شعرياً في العصر الأمويّ ، إلا من هاجر من اليمنيين إلى الشمال واستخدم اللّغة الشمالية في التعبير وانفصَل عن بيئته الأوُلى (٢). ويقول : إنَّ بيئة مصر كان نشاطها الشعري محدوداً ؛ لأنَّ أكثر من هاجر إليها كان من اليمانية ، والشعر الذي عرفته مصر في العصر الأُموي هو شعر وافد (٣). وكذلك كان الحال في بيئتي المغرب والأندلس . ونشط الشعر في خرسان نشاطاً عظيماً إذ كانت الكثرة من العرب هناك مُضرية ، وحيثُما وجدتَ المُضريّن وجَدْت الشعر (٥) .

والحقُّ أنَّ للقبائل اليمانية الشامية في العصر الأُمويّ شعراً يتناول معظم الأغراض الشّعريَّة التي ينظم فيها الشعراء شعرهَم ، وإنَّ كان لا يُقاس حجماً بما وصل إلينا من شعر القبائل المُضريَّة . ويبدو أنَّ الأسباب التي استند إليها الباحثون في تعليلهم لأسباب قلَّة شِعر تلك القبائل بحاجة إلى مُراجعة ، لأنَّ مسألة النَّسب ليست سبباً حاسماً في قلة الشعر أو كثرته ، فالشعر لا يتبعُ النَّسب ولا يختصُّ باللون . يقول ابن قُتيبة :« ولم يقْصرُ الله العلم

(١) التطور والتجديد في الشعر الأُمويّ ص : ٤٧ . وانظر تاريخ الأدب العربيّ ، العصر الإسلامي ص : ١٦٥ .

(٢) نفسه ص : ٥٠ . وانظر : تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ص : ١٦٨ .

(٣) نفسه ، ص : ٥١ .

(٤) نفسه ص : ٥٢ ، ٥٣ . وانظر ك تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ص : ١٦٧ .

(٥) تاريخ الأدب العربيّ ، العصر الإسلامي ص : ١٦٤ .

(٦) انظر : الفصل الثالث من هذه الدراسة .

والشعرَوالبلاغة على زمنٍ دون زَمن ، ولا خصَّ به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مُشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر» .[1] فالشعر موهبة إنسانيّة عامة ، لا تختصُّ بقوم دون قوم ، ولا بأمة دون أُخرى ، وهي على هذه السجيَّة بين العرب ، لم تَختْصَّ بقبيلة ربيعة فنقول : إنَّ الشعر بدأ بها ، ولا بمضَر ولا باليمن ، وإنّما الشعر تَعبير عن العواطف التي تُخالج النَّفس ، وهو نتاجُ قرائح الموهوبين وأصحاب الحِس الشاعري من الأمم والقبائل كلّها ، ويُمكن لكلّ إنسان لديه حِس مُرهف واستعداد طبيعي وذوق موسيقي أنَّ يكون شاعراً ، من أى حيّ كان . ولهذا نَجِد أنَّ الشعراء ينتمون إلى قبائل مُتعددة . وإذا تقدمت قبيلة على أُخرى في عدد الشعراء ، فليس مَرد ذلك إلى أنَّ تلك القبيلة ذات حِسٌ مُرهف واستعداد فطري لقول الشعر ، وأنَّ بقية القبائل غبية بليدة الحس والعاطفة . فقد تكون ثمَّة أسباب أُخرى نجهلها ، كأن تكون منازلها مُنعزلة بعيدة لم يتصل بها الرواة ، أو أنها قبائل صغيرة انحصر شِعرها في حدودها فَخمَل ذِكرهُ ، ولم ينتشر بين القبائل خبَره . وإذا نظرنا إلى الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا نَجده ، شعر قبائل كبيرة لها نفوذ مثل قبائل : بكر وكِندة وتميم وتغلب [2] .

وربمَّا لم تكن الأنساب حاصل نَسبَ بالمعنى المفهوم من لفظة نَسَب ، أي الانحدار من والدين ، وإنما هي حاصل تكتُّلات سياسية وتجمعات قبلية [3] .

ثم إنه لو صح أنَّ كثرة الشعر وقلته ترتبطُ بالدم والأصل ، وأنَّ نسب اليمانية هو السبب فيما يُزعم من ضآلة الشعر فيهم ، لوجبَ أنْ ينطبق هذا القول على اليمانية في جميع العصور الأدبيّة ، ولكنَّ تاريخ الشعر العربي ينقضُ هذا القول ويفسدُه ، إذ يبيّن أنَّ الشعر مُتصل في اليمانية عريق فيهم ، وأنه ظهر من بينهم شعراء كثيرون ، ويؤكّد أنَّ شعراء اليمانية يُمثلون رُبع شعراء العربيّة من العصر الجاهليّ إلى العصور العباسية المُتأخرة ، وأسماء هؤلاء الشعراء وأشعارهم مبثوثة في كُتب تَراجم الشعراء ، وفي كتب الأدب والنقد ،

---

(١) الشعر والشعراء ص : ١٩ .

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩ : ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

(٣) نفسه ٩ : ٤٣٧ .

وكُتب المُختارات والحماسات إلى غير ذلك من دواوين الشعراء اليمانيين في هذه العصور الأدبيّة (١) .

ولو صحّ ذلك أيضاً لما ظهر شعراء يمانيون في البيئات العربيّة الأُخرى مثل بيئة الكوفة التي أنجبت عدداً من الشّعراء اليمانيين في العصر الأمويّ منهم : عبدُ الله بن خليفة الطّائي (٢) ، وعُبيد الله بن الحُرّ الجُعفي (٣) ، وعَبدُ الله بن عوف بن أحمر الأزدي (٤) ، وأعشى هَمدان (٥) . وبيئة خُرسان التي ظهر فيها : الشاعر المداح كَعب بن معدان الأشقري الأزديّ (٦) ، والشاعر الهجّاء ثابتُ قُطنة الأزدي (٧) . إلى غير هؤلاء من شعراء اليمانية الذين ظهروا في البيئات العربية الأخرى . وعلى ذلك فإن عامل النّسب سببٌ لا نستطيع الرّكون إليه في تَعليل قلِة شعر القبائل اليمانية في العصرين الجاهلي والإسلاميّ .

وأما بالنّسبة إلى البيئة أو الإقليم ، فقد أسلفنا أنّ بيئة الشام لم تكن قبل الإسلام بيئة عربية خالصةً ، إلا أنّ القبائل اليمانية فيها استطاعت أنْ تُحافظ على لغتها العربية التي تغلبت على السريانية بعد الإسلام وانتشرت بين تلك القبائل انتشاراً واسعاً (٨) . هذا ولم تكن بلاد الشام بعد الإسلام خالصة لليمانية ، فقد شَهِد فتحها معهم وشاركهم في نزولها كثير من القُرشية والقيسية . وما يُقال من أنّ الشعر نشأ في المُضريةّ، وأنّ بيئة بلاد العرب الشماليّة

(١) الرّواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأمويّ ص : ٨٤ - ٨٥ .
(٢) د . يوسف خُليف : حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة ص : ٣٦٣ .
(٣) نفسه ص : ٣٧٥ - ٣٧٦ .
(٤) نفسه ص : ٣٨٠ .
(٥) نفسه ص : ٤٠٠ ، ٤٠٦ .
(٦) د . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربيّ ، العصر الإسلاميّ ص : ١٦٤ ، ٢٢٦ ، ود . حسين عطوان : الشعر العربي بُخراسان في العصر الأمويّ ص : ٢٦١ .
(٧) الشعر العربي بُخراسان في العصر الأمويّ ص : ٢٣٧ .
(٨) العرب في الشام قبل الإسلام ص : ٢٨ ، ٨٤ .
(٩) الواقديّ : فتوح الشام ١ : ١٥ ، والأزديّ : فتوح الشام ص : ١٦ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٢١٨ .

هي التي لازمت نشأة الشعر ونموه وتطوره ، وأنَّ لُغته كانت شمالية عدنانية ففيه بعضُ التلبيس ؛ لأنّ نَشأة الشعر خَفية غامضةٌ ، وبدايته مجهولة ضائعة ، ادعتها الربعيّة والمضريّة ، مثلما ادّعتها اليمانية (١) .

ويتسّم شعر القبائل اليمانية الشاميّة في العصر الأمويّ بالقوة والفصاحة ، بدليل أنه راق أصحاب الحماسات والمختارات الشعريّة فنقلوه . كما أنَّ شهادة الدكتور طه حسين بتميزُ شاعريّة عديّ بن الرقاع دليل آخر على مقدرة بعض شعراء تلك القبائل على النّظم في مختلف الأغراض الشّعرية (٢) . وأما ما ذهب إليه من أنَّ عديّ بن الرقاع من قُضاعة ، وأنّها قبيلة لا تعرف لنفسها نَسباً ، فهو ذهاب مع أضعف الآراء في أقوال النسّابين (٣)، والغاية منه تأكيد صحّة النتيجة التي خَلص إليها . وقد استطاعت بيئة الشام في العصر العباسي أنْ تنجب شاعرين طائييّن كبيرين هما : أبو تمام والبُحتريّ .

ويعزو الدكتور إحسان النّصّ سبب تفوق القبائل المُضَريّة في الشعر على قبائل اليمن عامة ، إلى مدى تَحضر القبائل واستقرارها فيقول : إنَّ حظ القبائل ذات الماضي المُعرق في البداوة كتميم وقيس وأسد وربيعة من الشعر والشعراء أوفى من حظّ سائر القبائل ولا سيما تلك التي كانت حياتُها في الجاهلية أدنى إلى التحضر والاستقرار كقبائل اليمن عامة (٤).

ويبدو أنَّ رأيه هذا صدى لرأي ابن سلام الجُمحي الذي أرجع ظاهرة تفاوت حجم الشعر في القبائل العربية إلى تَبدي بعض هذه القبائل تَحضر بعضها ، فذكر أنّ الشعر

---

(١) العُمدة ١ : ٨٩ ، والمزهر ٢ : ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، وانظر : فحولة الشعراء ص : ٣٥ ، ود . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهليّ ص : ١٨٣ والرّواية الأدبيّة في بلاد الشام في العصر الأموي ص : ٧٩ .

(٢) انظر : الفصل الثالث من هذه الدراسة .

(٣) بيان ذلك في كلامنا على قبيلة قضاعة قبل الإسلام في الفصل الأول من هذه الدراسة .

(٤) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأمويّ ص : ٥٤٧ .

يضعف ويقل في القبائل المُتحضرة لجنوح أهلها إلى السلم ، ويقوى ويزدهر في القبائل المتبدية لجنوح أهلها إلى الحرب (١) .

والحق أنَّ قلَّة الشعر أو انعدامه لا ترجعُ إلى التحضر والاستقرار ؛ لأنَّ الحضارة لا تُميت الشعر ، فحضارة الفُرس والروم ، وحضارة المسلمين في دولتي بني أُمية وبني العباس ، لم تضيق من خيال الشعراء ولم تعقل ألسنتهم ، وكذلك فإنَّ حضارة أوروبا اليوم بعثت الشعر ولم تقف في وجهه ، وكلُّ ما يمكن أن يقال في ذلك : إنَّ الحضارة تُميت أنواعاً من الشعر لا تعيش إلا في البادية ، وتحيي أنواعاً منه لا تعيش إلا في الحضر (٢) .

والشعر لا وطن له ، فهو ينشأفي المدينة كما ينشأ في البادية ، وإنما مدار ذلك على مقدار ما يلقى الشعراء من تَشجيع ، وعلى مدى عناية الرواة بحفظ الشعر وتدوينه . ولعل انتقال الشعر من بيئة الحجاز إلى الحواضر الكُبرى التي انتقل إليها المسلمون أكبر دليل على ذلك (٣).

وهذا ابن سلاّم الجُمحي يعدُّ في طبقاته أربعين شاعراً من فحول الشعراء ، جعلهم في عشر طبقات ، وأضاف إليهم أربعة شُعراء من أصحاب المراثي ، كما أضاف تسعة شعراء في مكَّة ، وخمسة في المدينة ، وخمسة في الطائف ، وثلاثة في البحرين ، وعدَّ لليهود ثمانية شعراء ، ونجد بين هؤلاء الشعراء البدويّ والحَضَريّ كما نجد بين البدو المُضري والربعي واليمنيّ .

وقد تنبَّه الجاحظ إلى فساد رأي ابن سلاّم فذكر أنَّ ظاهرة تفاوت الشعر في القبائل لا ترجعُ إلى الحضارة والبداوة ، بل ترجع إلى اختلاف الغرائز و الحظوظ ، أي إلى قوة القرائح والطَّبائع وضعفها في نفوس أفرادها (٤).

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١ : ٤٦ ، ٢٥٩ .

(٢) فجر الإسلام ص : ٢٢ . وانظر : بلاشير : تاريخ الأدب العربي ص : ٢٠١ .

(٣) محمَّد عبد المنعم خفَاجي : الحياة الأدبية ، عصر بني أُمية ، ص : ٨٣ .

(٤) الحيوان ٤ : ٣٨٠ - ٣٨١ .

وهكذا فإنّ ظاهرة قلّة الشعر في القبائل اليمانية عامّة ، والقبال اليمانية الشاميّة في العصر الأُمويّ خاصّة ، لا ترجعُ إلى عوامل النّسب والبيئة والاستقرار . ولعلّها ترجع إلى ضَياع شعر تلك القبائل في الجاهلية والإسلام ، إذ لا يعْقَلَ أنْ يكون الله قد حَرَمها قول الشعر فلم يَنبُت في أرضها شاعر ، ولم يَقُم بينها من جارى بقيَّة القبائل في نَظمه ، وهم عَرب مثل غيرهم ، ولهم حسٌ وشعور فلا يُعقل عَدم ظهور شعراء بينهم [١] . فمن مصادر شعر القبائل اليمانية الشاميّة الضائعة : كُتبُ فتوح الشام خاصة ومنها : « كتاب فتوح الشام [٢] » لأبي مِخنف الأزديّ (ـ ١٥٧ هـ) و « كتاب فتوح الشّام » [٣] للمدائنيّ (ـ ٢٢٥هـ) . ويدخل في هذا النّوع من مصادره المفقودة كُتُب الفتوح العامة المُحتوية فتوحَ الشام وغيرها ومنها : « كتاب الفتُوح الكبير » [٤] لسيف بن عمرالتَّميميّ (ـ ١٨٠ هـ) .

ومن مصادره الضائعة أيضاً : كتب الأحداث التي وقَعت بالشام، وكتبُ الصَّوائف والشَّواتي ، وحروب أهل الشام مع الروم ، وكتب تاريخ بني أُميَّة وأهل الشام ، ومنها : « كتاب وفاة معاوية وولاية ابنه يزيد ووقعة الحرَّة وحصار ابن الزبير » و « كتاب مرج راهط وبيعة مروان وَمقتل الضّحاك بن قيس » [٥] لأبي مِخنْفَ الأزدي ، و « كتاب مرج راهط » [٦] لأبي عُبيدة مَعَمر بن المُثنىّ (ـ ٢١٣ هـ) ، و « كتاب مُرج راهط» [٧] للمدائنيّ ، و « كتاب الصوائف » [٨] للهيثم بن عديّ الطائيّ (ـ ٢٠٦ هـ) ، و « كتاب سيرة معاوية وبني أُميّة »[٩] لعوانةَ بن الحكم الكلّبي (ـ ١٤٧ هـ) ، و « كتاب مديح أهل الشام » و « كتاب تاريخ العجم وبني أُميَّة » و « كتابُ مَداعي أهل الشام » للهيثم بن عدي الطائيّ .

(١) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩ : ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .
(٢) الفهرست ص : ١٠٥ . وانظر : الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأُمويّ ص : ٨٩ ـ ٩١
(٣) نفسه ص : ١١٥ .
(٤) نفسه ص : ١٠٦ .
(٥) نفسه ص : ١٠٥ .
(٦) نفسه ص : ٥٩ .
(٧) نفسه ص : ١١٥ . وانظر : عدداً من كتب الوقائع التي خاضها أهل الشام في الحجاز والعراق ، ص : ١٠٥ ، ١١٢ .
(٨) نفسه ص : ١١٢ .
(٩) نفسه ص : ١٠٣ .
(١٠) نفسه ص : ١١٢ .

وفي « المؤتلف والمُختلف » للآمدي إشارات تدلُّ على ضياع شعر هذه القبائل منها : أنَّه ذَكَر ثمانية عشر ديواناً لقبائل اليمن [1] لم يصل إلينا منها شيء ، ولو وصلت إلَينا تلك الدواوين ، لحصلنا على شعر يمانيّ كثير . وأنَّه اكتفى بتسمية نحو من خمسةٍ وعَشرين شاعراً كلبيّاً ، ولم يرو من أشعارهم إلا أبياتاً قليلة ، ومنهم : الأغلبُ الكلّبي الذي يبدو أنَّ شعَره قد درسَ فلم يُدرك [2]. هذا فَضَلاً عن وجود عدد آخر من شعراء كلب في العصر الأموي لم يصل إلينا من شعرهم إلا أقله [3] ، مما يدلُّ علي ضَياعه . وقد تنبه الأصمعيّ إلى ذلك فقال : لم أرَ أقلَّ من شعر كلب وشيبان [4].

ولمّا هَرب الأُقيبل القَينيّ [5]، وهو أحدُ شعراء الشام في العصر الأموي ، من جيش الحَجاج بن يوسف الثقفي ، حين خَرَج إلى عبد الله بن الزُّبير ، قال قصيدةً وَصَفها الآمديّ بأنَّها طويلة ، غير أنَّه لم يَرو منها إلاّ ثلاثة أبيات [6] ، ولم نَعثر في المصادر التي بين أيدينا إلا على ثلاثة أبيات أُخرى منها [7] ، مما يدلُّ على ضياع مُعظمها . ويذكر الآمدي أيضاً أنَّ للأقيبل القينيّ أشعاراً ومقطعات جياداً في أشعار بني القَين بن جسر [8] ولكنَّها ضاعت مع ضَياع أشعارهم .

وينصُّ ابن النَّديم [9] على أنَّ شعر صالح بن جَناح اللَّخميّ [10] في خمَسين وَرَقة . إلا أنَّ ما وصل إلينا من شعره يقلُ عمّا يُمكن أنْ تَحتويه تلك الأوراق .

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذه الدَّواوين .

(٢) ص : ٢٤ .

(٣) انظر بعض هذا الشعر في الفصل الثالث من هذه الدراسة .

(٤) فُحولة الشعراء ص : ٢٦ . وانظر : المرزبانيّ : المُوشح في مآخذ العلماء على الشعراء ص : ٧٣ .

(٥) سترد ترجمته في الفصل الثالث من هذه الدراسة .

(٦) المؤتلف والمُختلف ص : ٢٥ .

(٧) أنساب الأشراف ٥ : ٣٥٨ .

(٨) المُؤتلف والمُختلف ص : ٢٦ .

(٩) الفِهرست ص : ١٨٤ .

(١٠) سترد ترجمته في الفصل الثالث من هذه الدراسة .

وهذا شُقران مولى بني سلامان من قُضاعة [١] ، شاعر شاميّ من شعراء بني أُمية ، قال عنه ابن عساكر : إنه « كان مدّاحاً للوليد بن زيد » [٢] ، ولم يبق من شعره الذي مَدَح به الوليد شيء [٣].

ويُضاف إلى ذلك أنَّ رواة الأشعار من علماء العراق أهملوا شعر هذه القبائل ولم ينقلوه ، لتفاقُم الخُصومة السياسيّة واشتداد العصبية الإقليميةّ والعلميّة بينهم وبين أهل الشام ، وأنَّ علماء اللّغةالعراقيّين في القرنين الأول والثاني عزفوا عن الاستشهاد به ، لُخروجه عن نطاق القبائل التي كانوا يحتجون بلغتها ، ويأخذونَ شواهدهم من شِعرها [٤] . وكذلك فإن انتقال السّيادة من الشام إلى العراق بعد سقوط الدولة الأُمويّة ، وانحطاط قبائل اليمن الشامية في الوقت الذي بدأ فيه علماء العراق بجمع الأعمال الشّعرية ، وما جوبهت به مُخلفات العصر الأمويّ من صدود ، قد أدى إلى ضياع مُعظم شعر هذه القبائل [٥].

وقد أدت هذه الأسباب مُجتمعة إلى ظهور القبائل اليمانية في جُملة القبائل المُقلة في الشعر ، وإلى ظهور البيئات التي سكنها اليمانية في جُملة البيئات التي لم تَشهَد حركة شعرية نشطة . وعلى كلٍّ حال فإن ما وصل إلينا من شعر القبائل اليمانية عامّة ، والقبائل اليمانية الشامية في العصر الأمويّ خاصّة ، قليل ولا يقارن بشعر القبائل العدنانيّة حَجْماً .

---

(١) ستَرِدَ ترجمته في الفصل الثالث من هذه الدّراسة .

(٢) تاريخ مدينة دمشق (مُصورة الجامعة الأُردنية) ٨ : ٤٧ . وانظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٢٧ .

(٣) الوليد بن يزيد : عَرض ونقد ص : ٣٨٤ .

(٤) بلاشير : تاريخ الأدب العربيّ ص : ٢٧٩ ، ٥٤٨ ، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩ : ٢٤٣ ، ٤٣٥ ، والروايّة الأدبيّة في بلاد الشام في العصر الأمويّ ص : ٥٩ ، ٨٧ .

(٥) بلاشير : تاريخ الأدب العربيّ ص : ٢٧٩ ، ٥٤٨ .

الفصل الثالث

موضوعات شعر القبائل اليمانيّة الشاميّة



ارتبطَ كثير من شعر القبائل اليمانيّة الشاميّة بالأحداث السياسيّة التي وَقَعت بعد الإسلام ، وبالوقائع الحربيّة التي خاضتها هذه القبائل في صدر الإسلام والعصر الأموي ، فقد تصايحَ شُعراؤها بشعر غزيز نظموه في وقعة صفين التي جَرت بين أهل العراق وأهل الشام [1] ، وتغنوا بقليل من الشعر في مُناجزتهم لُمصعب بن الزُّبير بالكوفة [2] ، وفي حصارهم الأوّل والثاني لأخيه عبد الله بمكة [3]، وفي مُقارعتهم ليزيد بن المُهلب بالبصرة [4] .

أمّا أغزر شعر هذه القبائل وأشهره ، فهو ما تدفّق على ألسنة شُعرائها في وقعة مرج راهط ، وفيما تلاها من أيام بين قبيلتي قيس وكلب ، وفي مصرع الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

وبجانب شِعر الحَرب والسيّاسة ، فإنّ للقبائل اليمانية الشامية في العصر الأموي شعراً صاغه شُعراؤها في الموضوعات التقليدية من مدح ، وغزل ، وفخر ، وهجاء ، ورثاء ، ووصف ، وعتاب ، وحنين ، وحكم وآداب ومواعظ ، وموضوعات مُتفرقة أُخرى .

---

(١) انظر مثلاً : وقعة صفين ص : ١٧٨ ، ١٨٢ ، ٢٠٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٦ ، ٣٥٧ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٤٢٤ ، ٤٤١ ، ٤٥٧ ، والأخبار الطّوال ص : ١٧١ ، ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٣ ، وكتاب الفتوح ٣ : ٣٠ ، ٨٠ ، ١١٢ ، ١٥٩ ، ٢٧٤ ، وشرح نهج البلاغة ٨ : ٣٥ ، ٥٠ ، ٦٧ .

(٢) انظر : ديوان عديّ بن الرقاع العاملي ص : ٢٣٢ ، والأخبار المُوفقيات ص : ٥٦٠ .

(٣) انظر : أنساب الأشراف ٤ : القسم الأول ص : ٣٩٥ ، ٥ : ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، والأخبار الطوال ص : ٣١٤ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٣٥١ .

(٤) انظر التنبيه والإشراف ص : ٢٧٨ ، والرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي ص : ٩٢ - ٩٣ .

أولاً : المديـــح

المَديح فَنٌّ قديم من فنون الشِّعر العربيّ ، عرفه الشعراء منذُ العصر الجاهليّ ، وكانوا يكثرون من النَّظم فيه ، ويرتحلون به إلى أشراف العرب ومُلوكهم كالمناذرة والغساسنة يمدَحونَهم وينالون جوائزهُم وعطاياهم (١) .

ولشعراء القبائل اليمانية الشاميّة في العصر الأُمويّ مقطوعات وقصائد نَظموها في مدح عدد من خُلفاء بني أُميَّة وأمرائهم ، وفي مدح بعض عُمال الأمويين من رجالات القبائل اليمانية ، وفي مدح قبيلة قُضاعة والتمجد بالانتِساب إِليها .

١ـ المديح السياسي .

أ ـ مدح الخلفاء .

يَبدو أَنَّ شعراء القبائل اليمانية الشامية ـ باستثناء عَديّ بن الرقّاع العاملي (٢) ـ لم يتخَّذوا من مدح الخلفاء الأُمويِّين وتعظيمهم وسيلةً للتكسُّب وجمع المال ، ولم يصدروا في مديحهم لهم عن اعتقادهم بفضلهم وصلاحهم ، أو عن اقتناعهم بحقهِّم في تولّي الخلافة ، وإِنّما مَدحوهُم ؛ لأنَّ مصلحة قبائلهم في بقاء الشام مركزاً للخلافة الإسلامية ، كانت تقتضي منهم مُبايعتهم والوقوف إلى جانبهم وتأييدهم في عقد البيعة لأبنائهم من بَعدهم ، ومناهضة مُنافسيهم . ويؤكد ذلك أنَّهم لم يُرددوا في شعرهم اعتقاد الأُمويّين بمذهبَ الجبر في الخلافة ، وأنهم لم يَمدحوا خُلفاء بني أُميَّة المُتأخرين ، بل انضموا إلى مُعارضيهم وقاتلوهم عندما لَمَسوا منهم تَعصباً على قبائلهم وتقريباً لزُعماء خُصومها ، كما حدث للوليد بن يزيد ولمروان بن محمَّد في أواخر العصر الأُمويّ . ولعلَّ هذا ما يُفسِّر قلة مدحهم للخُلفاء وارتباط بَعضَ ما وصل إلينا منه بالأحداث والمُناسبات التي كانت تتطلَّبُ من الشعراء إعلانَ ولاءِ قبائلهم لخُلفاء بني أُميَّة وتجديد بيعتها لهم ، ومن ذلك أنَّ معاوية بن

---

(١) د . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهليّ ، ص : ٢١١ .

(٢) ستَرِد تَرجمته بعد قليل .

أبي سفيان لمّا أراد البيعةَ بالخلافة لابنه يزيد من بعده [١]، أوعز إلى رجل حِمَيريّ من ذي الكلاع، فقام فقال: هذا أمير المُؤمنين، فإن مات فهذا ـ وأشار إلى يزيد ـ فَمَن أبى فهذا ـ وأشار إلى السيف ـ ثُمَّ قال [٢]:

مُعاويةُ الخَليفةُ لا تُمارى ... فإنْ تَهْلكْ فَسائسُنا يَزيدُ
فَمَنْ غلبَ الشَّقاء عليهِ جَهلاً ... تَحكمٌ في مَفارقهِ الحَديدُ

فَعبَّر في بيتيه هذين عن حرص اليمانية الصَّريح على استمرار حُكم الأُمويِّن واستعدادهم لمُقاتلة مُعارضيهم، ودلَّ فيهما على اعتماد مُعاوية على القبائل اليمانية الشامية وتقريبه لرجالها.

ولمّا بُويع مروان بن الحَكَم بالخلافة في مؤتمر الجابية الذي سَبَق وقْعة مرج راهط، مَدَحه أبو ثُمامةَ الكلبيّ وفضلَّة على مُنافسهِ عبد الله بن الزبير مُعتمداً في تفضيله له على المُقابلة بين ما يعتقده فيه من صِفات الهُدى والاستقامة وبين ما يَعتقدُه في مُنافسة من صفات الكذب والضَّلالة، وعبَّرعن تأييده وبيعته له فقال [٣]:

وأُشهدكم أنـي لمروان سـامِـع ... مُطيعٌ وللضَّحّاك عاصٍ مُجانِبُ [٤]
إمامانِ: أمّا مِنهما فَعلى الهُدى ... وآخـرُ يدْعـو للضَّلالة كـاذِبُ

---

(١) انظر بيعة يزيد بن معاوية في: ابن قتيبة(منسوب): الإمامة والسّياسة ١ : ١٧٥، ومروج الذهب ٣ : ٢١٨ (٢) أبو علي القالي: الأمالي ١ : ١٥٩. وانظر: البيان والتَّبيين ١ : ٣٠٠ وفيه أنَّ القائل رجل من عُذرة يُقال له يزيد بن المُقنع. وقد ذكر الجاحظ القصّة ولم يرو البيتَين. والعمدة ١ : ٣١٠، واتجاهات الشعر في العصر الأُمويّ ص : ٢٢.

(٣) نقائض جرير والأخطل ص : ١٧. وانظر: الأبيات في: كتاب الفتوح ٥ : ٣١٣ دونَ عزو وبرواية مُختلفة.

(٤) البيتُ منسوب إلى ثُمامة بن قيس الكلبيّ بقافية مُختلفة في: أنساب الأشراف ٥: ١٣٩. والضحاك: هو الضحاك بن قيس الفهريّ، وكان يدعولعبد الله بن الزُّبير في الشام.

وجَعلَ جوَّاس بن القعطل الكلّبي [1] الخلافة حقاً خالصاً لبني أُمية لا يُشاركهم أحد فيه ودَعاهم إلى المُحافظة عليها باتباع الحَزم والشِّدة ، ووصفَ خصومهم بالنِّفاق والإلحاد فقال [2] :

إنَّ الخلافةَ يا أُميَّةُ لم تكُنْ ... أَبَدا تَـدُرُّ لِغيركم ثَديـاهــا
فَخُذوا خِلافتكُم بأمْرٍ حازمٍ ... لا يَحلِبُنَّ المُلحدين صَراهــا [3]
سِيروا إلى البَلَدِ الحَرام وشَمِّروا ... لا تُصلحوا وسواكم مَوْلاها
لا تَتْرُكُنَّ مُنافقين بِبَلدةٍ ... إلا أَملتُم بالسُّوفِ طُلاهــا [4]

ولكنَّه سَرعان ما كان يَنقلبُ عليهم ويُعرِّض بحِقّهم في الخلافة إذا ما لَمس منهم جَفاءً لليمانية وصُدوداً عنهم [5].

ومَـدح عَـدِيُّ بـن الرقــاع العامليّ [6] عبد الملك بن مروان ونوَّه بقيادته وشَجاعته

---

(١) هو جواسِ بن القَعطلِ ، واسمُ القَعطلِ : ثابت (ويُقال : اسمُه بَياض) بن سويد بن الحارث بن حِصن بن ضَمضَم بن عدي بن جَناب الكلبيّ . أحد شُعراء الشام الفرسان ، وله شعر في وقائع مرج راهط ، وكانت وفاته حوالي سنة (٧٠ هـ) . انظر : نقائض جرير والأخطل ص : ١٩ ، وأنساب الأشـراف ٥ : ١٤٢ ، والمـؤتلف والمُختلف ص : ٩٩ ، والإكمال ٢ : ٤٢٩ ، وتـاريـخ مدينة دمشـق (مُصورة الجامعة الأردنية) ٤ : ٢٥ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٤١٧ ، والأعلام ٢ : ١٤٣ .

(٢) أنساب الأشراف ٥ : ٣٧٦ .

(٣) الصَّرى : اللَّبن يُترك في ضرع النّاقة فلا يحتلب ، فيصير ملحاً ذا رياح . لسان العرب : مادّة صَرى .

(٤) طُلاها : أعناقُها .

(٥) انظر : نقائض جرير والأخطل ص : ٢٠ .

(٦) هو عَديُّ بن زيد بن مالك بن عديّ بن الرقاع العاملي ، نَسبهُ الناسُ إلى الرَّقاع وهو جدُّ جدّه لشُهرته . وكان عدي شاعراً مُقدماً عند بني أُمية مدَّاحاً لهم ، خاصاً بالوليد بن عبد الملك . وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم ، إذ كان ينزلُ دمشق . وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الإسلام ، وله بنت شاعرة اسمها سلمى . توفي بعد خلافة عمر بن عبد العزيز حـوالي سـنة (١٠١ هـ) وله ديوان شعر مطبوع . انظر : طبقات فحول الشعراء ٢ : ٦٨١ ، والشعر والشعراء ص : ٤١٠ ، والأغاني ٩ : ٣٠٠ ، والمؤتلف والمُختلف ص : ١٦٦ ، ومعجم الشعراء ص : ٨٦ ، وسمط اللآليء ص : ٣٠٩ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصورة الجامعة الأردنية) ١١ : ٢٥١ ، وتاريخ الآداب العربية ص : ٢٩٩ ، وبلاشير : تاريخ الأدب العربي ص : ٥٦١ ، ود. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ص: ٣٤٣ .

وبوضاءَة وجهه وشرف مَحتده ، دون أنْ يَذكر شيئاً من صفاته الإسلاميَّة . وأشاد بُموالاةِ القبائل اليمانية الشاميّة وبنصرها له على أعدائه ، في قصيدته التي وَصف فيها خُروج عبد الملك لقتال مُصعب بن الزبير في الوقعة التي كانت بينهُما بدِير الجاثليق سنة اثنتين وسَبعين للهجرة [1] ، والتي قُتل فيها مُصعب وهُزم جيشهُ ، فقال [2] :

يُقومّنــا واضــحٌ وجْهُــهُ كريُم المَضارب والمنصبِ (٣)
أغرٌّ يُضيء لنــا نُــورُه إذا ما انْجلتْ غَمرةُ المَوكبِ
تَظلُّ القنابلُ يكســونهُ رواقاً من النَّقْع لم يُطنبِ
أُعينَ بـنا ونُصـِرنا بـِهِ ومَن ينصر الله لا يُغلبِ
فــداؤكَ أُميٌّ وأبنــاؤهــا وإنْ شئتَ زِدتُ عليهم أبي
فَمــن يَكُ مــنّا يبــت آمناً ومَن يَكُ من غيرنا يَهربِ

وحينما بايع الناسُ عبد الملك بن مروان بالخلافة بعد هذه الوقعة سجَّل شاعر من بلقين هذا الحدث التاريخي في بيتين مدَح فيهما عبدَ الملك ووَصفه بأنَّه ملِك هُمام بُويع بيعةً صحيحة لا مطعن فيها فقال [4]:

بَدِيْرِ الجاثليقِ على دُجَيْلٍ عَقَدْنا بيْعة الملكِ الهُمامِ
عَقَدنا بيعةً لا إثمَ فيهــا سَيَحْوي فخرها أَهل الشآمِ

فالشاعر قد حدد مكانَ عَقد البيعةِ في البيت الأوّل ، وجاء بكلمة « سيَحوي» في البيت الثاني ؛ ليدلَّ على المكاسب السّياسية الكثيرة التي تحققَّت لأهل الشام بِعقدها ، ولكنَّه لم يُعن بنقل صُورة مُفصلة لهذه البيعة ، وإنما اكتفى بالتعبير عنها تعبيراً بسيطاً مُوجَزاً .

---

(١) أنساب الأشراف ٥ : ٣٤٢ .
(٢) ديوان عديّ بن الرقاع العاملي ص : ٢٤٩ . والأبيات ساقطة من القصيدة رقم (١٧) في الديوان ص : ٢٣٢ .
(٣) المنصب : الأصل .
(٤) أنساب الأشراف ٥ : ٣٥٥ .

وعندما أراد الوليد بن عبد الملك أنْ يُبايعَ بالخلافة لابنه عبد العزيز بعد أخيه سُليمان ابن عبد الملك ، أبى سليمانُ ذلك وشنَّع عليه ، فأمر الوليدُ شاعراً من عُذرة أنْ يرتجزبذلك وسليمان يَسمع ، لعلَّه يسكت فيُشهد عليه بالموافقة ، فقال العذري [١] :

يا لَيْتَها قد خَرجَت من فَمِّهِ إنَّ وليَّ عَهدِهِ ابنُ أُمِّهِ
ثُمَّ ابنه وليُّ عَهدِ عمِّهِ قد رضيَ الناسُ به فسمِّهِ

فالتفت إليه سُليمان وقال : يا ابن الخبيثة من رضيَ بهذا ؟ . ونستدل من هذه الحادثة علي اعتماد الخُلفاء على الشعر ، واستعانتِهم بالشعراء لتأكيد البَيْعةِ لأبنائهم ونَشر خَبرها بين الناس .

واستأثر الوليد بن عبد الملك بمدائح عَديّ بن الرقاع الرائعة ، إذ كان مدّاحاً لبني أُميّة ، داخلاً في جملتهم ، خاصّاً بالوليد بن عبد الملك [٢] ، مُحباً له ، حتّى إنَّه تمنى في إحدى قصائده أنْ يموت قبله ؛ لأنَّه لا يريد أنْ يُفجع به من جهة ، ولا يريد أنْ يكون تابعاً لخليفة غيره من جهة ثانية يقول [٣] :

عُذنا بذي العَرشِ أنْ نَحيا ونَفْقدهُ أو أنْ نكون لـراعٍ بَعْدَه تَبعَـا

وقد خصّه عَديّ بعشر قصائد [٤] بناها بناءً تقليدياً ، فافتتحَ أكثرها بالأطلال والنّسيب ، وخلع عليه فيها عدداً من صفات المديح التّقليديّة التي ردّدها الشعراء الجاهليون

---

(١) أنساب الأشراف (مُصورة الجامعة الأردنية عن مخطوطة استانبول) المُجلد الثاني ص : ١٠٧ ، والعقد الفريد ٥ : ١٦٠ ، وفيه أن الرَّجز للأُقيبل القينيّ . والحق أنَّ الأقيبل لم يُدرك خلافة الوليد . انظر : ترجمة الأُقيبل القيني في صدر حديثنا عن موضوع الوصف . وانظر أيضاً : تاريخ مدينة دمشق (مُصورة الجامعة الأردنية) ١٠ : ٢٠٠ .

(٢) الأغاني ٩ : ٣٠٠ .

(٣) الديوان ص : ٢٢٠ .

(٤) انظر نفسه ص : ٧٣ ، ٨٢ ، ٩٦ ، ١٢١ ، ١٥٠ ، ١٦٨ ، ٢٠٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٣٢ .

قبله ، كحسن القيادة والتّدبير ، والمجد والكرم والوفاء والخُلق وعَراقة النّسب (١). ولكنّه أضافَ إليها جُملة من الفضائل الإسلامية ، فذكر أنّ الوليد مُجاهِدٌ يَقِظ ، دائم الاستعداد لُمقارعة أعداء المُسلمين ومُجابَهتهم ، كثير النصر عليهم والإحاطة بهم ، يقول في قصيدته الداليّة (٢):

وعَمرتَ أرضَ المُسلمين فأقبلتْ ... ونَفيتَ عنها مَنْ يريدُ فَسادها
وأصبتَ في أرض العدوِّ مُصيبةً ... بَلغت أقاصي غورها ونجادَها
نَصراً وظَفراً ما تناول مِثله ... أحَدٌ من الخلفاء كانَ أرادَها
وإذا نَشرْتَ له الثناءَ وَجَدْتَه ... جَمعَ المكارمَ طِرفَها وتِلادَها
غَلبَ المَساميحَ الوليدُ سَماحةً ... وكفى قُريشاً ما ينوبُ وسادَها
تأتيه أسلابُ الأعزّة عَنوةً ... قَسراً ويَجمعُ للحُروب عَتادَها
وإذا رأى نارَ العدوِّ تضرّمت ... سامى جَماعةَ أهلِها فاكتادَها (٣)
بعرمْرَمٍ يئدُ الرّوابي ذي وَغى ... كالحرَّة احتملَ الضّحى أطوادَها (٤)
أطفأتَ نيرانَ العدوِّ وأوقدَت ... نارٌ قدحْتَ براحتيكَ زنادَها
فَبدتْ بَصيرتُها لِمن تَبع الهُدى ... وأصابَ حرٌّ شرارِها حُسّادَها

وَيلاحَظ أنَّ عَدِياً يُلِحُّ على إظهار جوانب القوّة وتأكيدها في ممدوحه ، وأنّه لم ينس أتباع الخليفة الذين رأوه على هُدى فاتّبعوه فكانوا منه ؛ لأنهم نظروا إلى الأمور ببصيرة وهدى ، أما حساد الوليد ، فقد احترقوا بنار الحرب التي شبّها الخليفةُ فألهبت قلوبهم .

وتحدَّث عَديّ بن الرقاع عن سيرة الوليد بن عبد الملك في الناس ورعايته لهم ، فَوصفه بالحَزم والعدل في حُكمه بين المسلمين ، وبالحلم والحكمة في تدبير أُمورهم ورعاية

---

(١) الديوان ص : ٩١ ـ ٩٣ ، ٢٢٠ ـ ٢٢١ ، وتحسين الصّلاح : عدي بن الرقاع العاملي : حياته وشعره ، رسالة ما جستير مخطوطة ، الجامعة الأردنية ، ص : ٥٣ .

(٢) الديوان ص : ٩١ ـ ٩٤ .

(٣) اكْتادَها : من الكَيْد .

(٤) يئدُ الرّوابي : يغمزها بالوَطءِ الشدّيد . والحرّة : الأرض السّوداء .

مصالحهم ، فقال معتمداً في إبراز صُورة الوليد على أسلوب التّقسيم الذي يزيد من حِدة إيقاع الشعر ويدلُّ على براعة الشاعر في حَشد أكبر عدد من صفات المديح في البيت الواحد [١]:

للحَمْدِ فيه مَذاهِبٌ ما تَنْتَهي — ومكارِم يَعلونَ كلَّ مكارمِ
ومَهابةُ الملكِ العزيز ونائلٌ — يُنضي الجَواد وأنتَ نِكلُ الظّالم [٢]
وإِذ نظرْت بحُرٌ وجْهِكَ كُلِّه — نَحْوَ امرىءِ فيظلُّ مِثْلَ الغائم
وإذا قَضى فَصلَ القَضاءَ فلم تَمِلْ — قُربى عليه ولا مَلامةُ لائم
تُربي على الفَيضِ الكثير فَواضِلاً — نَفَحاتُ أيامٍ له ومَقاوِم
فَرعٌ كأنَّ الناسَ حينَ يَرْوْنَه — يَتَباشَرون بِقُبلِ غَيثٍ دائم [٣]
الجامعُ الحِلمَ الأصيلَ وسُؤدَداً — غَمْراً يُعاشُ به وحِكمةَ حازمِ
وإِذا وَددْتَ فإنَّ ودُّكَ نافعٌ — وَمَنَ انتطَحتَ فليْس منك بِسالمِ

ورددَّ عديّ في بعض مدائحة للوليد بن عبد الملك مَذهبَ الجَبْر في الخلافة ، وهو المذهب الذي اعتمد عليه الأُمويون في تثبيتُ مُلكهم وصَرف خُصومهم عن مُعارضتهم ، فأشاعوا أنَّ الله هو الذي اختارهم للخلافة وآتاهم المُلك ، وأنَّهم يحكمون بإرادته ويتصرَّفون بمشيئته ، وليس لأحدٍ أنْ يعترض على إرادة الله في ذلك [٤]. فقال [٥] :

ولقد أرادَ اللهُ إِذْ ولاّكَهـا — من أُمَّة إِصلاحَها ورشادَها

---

(١) الدّيوان ص : ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) النّكل : القَيد .

(٣) فَرع : أي هو شريف في قومه . وفرع كلّ شيء : أعلاه .

(٤) الأُمويون والخلافة ص : ١٩ .

(٥) الدّيوان ص : ٩١ .

فالله هو الذي اختار الوليدَ خليفةً ؛ ليوحِّدَ الأمّة ويلمَّ شَعثها ويُصلحَ ما اعوجَّ من أُمورها . وقال [١] :

رأى الوليدَ لها أهلاً فملَّكه ... واختارَ منّا الذي يَرضى وأرضانا

فالحمْدُ للّه إذْ ولّى خلافَتَنا ... وأمْرنا خَيرنا ديناً وأقوانا

وقال أيضاً يَمدحه ويذكر أنَّ اللّه اختاره للخلافة بعد أبيه [٢]:

وقَضى لك اللّه الخلافةَ بَعْدَهُ ... وقضاءُ ربِّكَ نافِذٌ مفعـــولُ

وكان عُمر بن عبد العزيز آخر الخُلفاء الأُمويين الذين مدحهم عديّ بن الرقاع العامليّ ، وله في مدحه قصيدتان ، أثنى في القصيدة الأولى منهما على سيرته الحَميدة ، وأشادَ بصفاته فقال [٣] :

جَمعْتَ اللّواتي يَحمدُ اللّه عبْدُهُ ... عليهِنَّ فليهْناً لك الخيرُ واسلمِ

فأوّلُهنَّ البِرُّ والبِرُّ غالبٌ ... وما بكَ من عَيبِ السَّرائر يُعلَم

وثانيةٌ كانت من اللّه نِعمةٌ ... على المسلمين إنَّه خيرُ مُنعِم

وثالثةٌ أنْ ليسَ فيك هَوادَةٌ ... لِمَنْ رامَ ظُلماً أو سَعى سَعْيَ مُجرِمِ

ورابعةٌ أنْ لا تزالَ مع التُّقى ... تَحُث بميمونٍ من الأمرِ مُبرَم

وخامسةٌ في الحُكْمِ أنَّكَ تُنصِفُ الضَّعيفَ. وما مَنْ علَّـم اللّه كالعمــي

وسادسةٌ أنَّ الذي هو ربُّنا اصْطفاكَ ، فَمنْ يَتْبَعْكَ لم يَتَندَّمِ

وسابعةٌ أنَّ المكارمَ كلَّها ... سَبقْتَ إليها كلَّ ساعٍ ومُلجِم

وثامنةٌ في منْصِبِ الناس أنَّه ... سما بكَ منهم مُعظَمٌ فوقَ مُعظَم

وتاسعةٌ أنَّ البَرِيَّةَ كلَّها ... يَعدّون سِيْبا من إمام مُتَمَّم

وعاشرةٌ أنَّ الحلُـومَ توابعٌ ... لِحلمكَ في فضلٍ من القول مُحكَم

جوادٌ فما ينفَكُّ يرمُدُ بابَهُ ... أُولو حاجةٍ مُسْتَبْشرونَ بمِنعِم

---

(١) الديوان ص : ١٧١ .

(٢) نفسه ص : ٢٠٨ .

(٣) نفسه ص : ١٣٠ - ١٣١ .

فقد حَرِصَ عدي على تحقيق المُلاءمة بين صفات المديح والممدوح ، فتتبعَّ الصِّفات العربية والإسلاميّة لممدوحه ، كالبرِّ والحَزم والتُّقى والعدل وسَداد الرأي وعَراقة النَّسب والحلم والجود ، وأجملها في البيت الأول ، ثُمَّ فصلها فيما تلاهُ من أبيات ، فجاءَ أُسلوبه فيها أقربَ إلى نظم صفات الخليفة الكامل عند المسلمين منه إلى التَّصوير الشعريّ .

ونوَّه عديّ في قصيدته الثّانية (١) بعَراقة نَسب عمر بن عبد العزيز ، ونُبلِ محتده، وتحدَّث عن كَرمه الفيَّاض ، واشادَ بتُقاه وغَزوه الأعداء وجهاده في سبيل اللّه تعالى .

ب ـ مدْح الأُمَراء .

وإذا كان شعراء القبائل اليمانية الشاميَّة قد مدحوا خُلفاء بني أُميَّة وأيَّدوهم حِرصاً على مَصلحة قبائلهم ، فإنَّهم لم يمدحوا الأمراء الأُمويين لهذا الغَرض ، وإنما مدَحوهم بدافع من مَصالح ذاتيَّة ، منها ما يتعلقُ بردِّ الجَميل ، ومنها ما يتـصلُ بالرَّغبة في الحصـول على المال . ومن هؤلاء الأُمراء : عبد الله بن يزيد بن معاوية المُلقَّب بالأسوار (٢)، ومحمَّد بن مروان بن الحكم ، ومَسلمةُ بن عبد الملك ، وعمرُ بن الوليد بن عبد الملك .

فأما الأسوار فقد ذَكرهُ عديّ بن الرقاع في قصيدتين طويلتين ، ابتدأ أُولاهُما بالأطلال ، وافتتح الثانية بالغزل ، ولكنَّه لم يفرد لمدح الأسوار فيهما إلا أبياتاً مَعدودات ، كررَّ فيها صُور القدماء وصفاتهم المدحية التقليدية ، فنوَّه في قصيدتِه الأولى برفعة نسب الأسوار وكرم قومه ونَجْدَتهم (٣) . وشبهَّه في القصيدة الثانية بالبَحْر والغيث وذَكر نُزوله عليه كَسيراً ، وذلك أنَّ عدياً نزل عن مطيَّته ليلاً ومشى بعد أن أعياه الركوب ، فوقعت رجْله في جحر يربوع فانكسرت ، فأنزلَهُ رجلٌ بالأسوار ، فأحسَن إليه وداواه وحَباهُ بفرس وعشر من النوق وكساه ، فقال يَمدحُهُ ويعترِف بما له عليه من يد (٤):

---

(١) انظر : الديوان ص : ١٩٧ .

(٢) لُقب بالأسوار لجودة رميِهِ .

(٣) انظر : الديوان ص : ١٧٧ .

(٤) انظر الديوان ص : ١٨٦ . والأبيات التي انشدناها ص : ١٩١ .

يا ابنَ الخَليفة إنّي قد تأوّبني ... همٌّ أعانَ عليَّ السُّقمَ والسَّهرا
فلا أنام إذا ما اللّيل ألبسَني ... ولو تغطَّيتُ حتّى أعرِفَ السَّحَرا
داويتَ ضَيفكَ حتّى قامَ مُعتَدلاً ... وَرُشتَهُ فرآهُ النّاس قد جُبِرا (١)
بالبَزِّ والفَرَسِ الحسناءِ موهبةً ... وباللقّاح الصّفايا تَحلِبُ الدِّرَرا (٢)
فإنَّ بَحرك لا تَجزي البحُوربه ... وإنّما أنتَ غيثٌ طالما مَطَرا

وأمّا مُحمَّد بن مروان بن الحكم فإنه أجار بيهسِ بن صُهَيب الجَرمي (٣) من تُهمةٍ كانت عليه ، فوصفه بيهسٌ بالرِّفعة وطيب الأصل فقال (٤):

هو الفَرعُ الذي بُنِيَتْ عليه ... بُيوتُ الأطيَبِيْنَ ذوي الحِجابِ

وصرَّح أعرابيٌّ من كلب بأنَّه يزورُ مَسلمة بن عبد الملك ، فيصيبُ من علمه ويَحظى بنائله ، وعبَّر عن سُموِّ منزلته ومضاء عَزمهِ ، فشبَّهَهُ بالحسام المصقول الذي يزدادُ لَمَعانهُ كلمّا أظلمت الخطوب ووقعت الشدائد . ولا غَرْوَ في ذلك فهو ابنُ الخليفة وأحدُ أُمراءِ بني أُميَّة المشهورين ، يقول (٥):

نزورُ امرأً من آل مرْوان لم يَزلْ ... لنا منْهُ عِلْمٌ لا يُحدُّ ونائلُ
تَراهُ إذا ما أظلَمَ الخَطبُ مُشرِقاً ... كمِثلِ حُسامٍ أخلصتهُ الصَّياقِلُ

---

(١) جُبر : سُرَّ .
(٢) الصّفايا : الغزار .
(٣) هو أبو المقدام ، بيهس بن صُهيب بن عامر بن عبد الله الجرمي من قضاعة . شاعر فارس حكيم من شعراء الدولة الأموية . سكن داريا ، وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرم وعُذرة . وقاتل الأزارقة مع المُهلب بن أبي صفرة وكانت له مواقف مشهورة وبلاء حسن . وتوفي حوالي سنة (١٠٠هـ) انظر : الكامل في اللغة والأدب ٣ : ١٣١٤ ، والأغاني ١٢ : ٤٢ ، ٢٢ ، ١٢٩ ، والمؤتلف والمُختلف ص : ٨٦ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٤٥١ ، وتاريخ مدينة دمشق ١٠ : ٣٩٧ ، والبغداديّ : خزانة الأدب ٧ : ٢٩٦ ، والأعلام ٢ : ٨١ .
(٤) الأغاني ٢٢ : ١٣٤ - ١٣٥ .
(٥) الأشباه والنّظائر ١ : ١٣٤ .

ويُستفاد من هذين البيتين أنَّ مسْلمة كان يَعقد للعلماء والشعراء والأعراب مجالسَ خاصّة ، فيحاورهُم ويَستمعُ إلى شعرهم ويُجيزهم .

وحبَّر عديّ بن الرقاع ستَّ قصائد [١] في مدح عمربن الوليد بن عبد الملك ، زاوج فيها بين صفاته العربيّة والإسلامية ، فتغنَّى بُحسن صُورته وبجُوده وفضله وحَسَبه ومَنزلة آبائه وأجداده في قريش وابتعاده عن الفواحش ، وباقتدائه بصفات أبيه الحَميدة، وأشاد فيها بعدله وسداد رأيه ورجاحة عقله ، وراوح في أسلوبه وألفاظه بين المتانةِ والجَزالة وبين السّهولة و الرقَّة . ومن مديحه له هذه الأبيات التي صاغَهافي وزن البسيط بتفعيلاته الطويلة ونغماته الرَّتيبة الرَّزينة ، وانتخب لها بعضَ الألفاظ الجَزلة الرَّصينة التي تدلُّ كلٌّ واحدةٍ منها على صفةٍ من صفات هذا الأمير ، يقول [٢] :

إذا هَبطتُ بلاداً لا أراكَ بها ... تَجهمتْني وحالتْ دُونَها ظُلَمُ

أغرُّ أروعُ بُهلول أخو ثقَةٍ ... حُلاحِلٌ من ثَراهُ اللّيِّنُ والكَرم(٣)

في شدَّةِ العَقد والحلِم والرَّزينِ وفي ... القولِ الثَّبيت إذا ما استنَّت الكَلِم (٤)

لا يتَعْبُ الحُكْمَ حتَّى تَستَبينَ له ... مــواقعُ الحــقّ ، إنَّ القاضــَي الفَهِم

نَما إلى السَّورةِ العُليا اليَفاعِ فما ... زلَّتْ به نَعْلهُ يوماً ولا القَدَم (٥)

حتّى احتَبى بمكانٍ تَستَقيُد له ... عَما عِم العَرب المْذكورةُ العُظُم(٦)

فهو أغرُّ أروعُ رزين من شيمه الليّنُ والكرم والعدل والقول الثَبت والانتماء الأصيل والمكانة الرَّفيعة .

---

(١) انظر : الديوان ص : ٦٠ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٦١ ، ٢١٠ ، ٢٢٦ .

(٢) نفسه ص : ١١٩ .

(٣) الأغرُّ : الأبيض الواسع الجبهة . والأروع : الذي يروعك جماله إذا رأيته . والبُهلول : البسّام والحُلاحل : الرَّزين .

(٤) استنَّت الكَلم : استمعَت .

(٥) اليفاع : المرتفعة .

(٦) العَماعِم : الجَماعات .

ومن مديحه له قوله يُشبهه بالبدر(١) :

وإذا نَظرتُ إلى أميري زادَني ضناً به نَظَري إلى الأُمَراء

تَسمو العُيونُ إليه حين يَرينَهُ كالبَدرِ فرَّج طخيَةَ الظلَّماء

عُمَرُ الذي جَمعَ المكارمَ كلَّها وابنُ الخليفة أفضلِ الخُلفاء

وهي أبياتٌ نلمسُ فيها بوضوح أثر الحضارة المُتمثل في تأنقِ الشّاعر في صياغة شعره ، وتأنيه في انتقاء معانيه الرشيقة وألفاظه الرقيقة ، ولَباقته وحسن تأتّيه في مدح ذوي السُّلطة ومُخاطبتهم (٢) .

ولم يتحرَّج عديّ في إحدى قصائده التي مَدحه فيها من طلب الجائزة ، والتلميح بأنَّه سيتحوَّل عنه إذا لم يُجزه فقال (٣):

أتيتكَ ثمَّ عُدْتُ فَعُدْ بخيرٍ وخيرُ الخَيْرِ ما يجُرى علالا(٤)

فصدِّق مدحَتي وأجزِ كريماً إذا ما عفَّ عن بَلدٍ أطالا

ويدلُّ ذلك على أنَّه لم يكن يَمدحه إلا من أجل الحصول على المال .

وواضحٌ مما قدّمنا أنَّ شعراء اليمانية كانوا يكتفون في مديحهم للأمراء الأُمويَّين بالثناءعليهم وتعداد صفاتهم وشمائلهم الكريمة ، فلم يتحدثوا عن مناصبهم أو شخصياتهم السياسية ، بل أهملوها إهمالاً بيناً .

ج ـ مدح عُمّال الأُمويّن .

ومدح بعضُ شعراء اليمانية أيضاً عدداً من رجالات اليمانية الذين تولوا أعمالاً للأُمويّن ، ولكنهم لم يفيضوا في مدحهم وتعداد مناقبهم وبيان مراتبهم ولم يتعدّوهم إلى مدح غيرهم من رجالات عصـــرهم . فقد أثنى عدي بن الرّقاع العامليّ على صفة الجـود في

(١) الديوان ص : ١٦٢ .

(٢) خليل مردم بك : الشعراء الشاميون ص : ٣٣ .

(٣) الديوان ص : ١١٤ .

(٤) العَلل : الشرب الثاني .

يزيد بن المُهلبَّ بن أبي صُفرة ،فقال يمدحهُ وهو مَسجون [١]:

ولم أرَ مَحبْوساً من الناس واحداً حَبا زائراً في السِّجن غير يزيد
سَعيد بن عمرو إذْ أتاه أجازَهُ بخمْسينَ ألفاً عُجِّلتْ لسَعيدِ

وكان سعيدُ بن عمرو الحَرَشيّ مؤاخياً ليزيد بن المهلب ، فلمّا حَبَسه عُمَرُ بن عبد العزيز[٢] أتاه سعيد فقال : يا أمير المؤمنين ، لي على يزيد خَمسون ألف دِرهم وقد حلت بيني وبينه ، فإنْ رأيت أنْ تأذن لي فأقتضيه ؟ فأذن له عمر ، فدخل عليه فسُر به يزيد وقال له : كيف وصلتَ إليَّ ؟ فأخبره ، فقال له يزيد : والله ، لا تخرج إلا وهي معك ، فامتنع سعيد فحلفَ يزيد ليقْبضِنَّها [٣] ، فسجَّل الشاعر هذه القِّصة وحفظَ ليزيد بادرته التي لم تؤثَر عن أحد غيره في الجود . وربمّا أراد عديّ من مدْحه ليزيد بن المهلَّب أنَّ يذكّر الخليفة بفضلِ يزيد وجوده ، وبخدمة آل المهلَّب لبني أُميَّة وتفانيهم في مُقارعةِ أعدائهم ، لعلَّه يعفْو عنه .

وقد مدحَ عديّ أيضاً روح بن زنباع الجُذامي [٤]، ومرِّي بن ربيعة بن مسعود الكلبي [٥].

ومدح الأشعث القيني خالد بن عبد الله القَسري لمّا حَبَسه صاحب شَرط الوليد بن يزيد ، فقال [٦]:

ألا إنَّ خير النّاس نَفْساً ووالداً أَسيرُ قُريشٍ عندَها في السَّلاسلِ
لعمرْي لقد أعمرتم السِّجْنَ خالداً وأوطـأْتُموهُ وطـأَةَ المُتثاقِلِ
فإنْ تَحبِسوا القَسريَّ لا تحبسوا اسْمَه ولا تَحْبسوا مَعروفهُ في القَبائلِ

(١) الديوان ص : ٢٥٣ .

(٢) انظر سبب حبس يزيد بن المُهلب في : الكامل في التاريخ ٥ : ٤٨ .

(٣) عيون الأخبار ١ : ٣٤٣ ـ ٣٤٤ .

(٤) انظر : الديوان ص : ٢٥٨ .

(٥) انظر : نفسه ص : ٢٣٤ . وقد سقط القسم الخاص بالمديح من هذه القصيدة .

(٦) الأخبار الطوال ص : ٣٤٧ . ونسب البيتان الأول والثاني إلى أبي الشغب العَبسي في المَرزوقي : شرح ديوان الحَماسة ٢ : ٩٢٧ ـ ٩٢٨ .

فهو يُعبِّر عن رفضِه حَبْس خالد وتَعذيبهُ ، ويؤكِّد ذلك بتكرار كلمة « تَحْبسوا» ثلاثَ مّرات في البيت الأخير ، ليَدلَّ على أنَّ حَبْسَهُ لن يجدي ؛ لأنَّ اسمه وخصالهُ الكريمَة وأفعاله الحسنة ، قد انتشرت في القبائل ولا سبيل إلى حَبسها . وينقل إلينا جانباً من إحساس القبائل اليمانية الشامية بتقلصُّ نفوذها واضمحلال مكانتها في أواخر العصر الأُموي ، بسبب تعصب بعض الخلفاء عليها ، وتنكيلهم بأشهر زعمائها .

٢ ـ المديح القَبليّ .

ويظهرُ أنَّ شُعراء القبائل اليمانية الشامية لم ينظموا شعراً كثيراً في مدح قبائلهم ؛ لأنَّ ما وصل إلينا من شعرهم في هذا اللون من المديح لا يعدو مقطوعة واحدة في مدح قبيلة قُضاعة ، نظمها شُقران مولى بني سَلامان (١) ومزج فيها بين المدح والهجاء ، فامتدح قضاعة وذم قيس عيلان فقال (٢):

ولو كُنتُ مولى قيس عِيلانَ لم تَجِدْ ... عليَّ لإنسانٍ من النّاس دِرهَما

ولكنَّني مْولى قُضاعةَ كلِّها ... فلسْتُ أُبالي أنْ أدينَ وتَغْرما

أُولئكَ قومي بارك اللّه فيهمُ ... على كل حالٍ ما أعفَّ وأكرَمَا

(١) هو شقران مولى بني سلامان بن سعد هذيم أخي عُذرة من قُضاعة . شاعر شامي من شعراء بني أُمية وفد على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان مداحاً له داخلاً في جملته . ووقعت مُهاجاة بينه وبين ابن ميادة المري . انظر : الأغاني ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصورة الجامعة الأردنية) ٨ : ٤٧ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٢٧ .

(٢) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ٤ : ١٦٠٢ ـ ١٦٠٣ . وانظر : التبريزي : شرح ديوان الحماسة ٤ : ١٥٢ ـ ١٥٣ . وانظر أيضاً : البيت الأول والثاني في عيون الأخبار ١ : ٢٥٦ ، والعقد الفريد ٢ : ١٨٤ ، ومحاضرات الأدباء ٢ : ٤٧٦ .والأبيات في : البيان والتبيين ١ : ١٠٧ دون عزو ، ولثروان أو ابن ثروان مولى لبني عذرة في : البيان والتبيين ٣ : ٣٠٩ ، ولعبد بني قضاعة في : الحماسة البصرية ١ : ٥٢٢ ، ولمروان عبد بني قضاعة في : الحماسة البصرية (عالم الكتب بيروت) ١ : ١٦٤ ، ولعل ثروان ومروان تحريف لشقران .

ثِقال الجِفانِ والحُلومِ رحاهُمُ　　　رحا الماءِ يكتالونَ كَيْلاً غَذَمذَما(١)
جُفاةُ المَحزِّ لا يصيبونَ مَفصِلا　　　ولا يأْكُلونَ اللَّحمْ إلا تخذُّما(٢)

فهو يهجو قيس عيلان ويتمدح بانتسابه لقضاعة ، ويتبسط في اقتراض الأموال من الناس لثقته في أنَّ مواليه يتحملون عنه الأثقال ويعدون الغَرامة في سبيله غُنما، فيصفهم بالعفّة والجود والحلم ، ويبالغ في تصوير ترفهِم وثرائهم مُستعيناً ببعض الصور والتشبيهات المادية ، فيشبه رحاهم برحى الماء ، ويكني بثقل جفانهم عن عظمها وامتلائها بالطعام ، ويقترب بصورة مواليه من صور الملوك فيذكر أنهم سادة مخدومون ، جُفاة المحزّ لا يحسنون تقطيع اللَّحم إذا ما غاب خدمهم ولا يأكلونه إلا مقطعاً . ونستدلُّ من أبيات شُقران على صدق ولائه لقضاعة وإخلاصه في مدحها والمُنافحة عنها .

ويظهر من الأمثلة التي أنشدناها أنَّ شعر القبائل اليمانية الشامية في المديح قليل ؛ لأنَّ شعراءها ـ باستثناء عديّ الرّقاع ـ لم يكونوا يتخذون المديح وسيلة للتكسب وطلب المال ، وإنَّما اتَّخذوه وسيلة للمحافظة على مصالح قبائلهم بمدح الخُلفاء الأمويّين وإظهار الولاء والتأييد لهم في المناسبات والأحداث التي كانت تقتضي منهم ذلك .

أما مدحهم للأمراء فإنهم نظموه لأسباب ذاتية ، واقتصروا فيه على التنويه بمناقبهم وخصالهم ، ولم يشيروا فيه إلى أعمالهم أو مكانتهم السياسيّة .

---

(١) البيت في : لسان العرب : مادة غذم . والغذم : الأكل بسرعة .

(٢) البيت في : المرزوقيّ : شرح ديوان الحماسة ٢ : ٥١٦ دون عزو . والتخذُّم : من الخَذم وهو سرعة القطع .

ويظهر كذلك أنهم لم يمدحوا من رجالات عصرهم إلا الشخصيات اليمانية البارزة التي عملت لبني أُميَّة ، وأنَّ مديحهم لبعض هذه الشخصيات جاءَ ردة فعل لما أصابها من حبس وتعذيب في أواخر العصر الأمويّ ، وأنَّ من هؤلاء الشُّعراء من تمدح بولائه لقبيلة قضاعة وتمجد بانتسابه إِليها .

ويظهر أيضاً أنَّ عديّ بن الرقاع العاملي استفرغ قدراً كبيراً من شعره في مدح الأمويّين ، وانَّه انفرد من بين الشعراء القبائل اليمانية الشامية بمدح الوليد بن عبد الملك وعمربن عبد العزيز ، وبمدح أميرين أمويّين هما : عبد اللّه بن يزيد بن مُعاوية وعمر بن الوليد بن عبد الملك ، وبمدح عددٍ من رجالات اليمانية كيزيد بن المُهلب وروح بن زنباع ومريٌ بن ربيعة الكلّبي ، وأنَّه رددَّ في بعض مدائحه للأمويّن اعتقادهَم بأنّ الله اختارهم للخلافة واصطفاهم لقيادة الأمة ، وراوح في مديحه لهم بين التنُّويه بمناقبهم العربية وبين التغني بفضائلهم الإسلامية ، ولا سيما في مديحه لعمر بن عبد العزيز .

ثانياً : الغزل

ذكر الشعراءُ الجاهليون المرأة في أشعارهم ، ووصفوها وحنّوا إلى ديارها وتمنوا لقاءَها وأشاروا إلى ما يعرض لعلاقاتهم بها من وَصل وصدٍّ ، ويأس ورجاء ، وإطماع وامتناع . واستمر كثير من شعراء العصر الأموي يجرون على نهجهم ، ويترسمون خُطاهم ، ويهتدون بما اختطوا لهم في هذا الفنّ من رسوم ومعالم واضحة (١) .

ولم تحتفظ مصادرُ الشعر الأمويّ ومظانه للقبائل اليمانية الشامية إلا بقليل من شعر الغزل نظمه عدد من شعرائها هم : النُّعمان بن بشير الأنصاري ، وعديّ بن الرقاع العاملي ، وبيهس بن صهيب الجَرميّ وشبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير ، وشقران مولى بني سلامان . أما ما عدا هؤلاء الشعراء فإننا لم نعثر لهم إلا على بضعة أبيات غَزليَّة نظموها في مطالع قصائدهم (٢)، ممّا يجعلنا نحسّ بضياع قدر غير قليل من هذا الشعر .

وقد اقترن ذِكر المرأة عند النعمان بن بشير الأنصاريّ(٣) بالحَنين إلى المَرابع والديّار ، وبالتشوقِ إلى الأهل والوطن (٤). ويُكاد غَزله الذي قاله بعد انتقاله من المدينة إلى الشام

(١) الحياة الأدبيّة ، عصر بني أُميّة ، ص : ١٠٣ .

(٢) انظر : تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، والمؤتلف والمُختلف ص : ٢٥ - ٢٦ .

(٣) هو النُّعمان بن بشير بن سعد الخزرجي الأنصاري ، كان أول مولود بالمدينة للأنصار بعد الهجرة النبوية ، ورويت له أحاديث كثيرة بإسناده . وبعد موت عثمان بن عفان رضي الله عنه ، انتقل إلى الشام وانحاز إلى معاوية بن أبي سُفيان وأخلص له ، وقاتل معه في صفين ، فولاه مُعاوية الكوفة واليمن وحمص . ولما انتقل المُلك بعد موت يزيد بن معاوية إلى بني مروان سنة (٦٤هـ) قطع النعمان ولاءه للأُمويين وانضم إلى الزبيريّين ، فبايع لعبد الله بن الزُبير بحمص ، ولكنّ أهلها خالفوه وأخرجوه منها وقتلوه بعد هزيمة أتباع الزُبيريّين في معركة مرج راهط حوالي سنة (٦٥هـ) . انظر : الأغاني ١٦ : ٣، وجمهرة أنساب العرب ص : ٣٦٤ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصورة الجامعة الأردنية) ١٧ : ٢٩٤ ، والاستيعاب ٤ : ١٤٩٦ ، وسير أعلام النبلاء ٣ : ٤١١ ، والبداية والنهاية ٨ : ٢٤٤ ، والإصابة ٦ : ٤٤٠ ، والأعلام ٨ : ٣٦ ، وبلاشير: تاريخ الأدب العربي ص : ٣٥٠ .

(٤) انظر: شعر النّعمان بن بشير الأنصاريّ ص : ٥٧ .

يقتصر على مقطوعتين (١) ، وعلى قصيدة لعلّه قالها في أثناء واحدة من ولاياته البعيدة التي لم يصحَب فيها أهله (٢)، إذْ نراه يتشوّقُ فيها إلى زوجه أُمّ عبد الله ويتمنى لِقاءَها ، ويستسقي لديارها ، ويَسترجعُ ذكريات حبّه القديم لَهِا ، فيُعدّدُ بعضاً من صفاتها المعنوية كتجنيّها على عاشقها وظلمها له وبخلها بوصاله ، ويصف حُمولها المُزدانة بالخزّ الفارسي المُرقم ، ولم ينسِ أنْ يذمّ سَعْيَ الوشاة نُذُرِ الشؤّم والفراق ، يقول (٣) :

سقى أُمَّ عبدِ اللّه معروفُ الذُّرى ... أجشُّ هزيمٌ يَحفشُ الوَدْقَ مُقدما (٤)

على نَأيها منّي وإنْ كُنْتُ عاتباً ... عليها وكانت في التَّجنُّبِ أَظلما

تَجودُ لها نَفْسي بِحُلو حديثِها ... وتَبذلُ بعد البُخل نَزراً مُتَرجَما (٥)

يطولُ عليَّ اليومُ دونَ لِقائها ... وتَهْجُرُني حَوْلاً جديداً مُجرَّما (٦)

تُحاوِلُ ودّي إذْ تولّت بودّها ... أبى اللّه قَبلَ اليوم أنْ أتهضّما

ثم يقول :

أرى أُمَّ عبدِ اللّه أخلَق وُدُّها ... فما تَرْعوي للوصلِ إلاّ توهُّما

فلا تَجْعلي وَصْلي إلى قول كاشح ... إذا هو أَسْدى نِيرةَ الصرّمْ أَلْحما (٧)

فسلْها بما ردّت إلى ذي قَرابةٍ ... أَلمَّ عليها واقفاً ثَمَّ سلّما

فصدّت وما ردَّتْ عليَّ تَحيَّةً ... وَضنّت على ذي حاجة أنْ تكلّما

غَداةَ استقلت عن قُديد حُمولُها ... وعالَيْن خزَّ الفارسيّ المُرقَّما (٨)

---

(١) انظر : شعر النُّعمان بن بَشير الأنصاريّ ص : ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) تاريخ اليعقوبيّ ٢ : ٢٣٤ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٣٦٤ .

(٣) شعر النعمان بن بشير الأنصاري ص : ١١٧ - ١٢٧ .

(٤) العُرف : الرمل المرتفع ، واعرورفَ البحر : ارتفعت أمواجه . والأجشّ : الغليظ .وهَزيم الرعد : صوته . ويحفِش : يَسيل من كل جانب إلى مُستنقع واحد . والودق : المطر.

(٥) أي : كلامها قليل مُختصر .

(٦) الحَول المُجرَّم : الكامل التام .

(٧) الكاشح : المُعادي . والنيِّر : عَلَم الثوب ولحمته أيضاً . والمُلْحَمُ : جنس من الثياب .

(٨) قديد : موضع قرب مكة .

ويقفُ عديّ بن الرقاع العامليّ ـ من بين هؤلاء الشعراء ـ علماً شامخاً على هذا الفنّ الشعريّ ، إذا افتتح عدداً من قصائده بالغزل [١] ، وأفردَ للمرأة مكاناً بارزاً في مقدّمات قصائده الأُخرى [٢]، فتحدث عن هجرها له وصدّها عنه ، ووقف في ديارها الدارسة مُسترجعاً ذكرياته فيها ، وباكياً عليها بكاءً حاراً ، وشبه نفسه عند ذكرها بشارب الخَمر ، وتغنى بجمالها الحِسي والمعنويّ ، ووصف طيفها وحُمولها ، وصور جانباً من علاقته الصّريحة بها . ويبدو أنه لم يكن مُقتصراً في حبه على امرأةٍ واحدة ، فقد تعددت أسماء النّســاء في شعره فذكر رويمة [٣] ، وسعاد [٤] ، وسلمى [٥] ، وحُــسينة [٦]، وصفراء [٧]، وأخت بني لؤي [٨] ، وأُم هاشم [٩]، ومكتومة [١٠]، والشفاء [١١]، وسلومة [١٢]، وأم القاسم [١٣]، وابنتي قيس [١٤] ، أو ربما كانت هذه الأسماء مُجرّد رموز تقليدية استخدمها في غزله . ولم يكد يترك في غزله بهنّ عضواً من أعضاء المرأة إلا وصفه وقرنه بما يُلائمه من صفات ، فوصف اسوداد شعرها [١٥]، ووضوح جبينها [١٦] ، واحورار عينيها وفتورهما [١٧]، ونعومة خديها [١٨]، وبياض وجهها ونصوع لونه[١٩] ، ولمعان ثغرها [٢٠] ، وصفاء ثناياها [٢١] ، وعذوبة ريقها [٢٢]، وطول جيدها ،

(١) انظر : الديوان ص : ٦٠ ، ١١٥ ، ١٦٨ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ٢١٠ .

(٢) انظر : نفسه ص : ٧٣ ، ٨٢ ، ٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢٢٦ .

(٣) انظر : نفسه ص : ٥٠

(٤) انظر : نفسه ص : ٨٦ ، ١١٥ .

(٥) انظر : نفسه ص : ١٧٨ .

(٦) انظر ن :نفسه ص :١٦٨ ، ٢١٠ .

(٧) انظر :نفسه ٩٦ .

(٨) انظر :نفسه ص: ٩٦ .

(٩) انظر : نفسه ص : ٢٣٩ .

(١٠) انظر : نفسه ص : ١٣٨ .

(١١) انظر نفسه ص : ١٥٠ .

(١٢) انظر :نفسه ص :١٨٦ .

(١٣) انظر : نفسه ص : ١٢٢ .

(١٤) انظر : نفسه ص : ١٩٢ .

(١٥) انظر : نفسه ص : ٢٣٩ .

(١٦) انظر : نفسه ص : ٨٣ .

(١٧) انظر : نفسه ص : ١٢٢ ، ١٥٠ .

(١٨) انظر : نفسه ص : ٧٣ .

(١٩) انظر : نفسه ص : ٥٠ ، ١٥٠ .

(٢٠) انظر : نفسه ص : ١٥٠ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ .

(٢١) انظر :نفسه ص: ١٣٨ ، ١٩٧ .

(٢٢) انظر :نفسه ص : ٩٧ ، ١٠٨ .

وليونة مَتنهـا ، ولُدونةَ مفاصِلها (١) ، ودقّةَ خَصرها (٢)وعظم أردافها (٣)، ووَصَفَ بنانها (٤) وحسن مشيتها(٥) ، ووصف شـيئاً من ملابسها وسموطها (٦)، وشبهها بالدميَّة (٧) ، وبالمَها التي تبلجَ الليّل عنـها (٨) ، وببيضة النعام (٩)، وبالظّبية البكـر التي ترعـى شـادنها (١٠)، فكرر بذلك كثيراً من صور الشعراء الجاهليين وتشبيهاتهم ، وجدَّدَ في بعض صوره وتشبيهاته فَشهد له كبار الشعراء والنقاد بابتكارها والبراعة فيها (١١).

ومن غزله : هذه اللّوحة التي رَسم فيها صورة مثالية للنساء ، فذكر أنَّهنَّ مُبرآت من العيوب ، وقد خلقهنَّ اللّه في أجمل صورة وأبهى منظر ، وأعارهنَّ خفض العيش ودعته رقةً وحلاوةَ حديث فقال يصفُ فتنته وشدةَ تعلقه بهن (١٢):

وفي الخُدورِ دُمى حورٌ مُصوَّرةٌ	خُلِقْنَ أجملَ ممّا قال مَنْ يَصِفُ
لاقَينَ عيشاً من الدُنيا سَعِدنَ به	وما المَعيشَةَ إلاّ مُتعةٌ سَلَفُ
إذا ذَكرتَ حديثاً قُلْنَ أحسنَهُ	وهُنَّ عن كلّ سوءٍ يتقّى صُدُفُ
قد كُنَّ للقلب همّاً فهو مُختبِلٌ	صَبٌّ بهنَّ ولو عذَّبْنَهَ كَلِفُ

ونقل عديّ بعض صفات محبوبته الحسية والمعنوية ، فقال في قصيدته الدّاليَّة (١٣):

ولرُبَّ واضحةِ الجبين خَريدةٍ	بيضاءَ قد ضَربتْ بها أوتادَها (١٤)
تصطادُ بَهجتُها المُعلَّلَ بالصبّا	عَرَضاً فتُقْصِدُهُ ولن يصطادِها (١٥)
كالظبية البِكر الفَريدة تَرْتَعَى	من أرضها قفراتها وعهادَها (١٦)

(١) انظر : الديوان ص : ٩٦ .
(٢) انظر : نفسه ص :٩٧ ، ١٥٠ .
(٣) انظر : نفسه ص : ٩٧ .
(٤) انظر : نفسه ص : ٢٢٦ .
(٥) انظر : نفسه ص : ٦٠ .
(٦) انظر : نفسه ص : ٦٨ ، ١٣٨ .
(٧) انظر نفسه ص : ٥٠ ، ٢٣٦ .
(٨) انظر : نفسه ص :٥١ ، ٩٨ .
(٩) انظر : نفسه ص : ٢٣٦ .
(١٠) انظر : نفسه ص : ٨٤ ، ١٦٨ .
(١١) انظر: الأغاني ٩ : ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ، والقاضي علي بن عبد العزيز الجُرجانيّ : الوساطة بين المتنبي وخصومه ص : ٣٢ ، والشريف علي بن حسين العلوي : أمالي المُرتضى ١ : ٥١١ .
(١٢) الديوان ص : ٢٣٦ .
(١٣) نفسه ص : ٨٣ ـ ٧٤ .
(١٤) الخريدة : الفتاة الحييّة .

فصورَّها امرأة بيضاء فريدةً في جمالها ، حييةً متمنعة ، تَسحر لُبَّ عاشقها وتذيب قلبه ، ولكنها تَستَعصي عليه ولا تمكنه من استمالتها أو اجتذاب قلبها ، وشبهها بالظبية الأم. وتحدَّث في القصيدة نَفسها عن مطل سُعاد وهَجرهِا له ، وابتعادها وصُدودهاعنه فقال :

بانَتْ سُعادُ وأخْلَفتْ ميعادَهـا وتباعَدت مناّ لتَمنعَ زادَهـا

ونَظَر عديّ في تَصويرعلاقته بأُخت بني لُؤيّ إلى قول أعشى بني قيس بن ثعلبة في مطوَّلته (١) :

عُلّقتُها عَرَضاً وعُلّقتْ رَجُلاً غَيْري وعُلّقَ أُخرى غيرَها الرَّجُلُ

فقال مُعتمداً في نقل صورتها على عناصر اللّون والحَركة والرَّائحة ، ومُستعيناً ببعض الألوان البيانيَّة والبديعيَّة كالتشبيه والجناس والطّباق (٢) :

صادتْكَ أُختُ بني لُؤيّ إذْ رَمتْ وأصابَ سَهمُكَ إذا رَميتَ سوِاها
وأعارها الحَدثانُ منكَ مودَّةً وأُعيرَ غيرُكَ ودَّها وهَواها
تلكَ الظُّلامةُ قد علمتُ فليتَها إذْ كنْتَ مكْتبِلاً تلمُّ نَواها (٣)
بيضاءُ تستْلِبُ الرّجالَ عقُولهم عَظمتْ روادِفها ودقَّ حشاها
وكأنَّ طعْمَ الزَّنجبيل ولذَّة صهْباء ساكَ بها المسُحِّر فاها(٤)

فهي امرأةٌ بيضاء ذاتُ أردافٍ عظيمة وخصر دقيقٍ ، تفوح من فَمها رائحة طيبة كأنَّها طعمُ الزَّنجبيل أو طعم خَمرة صهباء . رمت عدياً بسِهامها فصرعتهُ وملكتْ عليه فُؤادَه ، ولكنَّها لم تُبادلهُ حُباً بحبّ ، بل صدَّته وآثرت رجُلاً غيره .

ومن صور عديّ وتشبيهاته المُستمدة من الطبيبعة قوله يصفُ ثِغر محبوبته (٥) :

(١) ديوان الأعشى الكبير ص : ١٠٧ .
(٢) الدّيوان ص : ٩٦ - ٩٧ .
(٣) المكتبل : المحبوس .
(٤) المُسحّر : الذي يقومُ على خِدمتها .
(٥) الدّيوان ص : ٢١٦ - ٢١٧ . وانظر : ص : ١٩٨ .

برّاقةُ الثَّغْر تَشفي النَّفْسَ لذّتها إِذا مُقبلهُا في ثَغرها كَمعا (١)
كالأقْحوان بضاحي الرَّوضِ صبَّحَهُ غيثٌ أرشٌ بتنضاحٍ وما نَقَعا

فشبَّه لمعانَ ثَغرها بالبرق وبنوار الأُقحوان المُخضَّل بالنَّدى . ومنها قوله يشبِّه بياضَ ثناياها بِحبّات البرد (٢) :

كَأَنَّ ثَناياها بناتُ سحابةٍ حَداهُنَّ شُؤبوبٌ من الغَيْث باكِرُ

وهي صورٌ تقليدية مُكررة ، لا تكادُ توحي عنده بشيء من التفنّن والإِبداع .

وكان عديّ بن الرقاع شاعراً يطلب الصُّور الطَّريفة والأخيلة المُبتكرة والأحاسيسَ الدَّقيقة (٣) ، فَتناثرت في شعره أبيات من الغَزل تَدلُّ على دقة حِسه ، وتكشفُ عن جانب من حياته الحَضَرية والمُترفة ، وتشي بتأثره بمذهب شُعراء الغزل الصَّريح في عَصره ، وتُعبّر عن شيءٍ من التَّطورالاجتماعي والحضاريّ الذي أَصابَ المُجتمع العربيّ في العصر الأُمويّ ، منها قولهُ (٤) :

فإِنْ تكُنْ ميْعةٌ من باطلٍ ذَهَبتْ وأعقبَ اللّهُ بعد الصَّبوةِ الوَرعَا
فقد أَبيتُ أُناغي الخَوْدَ دانيةً على الوَسائدِ مسْروراً بها ولَعِا

وقولُه (٥):

فلقد تَبيتُ يدُ الفَتاةِ وِسادةً لِيَ جاعلاً يُسرى يَديَّ وِسادَها

وقولُه (٦):

---

(١) كَمَع : كَرَع .
(٢) الديوان ص : ١٩٧ .
(٣) د . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلاميّ ، ص : ٣٤٦ .
(٤) الديوان ص : ٢١٦ .
(٥) نفسه ص : ٨٧ .
(٦) نفسه ص : ٧٣ .

وقد أراني بها في عيشةٍ عَجَبٍ والدَّهْرُ بينا له حالٌ إذ انفتلا
ألهو بواضحةِ الخَدَّينِ طيِّبَةِ بعد المَنام إذا ما سرُّها ابتذلا
كشارب الخمْرِ لا تَشْفى لذاذَتُه ولو يُطالعُ حتَّى يُكثرَ العَلَلا

فهو يلهو بالمرأة ويناغيها ويبيتُ معها متوسِّداً يدَها ، فلا يكادُ يشتفي منها كشارب الخَمر الذي لا تشفى لَذاذتُه حتّى يشرب مرّة بعد أُخرى . ولكن عدياً على الرغم من ذلك لم يكن مُتهتّكاً في غزله ، وإنما ظلّ يحتفظ فيه بكثير من الحشمة والوقار .

وتُمثّل قصّة عشق بيهس بن صهيب الجَرمي لابنة عمّه صَفراء بنت عبد الله بن عامر أنموذجاً حيّاً للغزل البَدويّ العفيف عند شعُراء القبائل اليمانية الشاميَّة إذْ تقتربُ من قصص الشعراء العُذريّين اقتراباً كبيراً ، حتّى إنّها لتكاد تُماثلها في توالي أحداثها وتعقُّدها ونهايتها ، فقد أَحبَّ بيهس ابنة عمّة وكان يتحدث إليها ، ويجلس في بيتها ، ويكتم وَجده بها ، ولا يظهرهُ لأحد ، ولا يخطبها لأبيها ؛ لأنه كان صعلوكاً لا مال له ، فكان ينتظر أنْ يثري . وكان من أحسن الشباب وجهاً وشارةً وحديثاً وشعراً ، فكان نساء الحيّ يتعرضنّ له ويجلسنَ إليه ، ويتحدثْن معه ، فمرَّت به صفراء ، فرأتهُ جالساً مع فتاة منهنّ ، فهجرته زماناً لا تجيبه إذا دعاها ، ولا تخرجُ إليه إذا زارها ، وعرض عليه سفر ، فخرج إليه ثمّ عاد ، وقد زوجها أبوها رجلاً (ثرياً) [1] من بني أسد ، فأخرجها وانتقل عن دارهم بها [2] . فقال بيهس بن صُهيب [3]:

سقى دِمنة صَفراءُ كانت تَحلُّها بنَوء الثُريّا طلُّها وذِهابُها[4]
وصابَ عليها كلُّ أسْحمَ هاطلٍ ولازالَ مُخضرّاً مَريعاً جنابُها
أَحبُّ ثرى أَرض إليّ وإنْ نأتْ محلُّكِ منها نبتهُا وتُرابها
على أنَّها غَضْبى عليّ وحبَّذاً رِضاها إذا ما أُرضيتْ وعتابُها

(١) انظر : الأغاني ٢٢ : ١٣١ .
(٢) نفسه ٢٢ : ١٣٠ .
(٣) نفسه ٢٢ : ١٣٠ ـ ١٣١ .
(٤) الذِّهاب : جمع ذِهبة ، وهو المطر الضّعيف .

وقد هاجَ لي حَيناً فراقُكِ غُدْوةً | وَسَعيكِ في فيفاءَ تَعوي ذِئابُها
نظرتُ وقد زالَ الحُمولُ ووازنَوا | بَركوةَ والوادي وخفَّت ركابُها
فقلتُ لأصحابي : أبالقُربِ منهمُ | جَرى الطَّيْرُ ، أمْ نادى ببينٍ غُرابُها؟

فهو يستَسقي لديارها ويدعو لها بالخصب والاخضرار ؛ لأنّ فيها ذكرياته مع محبوبته ، ويرسم صورةً لارتحالها مع زوجها في أبيات تشيع فيها عاطفةُ الحُزن ، وتعكس صيغ الدعاء ولاستفهام فيها جَواً من إِحساس الشاعر بِفقد محبوبته وَفشل حُبه ، وتُصورُ دَهشتهُ وحَركة نفسه المُضطربة .

وتهيجُ رؤية الظَّواعن شوقَ شبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير الأنصاريّ وطربه ، فيتذكر محبوبته النازلة بالرجلتينِ بين أُعابل وصِنْع فيقول [١] :

طَربتُ وهاجتْني الحُمولُ الظَّواعن | وفي الظُّعنِ تشويقٌ لِمَنْ هو قاطِنُ
وما شَجَنٌ في الظاعنينَ عَشيَّةً | ولكن هوى لي في المُقيمينَ شاجن
بمُخترَق الأرواحِ بين أعابلٍ | فصِنْع لهُم بالرجْلتين مَساكِنُ

وتلعبُ سَلمى بقلب شُقران مولى بني سلامان ، فيقيم مُفارقة بين صورته الخارجية التي يبدو فيها سوياً سليماً وبين ما يشتمل عليه جسمُه من دَنفٍ وَوَهن لا يلحظهُ إلا من برَّح به الهوى واستبدَّ به الشوق ، فيقول واصفاً فرطَ صبابته ونحولَ جِسمه [٢] :

قد أوهَنتْ جُثمانَه وتلعَّبت | بتاموره سلمى فأصبحَ مُدْنَفا
يراهُ صحيحاً كلُّ خِلوٍ من الهوى | وَيحسبُهُ الصَّبُّ المُحِبُّ على شَفا

---

(١) معجم البلدان : أُعابل .

(٢) تاريخ مدينة دمشق (مُصورة الجامعة الأُردنية) ٨ : ٤٧ . وانظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٢٨ .

وبذلك يتبيّن لنا أنّ شُعراء القبائل اليمانية الشامية في العصر الأُمويّ لم ينظموا شعراً كثيراً في الغزل ، أو أنّ شعرهم فيه قد ضاع . وأنّ أكثر ما وصل إلينا منه كان تقليدياً يُحاكى النّماذج الغزلية الجاهلية في أُسلوبه وصوره نَظمه عدي بن الرّقاع العامليّ في مقدّمات قصائده ، في حين أفراد له النعمان بن بشير مقطوعتين وقصيدة . ويتبين لنا أيضاً أنّ عدياً تأثر بمذهب شعراء الغزل الصّريح ، فنظم أبياتاً قليلة صور فيها لهوه بالمرأة وعلاقته الخفّية بها ، ولكنه لم يبلغ فيها حدّ التهتك والمجون ، وأن قصة عِشقِ بيهس بن صُهيب ومقطوعته التي نَظمها في ابنة عمّه قد تأثرتا بكثير من سمات الغزل العُذريّ الاجتماعية والنفسية والفنية .

ثالثاً : الفخر

الفخر هو التمدحُ بالخِصال وعدُّ القديم والشعور بالعزة والتفوّق ، وهو يصدر عن نفوس متعالية مُتعاظمة ، ويتخذ معَانيه من المُفتخر نفسه أو من قومه . وكان الفخر الجاهليّ يقوم على الفَضائل الاجتماعية التي أقرتها الحياة العربية القديمة كالشجاعة والكرم والنجدة وكثرة العدَد والسيادة وشرف الأنساب . وأضاف إليه الشعراء بعد الإسلام معاني الفَخر بالدين والسلطان والجهاد في سبيلها (١) .

وقد حمل شعراءُ القبائل اليمانية الشامية لواء العصبية القبلية فافتخروا بمؤازرة قبائلهم لبني أُميَّة وتثبيتها حُكمَهم ومُقارعتها خُصومهم ، وأشادوا بانتصارها في معركة مرج راهط وفيما تلاها من وقائع بين قبيلتي كلْب وقيس ، ونوّهوا بانتقامها من الوليد بن يزيد ؛ لأنه تنكر لها وقتل زعيمها خالد القَسري . وتمجدَّ بعضُ شعراء طّيء في أواخر العصر الأمويّ بامتناع قبيلتهم من دفع الصّدقة لمروان بن محمَّد . ورد شعراء اليمانية على مُفاخرة النزارية لهم بالنبوة والخلافة ، فافتخروا بمآثر اليمن وأمجادها وبُملوكها القدماء ، وعبروا في فخرهم عن تمسكهم بنسبهم واعتزازهم بالانتماء إلى قحطان . ومنهم من تمدح بكرمه وشجاعته وشرف نسبه ورئاسته وملكته الفنية .

١ ـ الفَخْر القبليّ .

يمكن القول : إنَّ أكثر ما بين أيدينا من شعر القبائل اليمانية الشامية هو في هذا اللّون من الفخر الذي كان صدى قوياً للأحداث السياسية والفتن القبليّة التي شهدتها بلاد الشام في العصر الأمويّ ، كما كان صدى للعصبية القبلية التي ثارت بين اليمانية والقيسية ، فراح الشعراء يشبون نيرانها بألسنتهم ، ويفتخرون بما تحقق قبائلهم من نَصر ، وبما توقع بخصومها من خَسائر ، فقد اضطربت أُمورُ بلاد الشام بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية ؛ لأنه لم يعقد العَهد لأحد من قومه ، واستفحل الصّراع بين اليمانية والقيسية ، وتحول بسبب

---

(١) أحمد الشايب : تاريخ النقائض في الشعر العربي ص : ٤٠ ، ٤١ .

المطامح القبليّة إلى منازعات ومُصادمات قويّة ، إذ كانت اليمانية بزعامة قبيلة كلب تخشى من انتقال الحُكم إلى الزّبيريين ، فتفقد بلاد الشام مركزها السياسي الذي تحقق لها منذ استقرار الحُكم الأموي فيها ، فانحازَ رجالُها إلى بني أُميَّة على اختلافٍ بينهم فيمن يُزكون منهم ، فقد دعا الكلبيون بزعامة حسّان بن مالك بن بحدل إلى خالد بن يزيد بن معاوية وتعصبوا لأبيه يزيد ؛ لأنه ابن أُختهم ، ودعا غيرهم إلى مروان بن الحكم . ثم إنهم اختاروا مروان بن الحكم وأطبقوا عليه وبايعوا له ، فقال حسّان بن مالك : « رأيي لرأيكم تبع ، إنما كرهت أن تعدل الخلافة إلى ابن الزبير ، وتخرج من أهل هذا البيت ». (١) أما قَيس فإِنّها انحازت إلى عبد الله بن الزبير وبايعت له (٢).

والتقى الطَّرفان بعد ذلك في مرج راهط فدارت الدائرة على القيسية أتباع ابن الزبير ، واستقر الحكم لمروان بن الحكم ، فدأب شعراء كلب على تذكير الأُمويِّن بفضل اليمانية عليهم ، إذ هم الذين انتزعوا الخلافة ووهبوها لهم ولولاهم لما استقر لبني مروان ملك ولا سلطان (٣). قال جواس بن القعطل الكلبيّ من أبيات (٤):

ضَربنا لكم عن منبَر المُلكِ أَهْلَهُ ... بَجَيرونَ إِذْ لا تستطيعونَ منبَرا (٥)
وأيام صِدق كلّها قد علمتُمُ ... نَصرنا ويوم المرج نْصراً مؤزَّرا

فهو يفاخر المروانيين ويمن عليهم بنصر اليمانية ـ بقيادة كلب ـ لهم على القيسية و تثبيتها مُلكهم .

---

(١) أنساب الأشراف ٥ : ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، والأمويون والخلافة ص : ١١٣ ، ١١٤ .
(٢) أنساب الأشراف ٥ : ١٣٣ .
(٣) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ص : ٥٦١ .
(٤) نقائض جرير والأخطل ص : ٢٠ . وانظر : المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ٣ : ١٤٩٢ ، وتنسب الأبيات إلى عمرو بن مخلاة الكلبي في : معجم الشعراء ص : ٦٨ ، والتبريزيّ : شرح ديوان الحماسة ٤ : ٦٦ ، ومعجم البلدان : الزرّاعة . ونسب البيت الأول إلى بعض الكلبيين في : أنساب الأشراف ٥ : ١٣٥ .
(٥) جَيرون : هو أحد أبواب الجامع بدمشق ، وهو بابه الشرقي . انظر : معجم البلدان : جيرون . وانظر : يوم جيرون في : أنساب الأشراف ٥ : ١٣٢ .

وقال عمرو بن مخلاة الكلبيّ (١) : (٢)

رددْنا لمروانَ الخلافةَ بعْدما جَرى للزُّبيريّين كلٌّ بريدِ
فإلاّ يكُنْ منّا الخليفةُ نَفْسهُ فما نالها إلاّ ونحنُ شُهودُ (٣)

فهم حسبهم - وإن لم يظفروا بالخلافة - فخراً أنَّ مروان بن الحكم لم يصل إلى الحكم إلا بتأييدهم ومؤازرتهم .

وقال عمرو بن مخلاة أيضاً يتشفى بترك قتلى قيس في أرض المعركة فريسةً للذئاب ، ويزهو بشجاعة فرسان اليمانية الذين شتتوا فرسانَ قيس واستباحوا حماهُم (٤):

شَفى النَفْس قتلى لم توسّدْ خُدودُها تُلم بها طُلسُ الذّئاب وسودُها (٥)
بأيدي كُماة في الحروب مَساعِرٍ على ضامراتٍ ما تَجِفُّ لُبودُها
أبحنا حِمى الحيَّين قيس براهطٍ وولتْ شِذاذاً واستبيح شَريدُها

وأعلن عمرو بن حجر الكلبيّ أنَّ اليمانية اشتفت من قيس في مرج راهط فضربتها بسيوف قاطعة ، ولم تَجرؤ قيس على الوقوف في وجهها ، بل انهزمت مُخلّفة قتلاها طعاماً لضباع الأرض فقال (٦):

ألا مَنْ مُبلغ قيساً رَسولاً بـأنـا قد شَفينا واشتفينا
غَداة المَرج نَضربكُم بِبيضٍ صَوارم في المهـزّةِ يلْتوِينا

---

(١) هو عمرو بن مخلاة الكلبيّ ، من بني تَيم اللاّت بن رُفيدة . وكان يقال له : عمرو بن مخلاة الحمار ، ويقال : ابن مخلى ، شاعر فارس شهد مرج راهط وله فيها أشعار ، وكان مداحاً لبني أُميّة . انظر نقائض جرير والأخطل ص : ١٩ . وأنساب الأشراف ٥ : ٣١٠ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٤٣ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٦٧ ، ومعجم الشعراء ص : ٦٨ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصورة الجامعة الأردنية) ١٣ : ٣٠٢ .

(٢) التنبيه والإشراف ص : ٢٦٧ والبيت الأول في : أنساب الأشراف ٥ : ١٤٨ .

(٣) البيت فيه إقواء ظاهر .

(٤) التنبيه والإشراف ص : ٢٦٧ . وانظر : العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأمويّ ص : ٥٤٧ .

(٥) الذئاب الطلس : التي في لونها غَبْرة ضاربة إلى السواد .

(٦) معجم الشعراء ص : ٤٥ .

فلم تَحموا هُنالِكم ذِماراً ولا عَطَفت كتائبكم علينْا
فأشبعنا ضباعَ الأَرض مِنكُم وأَقررنا بِقتلكم العُيونا

وفَخَر الوازع بن ذؤالة الكلبيّ [١] ببلاء رجال قضاعة يوم المرج ، ووصفهم بأنهم سادة أشداء ذوو خصال كريمة وشيم حَميدة ، وبأنهم فُرسان حرب أشاوس لا يحيدوْن عن الموت ، ولا يجبنون في ساح القتال ، فقال وقد عَتب على بعض الأمراء [٢]:

أتنسى الذي أسديته يوم راهطٍ وقد ضاقَ عنك المْرجُ والمرجُ واسعُ
وأقبل حادي الموت يحدو مُشمّراً بفرسانِ حَربٍ لم ترعْها الرّوائع
عليها قرومٌ من قُضاعة سادةٌ لهم شيمٌ محمودةٌ ودسائع
إذا لَقِحت حربٌ مرَتها سُيوفهم وأيدٍ طوالٌ لم تخنْها الأشاجع
يرونَ وُرودَ الموت حقاً عليهمُ إذا حادَ عن ورد المنايا المُخادِع
فكم من كريمٍ قد تركنا مُلحّباً وآخر قد سُدَّت عليه المطالع

وتدلُّ هذه المقطوعات على ضَراوة موقعة المرج وقساوتها ، وعلى كثرة ما سقط فيها من قتلى ، وتعبر عن حدة تنازع القبائل الشامية على السلطان وما يجنيه من مغانم مادية ، وتكشف عمّا كان يَعتمل في نفوس أفرادها من حَسد وغلّ ورغبة في تقتيل أعدائهم وتشريدهم لتشفى أحقادهُم وتَسكن نُفوسهم وتخلص المنفعةُ لهم . ويلاحظ أنَّ الشعراء يلحون على رسم صورة لنهاية المعركة ، تبدو فيها جُثثُ أعدائهم مُنتشرة في أرض المعركة متروكة دون دفن طعاماً للذئاب والضباع ، ليدلوا على شجاعة فرسان قومهم وكثرة إصابتهم في أعدائهم .

ولم تهدأ الفتن القبلية بعد هذه الوقعة ، فقد أدى يوم المرج إلى اشتعال نار الحقد في النفوس ، فوقعت معارك عنيفة بين قبيلتي كلب وقيس وشارك شعراءُ القبائل اليمانية في

---

(١) الوازع بن ذؤالة الكلبيّ : شاعِر فارس ، شهد مرج راهط مع مروان بن الحكم ، فقتل همام بن قبيصة النميري ، وأصيبت عينه في تلك المعركة ، انظر : أنساب الأشراف ٥ : ١٣٧ ، وتاريخ مدينة دمشق (مصورة الجامعة الأردنية) ١٧ : ٣٦٠ .

(٢) أنساب الأشراف ٥ : ١٤٦ . وانظر : تاريخ مدينة دمشق (مصورة الجامعة الأردنية) ١٧ : ٣٦٠ .

المعركة اللسانية التي رافقتها ، ولكن أخبار هذه المعارك مُضطربة ، ولا يتضح فيها التتابع الزمني [١] ومنها : يوم الإكليل ، ويوم السّماوة ، ويوم الغوير ، ويوم الهيل ، ويوم كآبة ، ويوم دُهمان [٢].

وكان الصّراع بين قيس وكلب قد انتقلت آثاره إلى قصور خلفاء بني أميّة وأُمرائهم ؛ لأنّ منهم من كانت أُمه كلبية ، ومنهم من كانت أُمه قيسية ، فكان الخلاف يشجُر بينهم . ويذكر التبريزي [٣] أنّ أبناء القيسيات من بني أُمية كانوا يفخرون على أبناء الكلبيات بما تفعل بهم قيس في البدو والحضر وذلك في أثناء فتنة عبد الله بن الزبير ، فانتدب خالد بن يزيد بن معاوية حميد بن حريث الكلبيّ ليمحو ذلك العار ، وافتعل له على لسان عبد الملك ابن مروان عَهداً بأخذ الصدقة من قيس ، حتى يتمكن من الإيقاع بها . فاستغل حميد هذا السلطان وأوغل في النكاية بقيس ولا سيما ببني فزارة ، وسجل سنان بن جابر الجهني [٤]هذا الانتقام الكلبيّ في قصيدة تشفى فيها بقتلى قيس وأشياعها تشفياً لا يصدر عن صدر مؤمن ، حتى ليكاد يظن من يقرأ أبياتها أنها لشاعر جاهلي يعيش في مجتمع قبلي لا لشاعر يحيا في مجتمع تسوده روح الإسلام وتعاليمه السمحة يقول [٥]:

لقد طارَ في الآفاقِ أنَّ ابنَ بَحدلٍ ... حُميداً شفى كلباً فقرَّتْ عُيونُها
وعرَّف قيساً بالهوَانِ ولم تكنْ ... لتنزع إلاّ عند أمر يُهينُها
فقلتُ له : قيسُ بن عَيلانَ إنَّها ... سريعٌ ـ إذا ما عضت الحربُ ـ لينُها
سما بالعِتاق الجُردِ من مرج راهطٍ ... وتَدمُر ينوي بذلّها لا يصونُها

---

(١) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأمويّ ص : ٢٩٩ .

(٢) الأغاني ٢٣ : ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٩ .

(٣) شرح ديوان الحماسة ٢ : ٩٦ .

(٤) هو سنان بن جابر ، أحد بني حميس بن عامر بن جهينة .

(٥) الأغاني ١٩ : ١٤٥ . وانظر : أبياتاً من هذه القصيدة منسوبة إلى بعض بني جهينة في : المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ٢ : ٥٢٢ والتبريزي : شرح ديوان الحماسة ٢ : ٩٥ مع اختلاف في الرواية . ونسب البيت الأول إلى ابن مَخلاة الكلبي في : الأغاني ٢٣ : ١٨٩ .

فكان لها عرض السّماوة ليلةً سواء عليها سهْلها وحُزونُها
فمنْ يحتمل في شأن كلبٍ ضَغينةً علينا إِذا ما حَان في الحرب حينُها
فإِنا وكلباً كاليدين متى تَضَع شمالُك في شيءٍ تُعنْها يَمينها(١)
لقد تركَت قتلى حُميد بن بَحدلٍ كثيراً ضَواحيها قليلاً دَفينُها (٢)
وقيسيةٌ قد طلَّقتها رِماحُنا تلفَّتُ كالصَّيداء أودى جَنينُها(٣)

فالشاعر يقرر أنَّ خبر انتصار حُميد الكلبيّ على قيس وإقراره عيون الكلبيِّين منهم وشفاءَه قلوبهم ممّا كان تداخلها من عداوتهم واهتاج فيها من نار حقدهم على قيس ، قد طار في الآفاق وعلمت به القبائل جميعها . ويعلنُ أنَّ حُميداً أحل قيساً بمحل الذلّ والهَوان ، حتى كفت عن مُجاذبة كلب والتعرض لها بالسُّوء . ثم يؤكد أنَّ ما يجمع بين جُهينة وكلب من حلف هو في نهاية القوة والاستحكام بحيث لا يعرض فيه وهَنَ أو فتور ؛ لأنهما كاليدين اللتيّن إذا دُفعت إِحداهُما إلى شدة أعانتها الأُخرى (٤) .

ولسنان بن جابر الجُهني في هذا الشأن مقطوعة هي أشدُّ تأثراً بالحَميَّة الأعرابيَّة من قصيدته السّابقة ، وأكثر منها تعبيراً عن الرّوح القبلية التي كانت تتملكُ نفسه ، إذْ ليس فيها سوى الفخر بالحَسَب وسَعة الثَّراء ، والظفَر بالأعداء والنّكاية فيهم ، والتشفيّ بهزيمتهم ، والاعتزاز بسادة القبيلة كما هو الشأن في الفخر الجاهلي (٥). يقول (٦):

يا أُخت قيس سلي عنّا علانيةً كي تُخبري من بَيان العِلم تبيانا
أنا ذوو حَسَبٍ مالٍ ومَكرمةٍ يوم الفَخار وخيرُ النّاس فرسانا

(١) البيت في : محاضرات الأدباء ١ : ٢٧١ دون عزو وبرواية مختلفة .
(٢) الضّواحي : الظّواهر .
(٣) الصيداء : التي لا تستطيع الالتفاتَ من داء يصيبها .
(٤) المرزوقيّ : شرح ديوان الحماسة ٢ : ٥٢٢ ، ٥٢٣ .
(٥) اتجاهات الشعر في العصر الأمويّ ص : ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .
(٦) الأغاني ١٩ : ١٤٥ ـ ١٤٦ .

منّا ابن مُرّةَ عمروٌ قد سمعتِ به ... غيثُ الأراملِ لا يؤذينَ ماكانا (١)
والبَحدليُّ الذي أردتْ فوارِسُه ... قيساً غداة اللوى من رَمل عدْنانا (٢)
فغادرت حَلْبساً منها بمعترك ... والجَعدَ مُنعفراً لم يُكْس أكفانا (٣)
كائن تركنا غداة الفاه من جَزَرٍ ... للطير منهم ومن ثكلى وثكلانا (٤)
ومن غوانٍ تبكّي لا حَميمَ لها ... بالفاهِ تبكي بني عمٍّ وإخوانـــا

وواضحٌ أنَّ سنان بن جابر أضاف إلى صورة نهاية المعركة التي عرفناها عند شُعراء كلب عنصرين جديدين ، فجعل الطيور تحوم على جُثث قتلى قيس ، وصوَّر حُزنَ نساء قيس الثكالى وذهولهنَّ لما أصابَ بعولتهُنَّ من قتل وتشريد .

ويبدو أنَّ نار الحقد في النفوس كانت عامة ، اشترك فيها الرجال والنّساء على حد سواء ، فقد عبرت عميرةُ بنت حسّان الكلّبية (٥) عن مدى تَغلغل روح التّشفي وحُبّ الانتقام في نفوس نساء كلب فضلاً عن رجالها ، فقالت تَصف مَسير فرسان كلب لقتال بني سُليم - بطن من قيس - في يوم دهمان ، وتشيدُ بفعل حُميد بن حُريث فيهم ، وتفخر بشجاعة كلب وكثرة عدد فُرسانها ، مُتشفية في قصيدتها بنساء قيس ، ومعيرةً عمير بن الحُباب السُّلميّ فرارهُ من المعركة (٦):

---

(١) هو عمرو بن مُرة الجهني . كانت له صحبة . انظر تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ٣٩٥ .

(٢) البَحدليّ : هو حميد بن حُريث بن بحدل الكلبيّ .

(٣) حلبس : اسم شخص . والجعد : هو الجعد بن عمران بن عُيينهَ . وقد قتل يَومئذ . انظر : الأغاني ١٩ : ١٤٧ .

(٤) الفاه : واضح أنّه اسم موضع ، ولم يذكره ياقوت في معجمه . وجَزَر السِّباع والطير : اللحم الذي تأكله .

(٥) هي عميرة بنت حسّان بن الطرامة الكلبي . والطرامة أُمه ، حضنته فغلبت عليه . شاعرة شامية عاصرت عبد الملك بن مروان . انظر: أبو تمام : كتاب الوحْشيات ص : ٧ . وفيه أن اسمها عُفيرة ، والأغاني ١٩ : ١٥٢ ، وأعلام النساء ٣ : ٣٦٧ .

(٦) الأغاني ١٩ : ١٥٢ . وهي في أعلام النساء ٣ : ٣٦٧ . وانظرأبياتاً منها في : كتاب الوحشيات ص : ٧ - ٨ .

سمت كلبٌ إلى قَيس بجَمعٍ ... يَهُدُّ مناكِبَ الأكمِ الصِّعابِ

بذي لَجَبٍ يدُقُّ الأرضَ حتّى ... تضايقَ من دَعا بَهلا وهاب (١)

نَفَيْنَ إلى الجزيرة فَلَّ قيسٍ ... إلى بَقٍّ بها وإلى ذُباب

وألفينا هَجينَ بني سُلَيْمٍ ... يفدّي المُهرَ من حُبِّ الإياب (٢)

فلولا عَـدوة المُهـر المُفـدّى ... لأبتَ وأنت مُنخرقُ الإهابِ (٣)

ونَجاهُ حَثيثُ الرّكضِ منّـا ... أُصيْلاناً ولونُ الوَجه كابي (٤)

وآضَ كأنّه يُطلى بِـورسٍ ... ودُقَّ هُويٌّ كاسرة عُقاب

حمدْتُ الله إذْ لقيّ سُليماً ... على دُهمان صقر بني جَناب (٥)

تركنَ الرُّوقَ من فَتيات قَيسٍ ... أيامى قد يئسنَ من الخِضاب (٦)

فَهنَّ إذا ذَكرنَ حُميدَ كلبٍ ... نَعقنَ برنَّة بعد انتحاب

متى تذكُر فتى كلب حُميداً ... تَر القيسيَّ يشرقُ بالشَّراب

ويلاحظُ الحِس الأُنثوي بجلاء في البيت التّاسع ، إذ كان مما يثلج صَدر الشاعرة أنْ تترك القيسات أيامى بعد تَيسير الخِضاب ، كما يلاحظ غياب الحِس الديني الحقيقي وحلول روح التعصب القبلي والاعتزاز بالقيم الجاهلية محلَّه ، فأصبح التعصب للقبيلة في هذا العصر أقوى من أيّ إحساس آخر ؛ لأنَّ العصبية عادت إلى الظهور فيه بقوة . وتوضح قصيدة عُميرة هذه أنَّ يومَ دهمان كان لكلب بقيادة حُميد بن حريث على سُليم بقيادة زعيمها عمير بن الحُباب ، وأن عميراً انهزم في هذا اليوم ، فتبعته فلولُ سُليم إلى الجزيرة ، ولذلك فإن لها قيمة تاريخية بالإضافة إلى قيمتها الأدبية .

---

(١) اللّجب : كثرة أصوات الأبطال وصهيل الخَيل . وهَلا وهاب : من أصوات زَجر الخيل والإبل .

(٢) هَجينُ بني سُليم : هو عمير بن الحُباب السُّلميّ الذي فَرَّ من المعركة لما لقيه حُميدٌ بكلب . انظر : الأغاني ١٩ : ١٤٥ .

(٣) هذا البيت والذي يليه في : ديوان المعاني ٢ : ٢٤٩ .

(٤) الكابي : الشاحب الذّاوي .

(٥) دُهمان : اسم المكان الذي وقعت فيه المعركة . وصقر بني جناب : هو حميد بن حُريث .

(٦) الرّوق : الجميلات .

وبدأ اليمانية في نهاية القرن الأول الهجري يضجون بالشكوى من بني أُميَّة ، بعد قضاء عبد الملك بن مروان على عبد الرحمن بن الأشعث الكندي ومن التفَّ حوله من اليمانية وغيرهم . واشتدَّ حنقهم على الأمويين في بداية القرن الثّاني ، عندما نكب يزيد بن عبد الملك المَهالبة وكاد يقضي عليهم . وتنامى حقدهم في آخر أيام هشام بن عبد الملك ، حينما عزل خالد بن عبد الله القسري عن العراق وأمر بسجنه وَجلده . وكان قتل يوسف ابن عمر الثقفي لخالد القسري في عهد الوليد بن يزيد خاتمةَ النَّكبات التي حاقَت باليمانية ، وبعثتهم على التدبير لخلع الوليد بن يزيد وقتله ، ثأراً لدماء رؤسائهم المُراقة ، وكرامتهم المَهدورة ، وسلطانهم الضائع ، وقضاءً على نفوذ المُضرية من قيس الذين أيدوا الأُمويين ومكنوهم من اليمانية . وقد لجأ يمانية الشام من أجل ذلك إلى وسيلتين : إِحداهما إِعلامية دعائية تحريضية ، قصدوا منها استفزازَ عشائرهم و إِذكاء نار الحميّة في نفوسهم بإثارة العصبية القبلية بينهم وبين قيس ، فوضَعوا على لسان الوليد بن يزيد قصيدة في ذَم اليمانية وتقريعهم والتشفي بهزيمتهم وتقلصِ نفوذهم ،وفي تمجيد قيس والافتخار بجبروتها وَعظمتها وَسحقها لليمانية (١) ، وهي تتوالى على هذا النحو :

ألَمْ تهتَجْ فتذكُر الوصالا ... وحَبلاً كانَ مُتصلاً فزالا
بلى فالدمعُ منكَ له سِجامٌ ... كماء المُزنِ ينسجِلُ انسجالا
فَدع عنكَ ادكاركَ آل سُعدى ... فَنحنُ الأكثرونَ حصى ومالا
ونحنُ المالكونَ النّاس قَسراً ... نَسومُهم المذلّة والنَّكالا
وطئنا الأشْعرين بعز قيسٍ ... فيالكِ وَطأةً لن تُستقالا
وهذا خالدٌ فينا أسيراً ... ألا مَنعوه إِنْ كانوا رِجالا
عَظيمُهم وسيّدُهم قديماً ... جعَلنا المُخزيات له ظِلالا

(١) الوليد بن يزيد : عرض ونقد ص : ٤٣٣ ـ ٤٣٤ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٤ ـ ٢٣٥ . والقصيدة كاملة في : الكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٢ ـ ٢٨٣ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٢١ : ٤٧٤ ـ ٤٧٥ . ومعظم أبياتها في : الأخبار الطوال ص : ٣٤٨ . ومنها أبيات في : أنساب الأشراف (مُصورة الجامعة الأردنية عن مخطوطة استانبول) المجلد الثاني ص : ٣٠١ ، ٣٢٧ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٨٠ .

فلو كانت قبائل ذات عِزٍّ — لما ذَهبت صنائعهُ ضَلالا
ولا تركوهُ مسْلوباً أسيراً — يُسامرُ من سَلاسلنا الثقالا
وكِندةُ والسَّكون فما استقالوا — ولا بَرِحَت خُيولهم الرِّحالا
بها سُمنا البريَّة كلَّ خَسفٍ — وهدَّمنا السُّهولةَ والجبالا
ولكنَّ الوقائعَ ضعضعتهُم — وجذَّتهم وردَّتهم شِلالا(١)
فما زالوا لنا أبداً عبيداً — نَسومهم المذلةَ والسِّفالا(٢)
فأصبحتُ الغَداةَ عليَّ تاجٌ — لمُلك الناس ما يبغي انتقالا

ويختلف الأخباريون والمؤرِّخون في صاحب هذه القصيدة ، فيقطع رواة اليمانية بأنها للوليد بن يزيد . وتحرَّز الطبري من روايتهم فقال : « قال الوليد بن يزيد - فيما يزعم الهيثم ابن عدي - شعراً يوبخ به أهل اليمن في تركهم نصرة خالد بن عبد الله (٣) » . وعَزاها أبو حَنيفة الدِّينَوريّ (٤) والمسْعوديّ (٥) إلى الوليد بن يزيد .وحمَل البلاذري عن المدائني روايتَين عزا القصيدة في الرواية الأولى إلى رجل من قيس ونَحلها الوليد (٦). وعزاها في الرواية الثانية إلى رجلٍ من كلب فقال : « قال بعض الكلبيين شعراً على لسان الوليد (٧)» .

ونقل الطبريّ رواية المَدائني الثانية عن أحد تلاميذه فقال :« وأما أحمد بن زُهير ، فإنّه حدث عن علي بن محمَّد ، عن محمد بن سعيد العامري عامر كلب ، أنَّ هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد ، يحرض عليه اليمانية (٨) ».

---

(١) الشلال : القوم المتفرقون .
(٢) السِّفال : مصدر سفل يسفل ، إذا انحطّ .
(٣) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٤ . وانظر الكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٢ .
(٤) الأخبار الطوال ص : ٣٨٤ .
(٥) التنبيه والإشراف ص : ٢٨٠ .
(٦) أنساب الأشراف (مُصورة الجامعة الأردنية) المجلد الثاني ص : ٣٠١ .
(٧) نفسه ص ٣٧٢ .
(٨) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٤ . وانظر : الكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٢ .

وجَزم ابن خلدون بأن القصيدة ليست للوليد ، بل لأهل اليمن إذ يقول : « ثمّ فَسدت اليمانية عليه ، واستعظموا بيعة خالد بن عبد الله القسري ليوسف بن عمر الثقفي ، ووضعوا على لسانه قصيدة مُعيرة لليمانية بشأن خالد القسري » [1] .

ويضاف إلى أنَّ الأخباريين الموثوقين كالمدائنيّ ومن أخذوا عنه كالبلاذريّ والطبريّ وابن خلدون ، يجمعون على أنَّ القصيدة مُلفَّقة مفتعلةلفقها أحد شعراء اليمانية ونَحلها للوليد ، أنَّ أُسلوب القصيدة يقطع بأنها ليست للوليد ؛ لأنه أُسلوب جَزل مصقول سَهل ، ليس فيه غرابة ولا خُشونة وهوأسلوب يُخالف أُسلوب شعر الوليد الفخريّ ، الذي يتسم بقلة التهذيب والتنقيح ، وببعض القلق والعوج وتنتشر فيه شوارد اللّغة والكلام الوحشيّ والمهجور [2] .

وربما كانت القصيدة من صنع عِمران بن هلباء الكلبي الحِمصيّ [3] الذي نقضها وتمدَّح بعزِّ أهل اليمن ، وبنصرتهم بني أُمية وتثبيتهم مُلكهم ، وبمكافحتهم قبائل اليمن العراقية وزعماءَها الثائرين بالأمويين كعبد الرحمن بن الأشعث ، ويزيد بن المُهلب ، وتوعد فيها قبائل قيس بالفناء والثأر منها لخالد القسري ، فإن أُسلوب نقيضته يُشبه في الصفاء والسَّلاسة والنَّصاعة أُسلوب القصيدة المنسوبة إلى الوليد بن يزيد [4]. يقول عِمران في مطلع قصيدته [5]:

قفِي صَدرَ المطيَّة يا جُلالا   وجُذيّ حبَل من قَطع الوِصالا

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٣ : ٢٢٧ .

(٢) الوليد بن يزيد : عرض ونقد ص : ٤٣٦ .

(٣) هو شاعر فارس أيد يزيد بن الوليد بن عبد الملك في ثورته ، وشهد قتل ابن عمه الوليد بن يزيد . انظر : تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٥ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصورة الجامعة الأردنية) ١٢ : ٣٤٤ ، والوليد بن يزيد : عرض ونقد ص : ٤٤٠ .

(٤) الوليد بن يزيد : عرض ونقد ص : ٤٣٦ .

(٥) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٥ - ٢٣٦ . وانظر : تاريخ مدينة دمشق (مُصورة الجامعة الأردنية) ١٢ : ٣٤٤ - ٣٤٥ .

ثم يقول :

جَعلنا للقبائل من نِزارٍ ... غداةَ المَرج أياماً طِوالا
بنا ملكَ المُملَّك من قريش ... وأودى جدُّ من أودى فَزالا
متى تلقَ السَّكون وتلقَ كلباً ... بقَيسْ تَخشَ من ملْكٍ زوالا
كذاكَ المرْء ما لم يُلفَ عَدلاً ... يكونُ عليه مَنطقه وَبالا
أعدُّوا آل حميرَ إذْ دُعيتُم ... سُيوف الهند والأسلَ النَّهالا
وكلُّ مُقلص نَهد القُصيرى ... وذا فودَين والقُبَّ الجبالا (١)
يذرْنَ بكلِّ مُعترَك قتيلاً ... عليه الطَّير قد مَذِلَ السُّؤالا (٢)
لئن عَيرْتمونا ما فعلنا ... لقد قُلتم وجدُّكم مقَالا
لإخْوان الأشاعثِ قتَّلوهم ... فما وَطئوا ولا لاقوا نَكالا
وأبناء المُهلب نحن صُلْنا ... وقائعهم وما صُلتم مَصالا
وقد كانت جُذام على أخيهم ... وَلخم يقتلونهم شِلالا
هَربنا أنْ نُساعدكم عليهم ... وقد أخطا مُساعِدُكم وفالا
فإنْ عُدتُم فإنَّ لنا سُيوفاً ... صَوارمَ نستْجدُّ لها الصقَّالا
سَنبـكي خـالداً بمُـهنَّدات ... ولا تذهب صنائعه ضلالا

إلى أنْ يقول مُخاطباً الوليد بن يزيد :

سَـتلقى إنْ بَقـيتَ مُسـوماتٍ ... عَوابـسَ لا يزايلنَ الحِـلالا (٣)

ولّما قُتل الوليد بن يزيد افتخر شعراء القبائل اليمانية الشامية بمقتله ؛ لأنَّهم كانوا ممَّن انَّضم إلى ابن عمه يزيد بن الوليد . وتشير الأشعار التي نَظمها يزيد بن خالد القسريّ (٤) ،

---

(١) نَهد القُصيرى : القُصرى والقصيرى : ضلع قصيرة في مؤخرة الأضلاع مما يلي الخاصرة . وقيل : مما يلي الصّدر .

(٢) مَذل : أي طابت نفسه عن اللحم فتركه ، لكثرة ما أكل .

(٣) الحلال : جمع حلّة ، وهي الجماعة من البيوت .

(٤) انظر : أنساب الأشراف (مصورة الجامعة الأردنية) المجلد االثاني ص : ٣٣٥ .

ومحمد بن خالد القَسري وبعض موالي خالد وغيرهم ، إلى أنّ اليمانية كانوا أكبرَ أعوان يزيد بن الوليد ، وأنهم أيّدوه انتقاماً لخالد القَسري . ومن هذه الأشعار : قول محمد بن خالد القَسري الذي أنشأهُ بعد هلاك الوليد بن يزيد بزمن ، وهتف به في أثناء تقدم الجيوش العباسية نحو الكوفة ـ وكان محمد ثار ورفع رايات العباسيين السوداء [1] ـ وعبر فيه عن ابتهاجه بمصرع الوليد ، ورماه بالكبر والفسق ومُجانبة الصواب ، واستهان بسُخريته باليمانية واتهامه لهم بالعَجز في القصيدة اللاميّة التي نُسبت إليه ، وفخر بقوة القبائل اليمانية وجَبَروتها [2]، فقد قتلت الوليد ، وطوحت بدولة بني أُميّة [3]:

قتلنا الفاسِقَ المُختالَ لمّا ... أضاعَ الحقّ واتّبع الضّلالا
يقول لخالدٍ ألاّ حَمتْــهُ ... بنو قحطان إنْ كانوا رِجالا
فكيف رأى غَداة غَدت عليه ... كراديس يُشبهها الجِبالا [4]
ألا أبلغ بني مروانَ عنّي ... بأنَّ المُلكَ قد أودى فَزالا

وقولُ أبي محجن مولى خالد القَسريّ واصفاً فرحهُ بمصرع الوليد ، ومتشفياً بالمُضريّة الذين تخلّوا عنه وأسلموه للموت ، ومتَغنياً بإباء اليمانية ، وما يصبون من الصواعق على خُصومهم فتحْرقهم حَرقاً [5]:

سائل وليداً وسائلْ أهلَ عَسكرهِ ... غَداة صبَّحهُ شؤبوبنا البَردُ
هل جاءَ من مُضر نفسٌ فتمنعه ... والخيلُ تحْت عَجاج الموتِ تُطرد
مَن يهْجُنا جاهلاً بالسَّيف ننقُضهُ ... بالبيض إنّا بها نَهْجو ونفتئد [6]

---

(١) الأخبار الطّوال ص : ٣٦٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٤ .

(٢) الوليد بن يزيد : عرض ونقد ص : ٤٧٦ ـ ٤٧٧ .

(٣) الأخبار الطّوال ص : ٣٦٧ .

(٤) الكَراديس : الفرق من الخَيل .

(٥) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٦١ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٥ ، والوليد بن يزيد : عرض ونقد ص : ٤٧٨ .

(٦) افتأد : أوقد النار .

ومنها قول خلف بن خليفة البَجلي [١] يفتخر بما أحرزته القبائل اليمانية الشامية من نصر عزيز بقتل الوليد بن يزيد ، ويعتدُّ بعظمتها وقوتها ، وبأنَّها تتصدَّى لخصومها ، فتحتزُّ رؤوسهُم ، ولا تنام على ثارتها ، ويعلنُ أنَّ القيسية إذا كانوا أضعفوا القبائل اليمانية ، وطغوا عليها إلى حين ، فإنها لم تلبث أنّ حطمتهُم وانتصفت منهم لخالد القَسريّ [٢] ، فقتلت به الوليد بن يزيد [٣]:

لقد سكَّنت كلبٌ وأسيافُ مَذْحِجٍ	صدى كانَ يزقو ليلَهُ غير راقدِ (٤)
تركنَ أميرَ المؤمنين بخالدٍ	مُكبّاً على خَيشومهِ غيرَ ساجدِ
فإنْ تقطعوا منّا مناطَ قِلادَةٍ	قطعنا به منكم مَناطَ قلائد
وإنْ تَشغلونا عن ندانا فإنَّنا	شَغلنا الوليدَ عن غِناء الوَلائد (٥)
وإنْ سافرَ القَسريُّ سَفرةَ هالكٍ	فإنَّ أبا العباسِ ليس بشاهدِ (٦)

---

(١) التنبيه والإشراف ص : ٢٨١ . واكتفت بعض المصادر بنسبة الأبيات إلى خلف بن خليفة ، وواضح أنه غيرُ الشاعر خلف بن خليفة البكري ؛ لأنَّ المقطوعة تكشف عن رأي اليمانية في اغتيال الوليد ابن يزيد . وكان خلف بن خليفة البكري حليفاً لليمانية بخُراسان ، ولكنه كانَ بعيداً عن الأحداث بدمشق ، مشغولا بالتعبير عن موقف قومه وحُلفائهم وتنافسهم مع المضرية بخُراسان في ولاية نصر ابن سيار . انظر : الوليد بن يزيد : عرض ونقد ، حاشية رقم (٥) ص : ٤٧٧ .

(٢) الوليد بن يزيد : عرض ونقد ص : ٤٧٧ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٦٠ ـ ٢٦١ . وانظر : العقد الفريد ٥ : ١٩٤ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٤ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٨١ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصورة الجامعة الأُردنية) ١٧ : ٤٧٠ . ونسب المبرد أبياتاً من هذه المقطوعة إلى أبي الأسد مولى خالد القَسري في : الكامل في اللغة والأدب ٣ : ١٤٠ .

(٤) زقا : صاح .

(٥) البيت في : العمدة ١ : ٣٢٤ .

(٦) أبو العباس : كنية الوليد بن يزيد .

وقول الأصبغ بن ذؤالة الكلبي [1] مُعرباً عن سعادته بقتل الوليد وأسرِ ولَديه الحكم وعثمان ، وأخذ اليمانية بثأر خالد القسري ، ومستعلياً على قبائل قيس ، وعشائر قُريش التي كانت تناصره [2] :

من مُبلغٌ قيساً وخندفَ كلَّها ... وسادتهم من عبد شمس وهاشم
قتلنا أميرَ المؤمنينَ بخالدٍ ... وبعنا وليّ عَهده بالدَّراهم

وافتخر بعضُ شعراء طّيء بيوم المُنتهب بين قبيلتهم وبين مروان بن محمد آخرِ الخُلفاء الأمويِّن ، بسبب امتناعها من أداءِ الصدَقة [3].

ولم يقتصر شعراء القبائل اليمانية الشامية على الفخر بقُوة قبائلهم وسطوتها ، بل افتخروا أيضاً بانتسابها إلى اليمن ، وبرسوخ جُذورها في قحطان ، فقد ردَّ القحطانيون على مُفاخرة النِّزارية لهم بالنبوة والخلافة ، بُمفاخرتهم بماضيهم العريق ومَمالكهم القديمة التي أخضعت القبائل النِّزارية في الجاهلية ، وبمن اشتهر من ملوكهم وفرسانهم وأشرافهم القُدامى[4] . فهذا النعمان بن بشير الأنصاري يُفاخر العِدنانية بشَجاعة القَحطانيّين ، ويلجأ إلى إقحام أسماء أنبياء الله هود وصالح وذي الكِفل عليهم السّلام في سلسلة النَّسَب القحطاني ، ليجعلهم بإزاء إسماعيل ومحمد عليهما السَّلام ، وإلى تفخيم صورة ملوك اليمن القُدماء ، وذكر أجوادهم المشهورين في الجاهلية من أمثال حاتم الطائي ، كما يفتخر ببنائهم سدَّ يأجوج في قصيدة يقول فيها[5] :

---

(١) الأصبغ بن ذُؤالة : هو أبو ذؤالة ، أصبغ بن ذؤالة الكلبيّ ، كان مع الذين أجمعوا على الفتك بالوليد ابن يزيد ، ثم انضم إلى ثابت بن نعيم الجُذامي وأهل حمص لُمقاتلة مروان بن محمد ، فلما هَزمهم مروان ، أخذه وصلبه هو و أصحابه بحمص . انظر : المُحبر ص :٤٨٤ ، والأغاني ٧ : ٧٨ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصورة الجامعة الأردنية) ٣ : ٣٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٨١ ، ٣٢٨ .

(٢) الأغاني ٧ : ٧٩ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٥ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٨١ ، والوليد بن يزيد : عرض ونقد ص : ٤٧٨ - ٤٧٩ .

(٣) انظر : أنساب الأشراف (مُصورة الجامعة الأُردنية) المجلد الثاني ص : ٣٥٥ ، ٣٥٧ .

(٤) الإكليل ٢ : ٢٠١ ، والعصبية القبلية وأثرها في الشعر الأمويّ ص : ٥٦٠ .

(٥) الإكليل ٢ : ٢٠٥ . وقد أخل جامع شعر النعمان بن بشير بهذه الأبيات .

إذا انبعثت منّا الحُروبُ تأجّجت بِسُمر القنا وانهلّ فيها التّناشمُ (١)
فمنّا سَراةُ النّاس هُودٌ وصالحٌ وذو الكفل منّا والمُلوك الأعاظِم
ومنّا ملوك النّاس فَهْدٌ وتُبعٌ وعَبْد كُلالٍ والقُرومُ القمَاقِمُ (٢)
وحسّان ذو الشّعبيْن منّا ويَرعش وذو يزن تلك البُحورُ الخَضارم (٣)
وذو الشّوذبِ السّمْحُ الذي كان قدَ علا تُصان له حورُ النّساء النّواعم (٤)
فَمن ذا يُعاددنا من الناس مَعْشَرٌ كرامٌ، فذو القَرنين منّا وحاتِم (٥)
ونَحنُ بنينا سَدٌّ يأجوج فاستوى بأيْمانِنا، هل يهدم السَّدَّ هادِم؟!

وكان النعمان بن بشير شديد الاعتزاز بقومه، كثير الزهو بهم، وهو يَحتَذي النّمط الجاهليّ في فخره، فيعددُ أسماءَ آبائه وأجداده، ويشيدُ بمفاخِرهم ومآثرهم ويَذكر صفاتهم التي تمثّلت عنده في الجود و النّدى والشّجاعة، فهم بنو الحرب ولُيوث الوغى، وهم قومٌ بَها ليل من أولاد قيلة - أمّ الأوس والخَزرج - حُلماءُ مسَاميح، خُرس عن الخَنا لا يجحدون ولا يبطرون، ويتحلّون بالصبْر والوقار (٦)، ولذلك فإنه يلوذُ بهم ويَحتمي إذا حزبه شرّ أو أصابه ضرّ؛ لأنهم بَعد الله عَونهُ وناصرهُ يقول (٧):

أُولئك بَعد اللّه عَوني وناصري إذا خفْتُ في الأقوام من رَهق كَرْبـا

وفَخَر النعمان بن بشير بقومه في الإسلام، فذكر إذلالهم الكفار في معركة بدر وفي غيرها من المعارك الأخرى، وأظهر اعتزازهم بلقب الأنصار الذي أطلقه الرّسول - عليه السلام - على الأوس والخزرج، فجمع في فخره القيلي بين طابع الجاهلية

(١) التناشم: وقوع الشر. وكانوا إذا أرادوا القتال تعطروا بعطر منشم.
(٢] فهد وتُبع وعبد كلال: من ملوك اليمن القدماء. انظر الإكليل ٢ : ٣٢٦، ٣٧٨.
(٣) حسّان ذو الشّعبين ويَرعش وذو يزن: من ملوك اليمن. والخضارم: الكثير.
(٤) ذو الشّوذب: من ملوك اليمن. انظر: الإكليل ٢ : ٢٧٣.
(٥) ذو القرنين: من أذواء هَمدان. انظر الإكليل ٢ : ٤٠٥.
(٦) انظر: شعر النعمان بن بشير الأنصاريّ ص: ٥٦، ٨٠ - ٨٢.
(٧) نفسه ص: ٨٢.

وروح الإسلام (١)، يقول مُخاطباً مُعاوية بن أبي سُفيان (٢):

أَلم تبتدِركم يوم بدرٍ سُيوفُنا ... ولَيلك عمّا نابَ قومكِ نائمُ (٣)

ضربناكم حتّى تَفرّق جمعُكم ... وطارت أكفٌّ منكم وَجماجِم

ويقول أيضاً (٤):

نَصرنْا رسولَ اللّه إذْ حَل بيْننا ... بأسْيافنا من كلّ مَنْ هو ظالمُ

ونَحْنُ ضَربنا النّاسَ في كلّ موْطنٍ ... كما ضُربَت دونَ الحِياض الحَوائم

وقال الأفلجُ بن يعبوب النّمريّ (٥) يرفض الانتساب إلى نزار، ويؤكدُ انتساب قضاعة إلى حِمير (٦):

يا أَيُّها الدّاعي ادْعنا وبشّرِ ... وكُن قُضاعياً ولا تُنزّرٌ

قضاعةُ بنُ مالك بن حِمير ... النّسبُ المعَروفُ غيرُ المُنكر

وعندما أَراد روحُ بن زِنباع الجُذامي أنْ يصل نَسب لخْم وجُذام وعاملة بنَسب مَعد ابن عدنان، رفض ناتل بن قيس الجُذاميّ ذلك (٧)، فقال عديّ بن الرّقاع العامليّ يعتز بالنسب القَحطانيّ (٨):

قَحطان والدُنا الذي نُدعى لـه ... وأبو خُزيمة خِندفُ بنُ نِزارِ

أَنبيعُ والدَنا الذي نُدعى لـه ... بأبي مَعاشر غائبٍ مُتواري

تلكَ التّجارةُ لا نُجيبُ لِمثلها ... ذَهب يباع بآنكٍ وابـار (٩)

---

(١) انظر: شعر النعمان بن بشير الأنصاري ص: ٥٧، ١٤٧.

(٢) نفسه ص: ١٥٥.

(٣) تَبتدركم: تسرُع إليكم.

(٤) الإكليل ٢: ٢٠٥.

(٥) الأفلج بن يعبوب: هو سلامة بن اليعبوب أخو بني حُجير بن طَيء بن وائل بن ربيعة بن مَناة بن مَشجعة بن التيم بن النّمر بن وبَرة أخي كلب بن وبرة. شاعر أُمويّ. انظر: أنساب الأشراف ١: ١٨، والمؤتلف والمُختلف ص: ٦٧.

(٦) أنساب الأشراف ١: ١٨، وانظر: السيرة النبوية ١: ١١، ونسب قريش ص: ٥، والإنباه على قبائل الرّواة ص: ٣٣، وتاريخ ابن خلدون ٢: ٥٠٦.

(٧) طبقات فحول الشّعراء ٢: ٧٠٠ - ٧٠٣.

(٨) الديوان ص: ٢٥٦.

(٩) الآنك: الرصاص.

وقال حَكيمُ بن عيّاش الكلبيّ (١) في البراءة من نَسب عَدنانّ (٢) :

بَرئنا إلى اللّه من أنْ يكون أبونا نِزار فنرضى نِزارا
ولكننّا نحنُ نَجل المُلوك يَمانون أَصلاً يمانون دارا

فهو يأنفُ الانتساب إلى نزار ، ويَعتز بأنه يمانيّ الأصل والدار .

٢ ـ الفخر الشَّخصيّ .

وافتخر بعض شعراء القبائل اليمانية الشامية بَشخصياتهم ، وأضافوا إليها ما شاءوا من صفات الصَّبر والحلم والكرم والشّجاعة والشَّرف والعزّة ونُبل المَحتد والرئاسة وقُوة المَلكة الشّعرية ، فهذا النعمان بن بشير الأنصاري يفخر بنفسه فيقول : إنَّه مثل قومه ، شُجاع بطل ثيابه لأمة تبعيَّة ، يخوض الغمرات ويطعن بالأسنة ويبرالصّديق والجار ، وهو شريف يعافُ مُصاهرة اللئام (٣)، كريم يُطعم الجار ، ويعطي من لا يسأله ، وينصُر المولى ويُعين المظلوم (٤):

وإني لأُعطي المالَ من ليس سائلاً وأُدركُ للمولى المُعاند بالظُّلم (٥)
وإني متى ما يلقَني صارماً لـه فما بيْننَا عند الشّدائد من صَرَمْ

---

(١) هو حكيم بن عياش الكلبيّ ، المعروف بالأعور الكلبيّ ، شاعر شامي مُجيد ، سكن المزَّة من قرى دمشق ، ثم انتقل إلى الكوفة ، وكان مُنقطعاً إلى بني أُميَّة ، مولعاً بهجاء مُضر فوقعت مُهاجاة بينه وبين شعرائها ، ولج الهجاء بينه وبين الكُميت بن زيد الأسدي ، بسبب هجاء الأعور لعلي بن أبي طالب وبني هاشم ، فغلبه الكُميت وأفحمه ، وقيل في سبب موته : إنه خرج من الكوفة مدلجاً ، فافترسه الأسد ، فأكله حوالي سنة (١٢٢ هـ) . انظر الأغاني ١٦ : ٣٣٤، ٣٥٦ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصورة الجامعة الأردنية) ٥ : ١٣٤ ، ومعجم الأدباء ١٠ : ٢٤٧ ، وخزانة الأدب ١ : ١٧٩ ، وغرر الخصائص الواضحة ص : ٤٠٥ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ٤٢٥ .

(٢) الإكليل ١ : ٦٣ .

(٣) انظر : شعر النعمان بن بشير الأنصاري ص : ٥٧ ، ١٥٣ ،والإكليل ٢ : ٣٠٤ .

(٤) شعر النعمان بن بشير الأنصاريّ ص : ١٥٩ .

(٥) المولى : ابن العمّ . و من معانيه أيضاً : الجار والحليف والناصر . والمُعاند : المُعارض .

وبَلغت العزّةُ بالضّحاك بن المنذر الحِميريّ أنْ يُفاخر مُعاوية بن أبي سفيان ، فغضِب مُعاوية ، ولكنه لمّا رأى تحزُّبَ قوم الضّحاك ، نظر إليه وقال : لقد بَلوتك واختبرتك ، فإذا قولك سَديد ، وسيفك حَديد ، وقومك عَديد ، وقد اخترتك لنفسي ، وأشركتكَ في أمري ، ووليتك ، فعقَد له على أرمينية ، وأمر له بالخِلع والحُملان ، فقبل الضّحّاك الولاية وقال (١) :

إذا ولَّيتَني بلـداً فإنّـي ... حقيقٌ بالولاية يا ابنَ حَرْبِ
لأنّـي من ذوي يَمَنٍ وبيتـي ... مَنيـعٌ في ذؤابـة آل كَعْـب
كريُم الخِيم من نَـفَرٍ كـرامٍ ... يُجيدونَ القِـراعَ بكلّ عَضْـب

فهو يفتخر بصراحة نَسبه ، وبنصرة قومه له ، وبكرم نفسه وقومه ، وبشجاعتهم ، ويرى أنّه بهذه الصّفات حقيق بالولاية .

ولّما نزل زُفَرُ بن الحارث الكلابيّ قرقيسياء من أرض الجزيرة ، لحق به عُمَير بنُ الحُباب السّلمي ، فأخذا يغيران على كلب بقيس ، وتُغيرُ كلب عليهما ، فسار حُميد بن حريث الكلبيّ إلى من بالهيل من قيس ، فقتلهم جميعاً ، ثم اتبع عُمير بن الحُباب فَهزمه ، فقال حُميد يفخر بشجاعته ، وبنصره على فَزارة ـ من قيس ـ وبقيادته قبيلته وتذريه سَنامها (٢) :

أنا سيْفُ العشيرة فاعرفونـي ... حُميْدٌ قـد تـذريْتُ السّناما
ومُعتَسٌ أمامَ الحـيّ أسعـى ... كسِرحـان التّنوفة حين سـاما
وقايلـةٍ على شَـجوٍ طـويـلٍ ... وقـد بلّت بأَدْمُعهـا اللّثامـا
كـأنّ بني فَزارةَ لم يـكونـوا ... ولـم يَرعـوا بأرضهـم الثُمامـا (٣)

وتغنى بيهس بن صُهيب الجَرميّ بكرمه ، فذكر أنّ كلبه اعتاد رؤية الضّيفان فلا ينبحهم ، وأنّ ناره تظلّ مُشتعلة ، لتكون لهم قبساً هـادياً ، وهو إنما يفعلُ ذلك خَشية الله

---

(١) الإكليل ٢ : ٢٠٠ ـ ٢٠١ . وانظر : مُلاحاة معاوية بن أبي سُفيان لشريك بن الأعور الحارثي ، وفخر شريك بنفسه في : الإكليل ٢ : ٢١٩ .

(٢) نقائض جرير والأخطل ص : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٣) الثّمام : نبْت صحراويّ .

والعار يقول [1]:

ما يَنْبحُ الكلبُ ضَيفي قد أسأتُ إذاً ... ولا أقولُ لأهلي أطفئوا النّارا
من خَشية أنْ يراها جائعٌ صَرِدٌ ... إنيّ أخافُ عقابَ الله والعارا [2]

وبرز لدى شُقران مولى بني سَلامان موضوع جديد من موضوعات الفخر الشّخصي في هذا العصر هو التمدح بالموهبة الفنية ، فقد وقعت مُهاجاة بينه وبين ابن ميّادة المُري الذُبياني [3] في بلاط الوليد بن يزيد فقال شُقران يفخر بِملكته الشعرية وغلبتِه لمن يُهاجيه من الشّعراء [4]:

إنِي إذا الشُّعراء لاقى بعضُهم ... بَعْضاً ببلْقعة يريدُ نِضالَها
وقفوا لُمِرتَجزِ الهَدير إذا دَنَت ... منه البِكارةُ قطّعت أبوالَها [5]
فَتركتُهم زُمراً ترّمزُ باللّحى ... منها عَنافقُ قدحَلقتْ سِبالها [6]

فقال ابن ميّادة للوليد : يا أمير المؤمنين ، اكفف عني هذا الذي ليس له أصل فاحتفره ، ولا فرع فأهتِصره . فقال له الوليد : اجتنبِه يا شقران ، فقد أبلغ إليك في الشتيمة ، فَقَصر شُقران صاغراً .

وبعد ، فيلاحُظ أنّ غرض الفخر عند شعراء القبائل اليمانية الشامية كان أكثره فَخراً قبلياً ، بسبب استعار العصبيات القبلية في العصر الأمويّ ، ووقوع حروب بين اليمانية والقيسية ، فافتخر شُعراء اليمانية ببطولة قبائلهم وَسطوتها وعزها ، وإيقاعها الهزائم

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٠ : ٣٩٧ . وانظر : تاريخ مدينة دمشق (مُصورة الجامعة الأردنية) ٣ : ٢٥١ .
(٢) الصَرد : المَقرور .
(٣) انظر : ترجمته في : الأغاني ٢ : ٢٢٧ .
(٤) الأغاني ٢ : ٢٦٦ ، ٢٧١ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصورة الجامعة الأردنية) ٨ : ٤٧ . وانظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٢٨ .
(٥) المُرتجز : ما تسمع له صوتاً مُتتابعاً . والبكارة : جمع بكرة ، وهي الفتيةَ من الأبل .
(٦) ترمّز : تتحرك . والعنافق : جمع عنفقة ، وهي الشعرات التي بين الذّقن وطرف الشفة السفلى . والسّبال : الدائرة التي تكون في وسط الشفة العليا .

بخصومها ، وتأييدها بني أُميَّة ، وخلطوا ذلك بالتشفي بقتلى خُصومهم ، وأكثرَ الشعراء من الحديث عن معركة مرج راهط ، فذكروها بكثير من الزهو والافتخار ، حتى إنَّ بعضهم افتخر على الأمويِّين أنفسهم ، لنُصرة اليمانية لهم في تلك المعركة . كما افتخر بعضهم ـ وبخاصة شعراء قبيلة كلب ـ بالأيام التي وقعت بينهم وبين قيس عقب مرج راهط . ورأينا أن بعض شواعر كلب شاركت في الفخر بقبيلتها وتَسجيل انتصارها على قيس في يوم دُهمان .

وافتخر شعراء اليمانية أيضاً بقتل الوليد بن يزيد ؛ لأنه تعصَّبَ عليهم وقتل زعيمهَم خالد القَسريّ . وعبَّروا عن اعتزازهم بنسبهَم وتمسكهم به . وأشاد بعضُ شُعراء طَيِّء بمنع قبيلتهم الصَّدقة في أواخر العصر الأُمويّ .

وتأثرت قصيدة عِمرانَ بن هلباء اللاميَّة بالسياسة ، فافتخر بقضاء يمانية الشام على زعيمين يمانيين عراقيَّين هُما : عبد الرحمن بن الأشعث ، ويزيد بن المُهلب ، بسبب ثَورتهما على الأمويين ، وتأثيرهما بذلك على مصالح يمانية الشام (١) . ولم يتأثَّر الفخر القبلي عند هؤلاء الشّعراء بالمعاني الإسلاميَّة إلا ما كان من فخر النُّعمان بن بشير بنُصرة قومه للرسول عليه السّلام .

ويستفاد من مواكبة شعر الفخر للأَحداث السّياسية والفِتن القبليَّة في العصر الأُمويّ أنّ قبائل اليمن الشاميّة كانت أكبر أنصار الأمويّين في معركة مرج راهط ، فثبتّت مُلكهم بعد أنْ أشرف على الزوال ، كما كانت أكبر أعوان يزيد بن الوليد في ثورته على الوليد بن يزيد .

أما فخرهم الشّخصي ، فلاحظنا أنه قليل في مجمله ، وفيه افتخر الشعراء بكرمهم ، وصبرهم وحلمهم ، وشرف أنسابهم ، ورئاستهم قبائلهم ، وبرز لدى بعض مواليهم موضوع جديد هو الفخر بقوة المَلكة الشعرية . ولم يخرج الشعراء في فخرهم عن معاني الجاهليّين ، إلا ما كان من بيهس بن صهيب الذي فَخَر بكرمه وصرح بأنّه يفعلُ ذلك خَشية العار ، وخوفاً من عِقاب الله تعالى .

---

(١) وانظر أيضاً : أنساب الأشراف (مُصورة الجامعة الأردنية) المُجلد الثاني ص : ٢١٥ ، وأنساب الأشراف ٥ : ١٥٨ ـ ١٥٩ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٧٨ .

رابعاً : الهجاء

الهجاءُ والفخر من أكثر الأغراض الشّعرية ارتباطاً بالعصبيّة الأعرابية والرّوح القبليّة ، فالهجاء صدى لشعور العداء المستحكم في نفوس شُعراء القبائل المتعادية وفرسانها ، والفخرُ صدى لاعتزاز شعراء القبيلة وفرسانها بقبيلتهم ، وكانت المُناقضات القبليّة تدور على هذين الغَرضين (١) .

ونشأ الهجاء قديماً مع الفخر ، وكانت معانيه تقوم على الرّذائل الفَردية والاجتماعية ، كالجبن والبُخل والفرار من المعركة ، وضعةِ الأنساب والأحساب ، وغلبَ عليه في الجاهلية الاعتدال والبراءة من الفُحش والإقْذاع (٢) .

وتنوّعت موضوعات الهجاء عند شعراء القبائل اليمانية الشاميّة في العصر الأموي ، فنظموا شِعراً في الهجاء القبليّ ، والهجاء الشّخصي .

١ـ الهجاء السياسي :

ناصرَ شعراءُ القبائل اليمانيّة الشّامية بني أميّة ، ووقفوا إلى جانبهم ، فهجوا خصومهم ، وسخروا من آرائهم وبعض معتقداتهم ، فقد سخر حكيمُ بن عيّاش الكلبيّ من اعتقاد الشّيعة في مهديّهم ، فقال حينَ قُتل زيدُ بن علي بن الحُسين ، وكانَ ثارَ على الأمويين ، فأرسلَ اليه هشام ابن عبد الملك يوسفَ بن عمر الثّقفي ، ليُحاربه ، فانهزم أصحابُ زيْد ، فقاتل حتى قُتل ، وكان ظهوره سنة إحدى وعشرين ومائة للهجرة (٣) :

صَلَبنا لكم زيداً على جذع نَخلةٍ ... ولمْ نرَ مهدياً على الجذع يُصلب (٤)
وقِستم بِعُثمان عليّاً سفاهةً ... وعُثمانُ خيرٌ من عليّ وأطيب

---

(١) العصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأموي ص : ٥٤١ .
(٢) تاريخ النقائض في الشعر العربي ص : ٤٣ ـ ٤٤ .
(٣) تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنية) ٥ : ١٣٥ ، وغُرر الخصائص الواضحة ص : ٤٠٥ ، وانظر : معجم الأدباء ١٠ : ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ٢٤٠ . والاصابة ٢ : ٢١٤ .
(٤) البيت في : الكامل في اللغة والأدب ٣ : ١٣١٧ دون عزو .

فهو يتهكّم على الشّيعة ، ويسخرُ من مُعتقداتهم ، ويؤيّد الأمويين في تفضيل عثمان بن عفان على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما .

ولم يسلم بعضُ خلفاء بني أميّة وأمرائهم من هجاء شعراء اليمانيّة ، فحينما هجا الأخطلُ الأنصارَ (١) بطلبٍ من يزيد بن معاوية ، غَضبَ الأنصار غضباً شديداً لأنّهم علموا أنّ الأخطلَ ما كانَ ليجرؤ على هجائهم لولا موافقةُ معاوية على ذلك (٢) . فنَظمَ النعمان بن بشير الأنصاري قصيدةً طويلة سلك فيها مسلك التّهديد والوعيد ، يقول فيها (٣) :

معاويَ إلاّ تُعطنا الحق تعترف ... لِحى الأزْدَ مشدوداً عليها العَمائمُ
أيشتُمنا عبدُ الأراقم ضلّةً ... وما الذي يُجدي عليك الأراقم ؟ (٤)
متى تَلقَ منّا عُصبةً خزرجيّة ... أو الأوسَ يوماً تخترمْك المخارم (٥)

ثمّ يقول :

فإنْ كنتَ لم تشهد ببدرٍ وقيعةً ... أذلّت قُريشاً والأنوفُ رَواغم
فَسائلْ بنا حيّي لُؤيّ بن غالبٍ ... وأنتَ بما تُخفي من الأمر عالمُ

ويُجاوز النّعمان هذا القدرَ من الثّورة غضباً لقومه الأنصار ، فيُقرر أن الخلافة ليست حقاً للأمويين ، بل هي من حقّ الهاشميين الذين سيَصيرُ الأمر إليهم بعد شتاته إذْ يقول :

فلا تَشتُمنّا يا ابن حرب فإنّما ... ترقّى إلى تلك الأمور الأشائم
فما أنت والأمْر الذي لست أهْله ... ولكن وليّ الحق والأمر هاشِم
إليهم يصيرُ الأمر بعد شتاتِه ... فَمن لك بالأمر الذي هو لازم

(١) انظر : شعر الأخطل ص : ٣١٤ .
(٢) نقائض جرير والأخطل ص : ١٥٨ . وانظر : طبقات فحول الشعراء ١ : ٤٦٣ ، والأخبار الموفقيّات ص : ٢٢٨ ، والأغاني ١٥ : ٨٣ ، ١٦ : ٨ .
(٣) شعر النعمان بن بشير الأنصاري ص : ١٥٠ - ١٥٨ . ولهذه القصيدة مقدّمة طويلة أخلّ بها جامع شعر النعمان بن بشير الأنصاري . انظر : الإكليل ٢ : ٢٠٤ ، وثمّة قصيدة قريبة في أسلوبها ومعانيها من قصيدة النّعمان هذه ، قالها أحد اليمانيّة في تهديد معاوية إثر مفاخرة الضحّاك بن المنذر الحِميريّ له . انظر : الإكليل ٢ : ٢٠١ .
(٤) الأراقم : أحياء من تَغلب . وعبد الأراقم : المقصود به الأخطل .
(٥) المخارم : المهالك .

فالهجاء عند النّعمان هجاءٌ سياسيٌّ يتّخذ الوَعيد والتهديد ، والتلويحَ بالثورة وإشهار السلاح تارةً ، والتذكيرَ بالكفر ومحاربة دين اللّه تارةً أخرى . وقد يكون سياسةً محضة بإثبات حقّ الخلافة لغير بني أميّة تارةً ثالثة (١) .

وهجا رجلٌ من تنوخ يزيدَ بنَ مُعاوية بن أبي سفيان ، لمّا همّ بالحج وإتيان اليمن ، ورَماه بالعبث واللّهو وملاعبة القرود ، واتّهم أصحابه وبطانته بالانحراف والفَساد فقال (٢):

يزيدُ صديقُ القِرد ملٌّ جِوارنَا ... فحنّ إلى أرضِ القــرود يزيدُ
فتباً لِمَنْ أمسى علينا خليفةً ... صَحابتُه الأدنـــون منه قــرود

وهلكَ يزيدُ بن معاوية بحوارين من أرض دمشق سنة أربع وستّين للهجرة ، فقال رجلٌ من عُذْرة (٣) :

يــا أيّهــا القــبر بِحُوارينــا ... ضَـممْت شرّ النّـاس أجمعينا

وقال جوّاس بنُ القَعْطل الكلبيّ يهجو عبْد العزيز بن مروان بن الحَكم ، من أبيــات افتخر فيها بنفسه ، وذلك أنّه رأى منه جفوة له وتقْديماً للحراق بن حُصين أحد بني نوفل بن عديّ بن جَناب (٤) :

ألا بئسَ امرؤٌ من ضَرب حِصنٍ ... أضاع قَرابتي وحبَا الحراقا (٥)

وقدم خِرْقة بن نباتة الكلبي (٦) على حرب بن خالد بن يزيد بن معــاوية دمشــق ، فجفــاه حَرْب فقال (٧) :

كأنّي ونِضوي عند حربِ بن خالدٍ ... من الجوع ذِئبا قفرة عَلزانِ (٨)
وباتتْ علينا جَفوةٌ ما نُحبّها ... وبِتنا نُقاسي ليلةً كَثمان

---

(١) انظر : شعر النعمان بن بشير الأنصاري ص : ٦١ ، ١٤٤ - ١٤٦ ، ١٤٧ .
(٢) أنساب الأشراف ٤ : القسم الأول ص : ٢٨٧ - ٢٨٨ .
(٣) مروج الذهب ٣ : ٢٤٧ .
(٤) أنساب الأشراف ٥ : ١٤٢ - ١٤٣ .
(٥) يُقال : في بني فُلان ضرْب نساءٍ من فلان ، وأمّ عبد العزيز بن مروان كلْبية من بني حِصن .
(٦) هو خِرقة بن نَباتةَ بنِ الزند - ويقالِ : الزّيـد - بن عمرو بن عبد مَناة الكلبي . وهو خِرقة بن شِعاث - ويقال : شِغاث . وشِعاث أمّه وبها يُعرف . انظر : تاريخ مدينة دمشق (مصورة الجامعة الأردنية) ٥ : ٢٩٦ ، ومعجم الأدباء ١١ : ٥٦ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ١٢٨ .
(٧) تاريخ مدينة دمشق (مصورة الجامعة الأردنية) ٥ : ٢٩٦ . وانظر : معجم الأدباء ١١ : ٥٦ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ١٢٨ .
(٨) عَلزان : العلز : شبه رِعدة تأخذ الحَريص على الشيء ، فلا يستقرّ في مكانه من القلق .

فالشاعر لا يُصرّح بهجاء حَرب ، وإنّما يصفُ فِعلَ الجوع به ، وبراحلته عنده ، يشبّهُ نفسه وراحلتـه بذئْبين ، مكتـفياً بما تعكْس هذه الصورةُ على حرب بن خالد من معاني الهجاء (١) .

وَنظَم شاعرٌ بُحتريّ من طيّ بيتين بيّن فيهما لَهوَ سعيد بنِ هشام بن عبد الملك وتعرّضه للنـساء . وقال منصورُ بنُ جُمهور الكـلبي (٢) يَهجو بني مروان بن الحَكم ، ويحمِّس اليمانيّة ، ويحثّها عـلى تقويض حكـم الأمـويـين ، متّهماً لهـم بالطّغيان والجَور ، وواصـفاً خُلفاءَهم المُتأخرين بأنهم غِلمان ، ومندّداً بسياستهم وفتكهم برؤساء اليمانية ، وتقريبهم للمُضرية (٣) :

يا قوم لا تُغلبوا عن رأيكم فلقد	جرّبتُم الغَدرَ من أولاد مَروانا
ما زال مُذ قَتَلوا عمْرا بغَدرهمُ	يُدعونَ غدْراً بعهد الله كيسانا (٤)
حتّى استبَاحوا سنامَ الأرض مملكةً	قَسْراً فولّوا أمورَ النّاس ولدانا
ووحَّشوا بكتاب الله واتّخذوا	هَواهمُ في معاصي الله قُربانا
ألا ترى مُضَراً أضحت تُثير معاً	حرباً وضرباً شتات الأمر وجْدانا
يُقطّعونَ بنا أعنـاق سـادتِنا	ويُغلقون بنا أبـواب دُنـيـانا

(١) انظر : أنساب الأشراف (مُصورّة الجامعة الأردنية) المجلّد الثاني ص : ٢٥٢ .

(٢) هوَ منصور بن جمهور بن حِصن بن عمرو بن خالد بن حارثة بن العبيد بن عامر بن عوف الكلبيّ ، من أهل المزّة من قُرى دمشق ، كانَ أعرابيّاً جافياً غيلانياً ، خرج مع يزيد بن الوليد علي ابن عمّـه الوليـد ابن يزيد ، لرأيه في الغيلانيّة وحِمية لقتْل خالد القسريّ ، وولي العراق ليزيد بن الوليد ثمّ عزله عنها ، فلحق بالشّراة أصحاب الضحّاك بن قيْس الشيبانيّ ، بعد أن حاربهم بواسِط وقتلَ بعضَ قادتهم ، فَبايعهمِ وانضمّ إليهم ، وبعد مقتل الضحّاكِ بن قيسٍ خلعَ منصور مروانَ بن محمّد ، وسار الى السّند فغلبَ عليها إلى أنْ هـزمه موسى بن كعب الذي وجّهه إليه أبو العبّاس السّفاح ، فماتَ عطَشاً في الرمال بمفازة بين السّند وسجستان سنة (١٣٤ هـ) . انظر : أنساب الأشراف ٢ : ٦٥ ، وتاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٧٠ ، ٢٨٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٥٢ ، ٤٦٤ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٤٥٨ ، وتاريخ مدينة دمشق (مصورّة الجامعة الأردنية) ١٧ : ١٠٨ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥١٩ .

(٣) أنساب الأشراف (مصورّة الجامعة الأردنية) المجلّد الثاني ص : ٣٠١ ، والوليد بن يزيد ، عرض ونقـد ص : ٤٣٦ - ٤٣٧ .

(٤) عمرو : لعلّه عمرو بنُ سعيد بن العاص الذي قتله عبدُ الملك بن مروان .

وهجا عطيّةُ الكلبي - وكان مولى لثابتِ بن نُعيم الجُذاميّ - مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ، واتّهمه بأكل مالِ الله ظُلماً ، في قصيدة خاطبَ فيها ثابتَ بن نُعيم وحرّضه واليمانيّة على الثّورة (١).

وقال مَعْدانُ بن عُبَيد الطائيّ (٢) يهجو مروانَ بن محمد (٣) :

ألا مَنْ مُبلغٌ مروانَ عنّي ... على ما كان مِن بُعدِ المَزارِ
ألم ترَ للخلافة كيف ضاعت ... لأن صارت لأبناءِ السّراري

وكانت أمُّ مروانَ بنِ محمد أمةً ، فهجاه الشاعرُ بها ، وصدر في هجائه له عن اعتقاد الأمويين بأنّ سُلطانَهم يضيعُ في عهدِ خليفة أمّه غير عربيّة ، فكانوا لا يعهدون إلى أبناء الإماء منهم (٤) .

وبذلك نَرى أنّ أسبابَ هجائهم للخلفاء تعودُ إلى مُحاولة مُعاوية الغضّ من شأن الأنصار ، وسوء سلوك يزيدَ بن معاوية وفسادِ بطانته ، وجَوْر بعض بني مروان بن الحكم وطُغيانهم وفَتْكهم برؤساء اليمانيّة ، وأنّ هجاءَهم للأمراء كان بسبب جفائهم لبعض الشّعراء وتقريبهم لغيْرهم .

٢ - الهـجاء القَبليّ :

أوّل ما يطالعنا من هذا اللّون من الهجاء بيْتان للنّعمان بن بشير الأنصاري ، يردّ فيهما على الأخطل التّغلبي ، حين هجا الأنْصار بقوله (٥) :

ذهبتْ قريشٌ بالمكارم والعُلى ... واللّؤمُ تحتَ عمائم الأنصارِ

ويبالغ في هجاء التغلبيّين وإلصاق اللّؤم بهم ، حتّى جَعله علامةً مميّزة لهم ، واضحة فيهم كالرّقم في ذراع الحِمار يقول (٦) :

---

(١) انظر القصيدة في : كتاب الوحشيّات ص : ٢٠ - ٢١ ، وسترد في الدّراسة الفنيّة في الفصل الرابع من هذه الدراسة .

(٢) هو مَعدانُ بن عُبيد بن الجري بن عبد الله بن خيبري بن أفلت الطّائيّ .
انظر : أنساب الأشراف (مصورّة الجامعة الأردنية) المجلد الثاني ص : ٣٥٥ .

(٣) أنساب الأشراف (مصورة الجامعة الأردنية) المجلّد الثاني ص : ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٤) الأمويّون والخلافة ص : ٤٤ .

(٥) شعر الأخطل ص : ٣١ .

(٦) شعر النّعمان بن بشير الأنْصاري ص : ١٤٩ .

أبلغْ قبائلَ تَغلبَ ابنةِ وائلٍ ... من بالفُرات وجانبِ الثّرثارِ (١)
فاللّؤمُ بين أنوفِ تغْلبَ بيّنٌ ... كالرّقم فوقَ ذِراع كلّ حمار

ولّما احتدمَ الصّراعُ بين شعراء اليمانيّة والقيسيّة في معركة مرجْ راهط وفيما تلاها من وقائع بينَ قيسْ وكلب ، وفي العصبيّة القبليّة بين مُضر واليمن ، وقَعَت مُناقضاتٌ شِعرية بين شعراء الطّرفين ، أشهرها مُناقضةٌ سنوردها بعد قليل ، بين جَواس بن القَعْطل وعمرو بنِ مخلاة الكلبيّين من جهة ، وزُفر بن الحارث الكلاّبي من جهةٍ ثانية .

والنّقائض فنٌ جاهليّ ، نشأ مع النّهضة الشّعرية ساذجاً ، ثمّ تطور فيما بعد ، مُعتمداً على فنّي الفخر والهجاء (٢) ، وأخذ مساحةً متميّزة في شعر الحرب ، لأنّه يقوم على دفع الحجّة وتأكيد الحقّ ونقض الدليل (٣). فعندما انتصرَ مروان بنُ الحكم واليمانيّة في مرج راهط ، وانهزم زُفر بن الحارث الكلاّبيّ أحد قُوّاد الضّحاك بن قيس الفِهري إلى قِرقيسيا (٤) ، وأخذ يتفجّع على هزيمة قيس ، ويتوعّد كلباً وغيرها من قبائل اليمن ، ويعتذرُ عن فراره من المعركة ، في قصيدة مَطلعها (٥) :

لعمري لقد أبْقت وقيعةُ راهطٍ ... لمروانَ صَدْعاً بيننا مُتَنائيا

يقول فيها :

أريني سِلاحي لا أبالكِ إنّني ... أرى الحربَ لا تزداد إلاّ تماديا
أيذهبُ يومٌ واحدٌ إنْ أسأتُه ... بصالح أيّامي وحُسن بلائيا

بلغت قصيدتُه هذه أسماعَ اليمانيّة ، فبادر شُعرؤاها إلى نَقضِها ، ومنهم جوّاسُ بنُ القعطل ، الذي أجابَ زُفر بن الحارث بِنقيضةٍ أظهر فيها شماتتَه بهزيمة قيس يوم المرج ، وهجا زُفر

---

(١) الثرثار : نهرٌ بالعراق ، والرّقم : الكتابة والخطّ .
(٢) تاريخ النّقائض في الشّعر العربي ص : ٥٢ .
(٣) د. نوري حمّودي القيسي : شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري ص : ٢٠٦ .
(٤) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٢٦٠ ، وأنساب الأشراف ٥ : ١٤١ .
(٥) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٢٦٠ . وانظر : كتاب الوحشيّات ص : ٥٠ ، وأنساب الأشراف ٥ : ١٤١ ، ومروج الذّهب ٣ : ٢٨٧ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٦٨ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٥٢ ، وشرح نهج البلاغة ٦ : ١٦٤ .

وقومَه ، ثمّ فخر بقبيلته كلب (١) ، يقول (٢) :

لعُمري لقد أبقت وقيعةُ راهطٍ على زُفَرٍ داءً من الدّاء باقيا
مُقيماً ثوى بينَ الضّلوعِ محلّه وبين الحشا أعيا الطّبيبَ المُداويا
يُبكيّ على قتلى سُليم ٍ وعامرٍ وذُبيانَ معذوراً ويُبكي البَواكيا
دعا بسلاحٍ ثمّ أحجم إذْ رأى سُيوفَ جنابٍ والطّوال المَذاكيا (٣)
عليها كأسدِ الغارب فتيانُ نجدةٍ إذا أشرعوا نحوَ الكُماةِ العَواليا

وتبدو الرّوح القبليّة الجاهلية واضحةً في هذه النّقيضة ، وذلك أنّ كلباً يمانيّة وقيْساً نِزاريّة ، كما تبدو التّقاليد الجاهليّة في نقض المعنى ، إذ أفسد جوّاس بن القعْطل ما قاله زُفَرُ في البيت الأول من قصيدته ، وفسّره لصالحه في البيت الثاني ، وكذّبه ، ووصفه بالجبْن ، لأنـه دعا بسلاحه ثمّ أحجمَ لّما رأى سيوفَ الكلبيّين ورِماحهم مُشرعةً . وأمّا من حيثُ الشّكل ، فإنّ النّقيضتين تتفقان وزناً وقافيةً .

وقد يتغيّر شكل النقيضة ، فتأتي مخالفةً من حيث القافية إلاّ أنّ المعاني التي تدور عليها المناقضةُ تظـلُّ باقيةً ، ويُلزم الشاعر نفسه بالردّ عليها هجاءً لّما صَنَعه الشاعر الأول ، أو إضعافاً لشأنه (٤) ، كقول عَمْرو بن مخلاة الكلبـيّ ، يردُّ على زُفر بن الحـــارث لما قال قصـيدته اليائيّة التي أوردنا أبياتا منها قبل قليل (٥) :

بكى زُفَرُ القيسيّ من هُلكِ قومهِ بِعبرةِ عيْنٍ ما يجفُّ سُجومها
يُبكّي على قَتلى أُصيبت براهطٍ تُجاوبُه هامُ القِفـــار وبومُها

---

(١) العصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأموي ص : ٤٣٤ . وانظر : أدب السّياسة في العصر الأمويّ ص : ١٥٩ ، ورحلة الشعر من الأمويّة الى العبّاسيّة ص : ٣٣ .

(٢) نقائض جرير والأخطل ص ٢٥ : ٢٦ وانظر : تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٤٢ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٥٢ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٢١ : ٩٣ . وانظر أبياتاً منها في أنساب الأشراف ٥ : ١٤٢ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٦٨ ، والمؤتلف والمختلف ص : ٩٩ . والبيت الأول في الحيوان ٣ : ٤٢٢ دون عزو . ونسب بيتان منها الى عمرو بن مخلاة الكلبي في : الأغاني ١٩ : ١٤١ .

(٣) المَذاكي : الخيل التي تمّ سنّها وكملت قوّتها .

(٤) شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري ص : ٢٠٦ .

(٥) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٤٣ ، وانظر : الكامل في التاريخ ٤ : ١٥٣ .

أبْحنا حِمى للحيّ قيْس براهِطٍ ... وولّت شِلالاً واستُبيحَ حَريمها
يُبكيهِمُ حرّانَ تجري دُموعُه ... يُرجّي نِزاراً أنْ تثوبَ حُلومُها
فمُتْ كَمَداً أو عِشْ ذَليلاً مُهضّماً ... بحسْرةِ نفْسٍ لا تنامُ هُمومها
إذا خَطَرتْ حَولي قُضاعة بالقَنا ... تخبّطُ فِعْلَ المُصعباتِ قُرومُها (١)
خبطتُ بهم من كادَني من قبيلةٍ ... فَمنْ ذا إذا عزَّ الخُطوبُ يَرومُها

فهو يردُّ عليه ردّاً قبلياً خالصاً في السّخرية والتّهكم من أعداء قبيلته ، ويعتزّ ببطولة قومه وشدّةِ نِكايتهم في خُصومهم ، ويتعصّب لقبيلته ويستشعر الحِماية في ظلّها ، فهي التي تحميه وتُدافعُ عنه ضدّ من يكيدونَ له ، وما على غير هذه المعاني قامت العصبيّة القبليّة في العصر الجاهلي (٢).

وبعد أنْ شنّت قيس غاراتِها الانتقامية على كلْب البادية ، وتوالت الوقائعُ بينهما ، اتّصلت المُناقضاتُ والأهاجي بين الطرفين ، فنقضَ عُميرُ بنُ الحُباب السُّلمي بعد أنْ أصاب كلباً بالسّماوة أبياتَ هِند الجُلاحيّة التي نظَمتْها في رثاء قتلى قومها ، بأبياتٍ من ذات الوزن والقافية (٤) ، فنَقَضها عليه يحيى بن مُعاذ الكلْبي (٥) ، وعُميرةُ بنت حسّان الكلبيّة ، وأخوها مُنذرُ بن حسّان ابن الطُّرامة الكلبيّ الذي قال في هزيمة عُمير بن الحباب في بني سُليم وغيرهم من قيس يوم دُهمان (٦) :

(١) المُصعب : الفَحل من الإبل الذي يُترك فلا يُركب ، ولا يمسّه حبْل ، فيصير صَعباً .
(٢) اتّجاهات الشّعر في العصر الأمويّ ص : ٢٥٦ .
(٣) انظر : الأغاني ٢٣ : ١٨٧ .
(٤) انظر : نفسه ٢٣ : ١٨٧ .
(٥) انظر : الحماسة الشجرية ١ : ١٧١ . وسترد أبياته في الدّراسة الفنيّة في الفصل الرابع من هذه الدّراسة .
(٦) الأغاني ٢٣ : ١٩٠ . وانظر بعض هذه الأبيات في : أنساب الأشراف ٥ : ١٤٨ ، ومعجم الشعراء ص : ٢٧٠ . و نُسبت بعض أبياتها إلى عُميرة بنت حسّان أخت الشاعر ، وقد أنشدناها في حديثنا عن الفخر القبليّ .

وبادية الجَواعـــرِ من نُمـــيرٍ تُنادي وهي سافرة النِّقابِ (١)
تُنادي بالجَزيرة يا لِقيـــسٍ وقيسٌ بئس فتيانُ الضِّراب
قتْلنا منهـــمُ مائتَـــينِ صـبراً وألفا بالتِّـــلاع وبالرَّوابـــي
وأفلتنا هَجينُ بـــني سُـــليمٍ يُفدِّي المُهــرَ من حُبِّ الإيـــاب
فلولا اللّه والمُهـــر المُفـــدّى لغودِرَ وهو غِربالُ الإهاب (٢)

فالشاعر يهجو قيْساً بالجُبن والقعود عن نُصرة قومهم ، ويفخرُ بإصابة قومه فُرسان قيس ، ويُسجِّل على عُمير بن الحُباب عارَ الفرار من المعركة فيقول : إنّه ما كان لينجو لولا فراره على مُهر سريع . ويلاحظ أنّ هذه الأبيات أيضاً تتحدّث عن معانٍ جاهليّة بأسلوب جاهليّ ، ولن نُخْدع باسم الجلالة الوارد في البيت الأخير ، لأنّه كثيراً ما تردّدَ في أشعار الجاهليّين (٣).

وحينما أصابَ حُميد بنُ حُريث الكلبيّ فَزارة - من قيس - شكَت إلى عبد الملك بن مروان فِعلَ حُميد بها ، فاقتطعَ ديات قتلاها من أعطيات قُضاعة وحِمْير الذين كانوا بالشام (٤) فقال عمروُ بنُ مخلاة الكلبيّ من قصيدة يُعيِّرُ فيها بني ذُبيان خاصّة قبولهم ديات قَتلاهم (٥) :

خُـــذوها يا بني ذُبيان عَقـــلاً على الأجياد واعتقِدوا الخِداما (٦)
دراهـــمَ مـــن بني مـــروان بيضـــاً يُنجمهـــا لكـــم عـــامـــاً فعـــاما

فردّ عليه عُويفُ القوافي بنُ معاوية بأبيات نقض فيها قصيدته هذه (٧) .

---

(١) الجَواعر : جمع جاعِرة وهي : حرف الورك المشرف على الفَخذ .
(٢) البيـــت في : الأشباه والنّظائر ٢ : ٢١٦ دون عزو ، وفي : لسان العرب : مادّة : غَربْل . وغربال الإهاب : كناية عن تمزيقه بدنَه وقتله .
(٣) اتّجاهات الشعر في العصر الأمويّ ص : ٢٥٤ .
(٤) أنساب الأشراف ٥ : ٣١٠ ، والأغاني ١٩ : ١٤٧ - ١٤٨ .
(٥) الأغاني ١٩ : ١٤٨ ١٤٩ . وانظر القصيدة كاملة في : تاريخ مدينة دمشق (مصـــوّرة الجامعة الأردنية) ١٣ : ٣٠٢ ، وانظر بيتين منها في : أنساب الأشراف ٥ : ٣١٠ .
(٦) الخِدام : جمعُ خدَمة ومن معانيها : الخُلخال . ورواية أنســـاب الأشـــراف وتاريـــخ مـــدينة دمشـــق : « واعتقدوا الخِزاما » ، ولعلّها أقرب إلى قصد الشاعر ؛ لأن الخِزام : حَلَقة تُجعل في أحد منخزي البعير ، ويُكنى بها عن الإبل .
(٧) انظر : أنساب الأشراف ٥ : ٣١٠ .

ويدلُّ صَنيعُ عبد الملك هذا على إدراكه أن استمرار العَداء بين قبائل الشّام لم يَعد في صالح الدّولة ، بعد أن توطّدت أركانها . ومن أجل ذلك نجده يحرصُ على إطفاء نار الفتنة بين كلب وقَيْس ، ويتدخّلُ للإصلاح ، ولا يتردّد في دفع اثنين من أشراف فَزارة هُما : سعيد بنُ عيينة وحَلحلةُ بنُ قيس الى الكلبيّين ليقيدوا منهما ، لأنهما أشعلا نارَ الفتنة بين الحيّين ، فأصابا بُطوناً من كلب على ماءٍ يُقال له : بنات قَيْن ، بعد أنْ حُقنت الدّماء ، وتمّ الصّلح وقُبضت الدّيات (١) . ونجده يسجُن في مُناسبة أخرى عدداً من وجوه اليمانيّة وذوي الأخطار منهم ، بسبب مقتل غُلامٍ من قيس عَقِب مرج راهط (٢) .

ووقعت مُناقضةٌ قصيرة بين حكيم بن عيّاش الكلبيّ والكُميت بن زيد الأسدي ، فقد كان حكيم بنُ عيّاش مُتعّصباً لليمن ، يهجو مُضَر ويهجو عليّ بن أبي طالب وبني هاشم ، فكانت شعراء مُضر تُجيبه وتهجوه . وكان الكُميت بن زيد يرقب هذه المعركة ، ولكنه لا يخوضُ فيها خوفاً من بطش خالد القسري أمير العراق لهشام بن عبد الملك ، إلاّ أنّ حياده لم يَطل ، فسرعان ما استثاره شُعراء المُضريّة بأن أسمعوه هجاء حكيم لنساء بني نزار ، فحميَ الكُميتُ لعشيرته ، وقال قصيدته المُذهبَة : « ألاَ حُيّيت عنّا يا مَدينا » وقيل : إنّها بلغت ثلاثمائة بيت ، لم يترك فيها حيّاً من أحياء اليمن إلاّ هجاهم .(٣) فأمر خالد القسري بحبسه .

وقد نقض حكيم بنُ عيّاش قصيدةَ الكُميت في قصيدة لم يصل إلينا منها سوى أبيات مُتفرّقة ، رمى فيها امرأة الكُميت بأهل الحَبس ، وذلك أنّها لبست ثيابَ زوجِها وأقامت في الحَبس مكانه في أثناء فراره ، يقول فيها (٤) :

فما وُجِدتْ بناتُ بني نِزارٍ حلائل أسودينَ وأحمرينا
سَقيناهم دِماءهُم فسالت فأبْررنا أليّةَ مُقسِمينا

وقال حكيم بن عيّاش الكلبيّ يهجو بني أسد (٥):

---

(١) انظر : أنساب الأشراف ٥ : ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، والأغاني ٩ : ١٤٧ - ١٥٠ والعصبية القبليّة وأثرها في الشعر الأموي ص : ٢٤٤ .

(٢) الأغاني ٢٢ : ١٣٤ .

(٣) نفسه ١٦ : ٣٣٤ ، ٣٥٦ ، وخزانة الأدب ١: ١٧٩ - ١٨٠ .

(٤) الأغاني ١٦ : ٣٤١ ، ولسان العرب : مادّة : بَررَ ، وخزانة الأدب ١ : ١٧٨ - ١٧٩ .

(٥) الأغاني ١٦ : ٣٥٧ ، وتاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنية) ٥ : ١٣٥ . وانظر : معجم الأدباء ١٠ : ٢٤٨ ، وخزانة الأدب ١ : ١٨١ وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ٤٢٦ . ونسب البيتان الى المُساور بن هند العبسي في : الشعر والشعراء ص : ٢١٦ ، وعيون الأخبار ٤ : ١٣ ، والأغاني ١٠ : ٣٢٤ ، وإلى يعيش الكلبي في : معجم الشعراء ص : ٥٠٥ والبيت الأول في : محاضرات الأدباء ١ : ٣٤٢ دون عزو .

ما سرّني أنّ أمّي من بني أسدٍ وأنَّ ربّي نجّاني من النّار
وأنّهم زوّجوني من بنَاتِهمُ وأنّ لي كلّ يومٍ ألفَ دينار

فأجابه الكُميت (١) :

يا كلبُ مالكَ أمٌ في بني أسدٍ معروفةٌ فاحترقْ يا كلبُ بالنّار
لكنّ أمّك من قومٍ شنِئْتَ بهم قد قنّعوك قناعَ الخِزي والعار

فابنُ عيّاش يرفض أن يكونَ من أهل الجنّة ، إذا كانَ دخولها يقتضي أن تكونَ أُمّه من بني أسد قوم الكُميت ، ويأبى أنْ يتقاضى ألفَ دينار كلّ يوم على أنْ يتزوّجَ أسديّة ، وهو يعلن بذلك ألاّ شيء يُغريه بالانتماء إلى قوم الكُميت أو الإصهار إليهم ، لا الربح الدُّنيويّ العاجل ، ولا الفوز بجنّة الخُلد في الآجل ، فينبري له الكُميت ، فينقُض قوله نقضاً منطَقيّاً ، إذْ ينفي الأسديّة عن أمّه ويدفعُ به إلى النار ، ثمّ يهجوه بأمّه ؛ لأنها من قوم ذوي خِسّة وضعة ، حتى أنّهم أكسبوا ابنها الخِزيَ والعار (٢) .

ويعكس هذا النّقض المنطقي لمحةً من تطوّر فنّ النّقائض في العصر الأمويّ إلاّ أنّ هذا الفنّ مع ذلك لم يبلغ من الدّقة والجودة والنّضج ما بلغه على يدي جرير والفرزدق والأخطل (٣).

وألصقَ حكيم بن عيّاش اللّؤمَ ببني أسد ، فجعله صفةً لازمة لهم مقترنة بهم كاقتران السّبت بالأحد ، في قوله (٤) :

لن يَبْرحَ اللّؤمُ هذا الحيَّ من أسدٍ حتّى يُفرِّق بين السّبت والأحدِ

وكان ابن ميّادة المُرّي عرّيضاً للشرّ طالباً مُهاجاة الشّعراء ومسّابة النّاس (٥) ، فهجا عدداً من الشّعراء (٦) منهم شُقران مولى بني سلامان . فقد روى أبو الفَرج الأصفهانيّ أنَّ ابن ميّادة

(١) شعر الكُميت بن زيد الأسدي ١ : ١٨٠ - ١٨١ .
(٢) تاريخ النّقائض في الشعر العربيّ ص : ١٩٥ ، ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ، والعصبيّة القبلية وأثرها في الشّعر الأموي ص : ٥١٤ ، واتجاهات الشعر في العصر الأموي ص : ٢٨٥ - ٢٦٨ .
(٣) اتّجاهات الشعر في العصر الأمويّ ص : ٢٨٦ .
(٤) الأغاني ١٦ : ٣٥٧ . وانظر : خزانة الأدب ١ : ١٨١ .
(٥) نفسه ٢ : ٢٢٨ .
(٦) د. حسين عطوان : الشعراء من مُخضرمي الدّولتين الأموية والعبّاسية ص : ٣٢٨ .

استأذَنَ على الوليد بن يزيد ذات يوم وعنده شُقران ، فأدخله الوليد في صُندوق ، وأذِنَ لابن ميّادة ، فلّما دَخَلَ أجلسه على الصّندوق واستنشده هِجاء شُقران ، فجعلَ ينشده ، ثمّ أمرَ بفتح الصُّندوق ، فخرج عليه شُقران ، وجعلَ يَهدرُ كالفَحْل ويقول (١):

سأكْعَمُ عن قُضاعة كلبَ قيْسٍ   على حَجَرٍ فيُنصت للكِعامِ (٢)

أسير أمامَ قيسٍ كلّ يومٍ   وما قيسٌ بسائرةٍ أمامي

وربّما كانَ الهدفُ من تَهاجي الشّاعرين التَسلية وقطع أوقات الفراغ وإضحاك الوليد بن يزيد ، ومُضاهاة شُعراء النَّقائض في العراق ومُحاكاتهم (٣) ، ولكنّ هجاء شُقْران لابن ميّادة اتخذَ طابعاً قبَلياً ، إذْ رأيناه يُشبِّهه بالكلب ويَهجو قيساً ويفخر عليها بقُضاعة .

ووقعتْ مُهاجاة بينَ ابن ميّادة أيضاً وبين سِنان بن جابر الجُهني (٤)، ولكننا لم نظْفر بشيءٍ من شعر سِنان في هجائه . ودارت أخرى بينه وبينَ عُبيد بن معْدان الطائي في أيام مروان بن محمّد ، بسبب امتناع طيِّء من أداء الصّدقة (٥) .

٣ - الهجاء الشخصي :

أبرزَ شُعراءُ القبائل الشّامية في هذا اللون من الهجاء مثالبَ مهجويّهم وضخّموها ، ودارَ هجاؤُهم على التّعييربالقَذارة وقلّة المروءَة وضعف الرأي وخمول الذّكر ووضاعة النّسب والفقر ، إلاّ أنّهم لم يفحِشوا فيه .

فمن الهجاء الشّخصي قولُ جُوّاس بن القَعطل الكلبي يهجو حسّان بنَ بَحْدل الكلبي سالكاً في هجائه له أسلوبَ التّصوير الساخر الذي يُظهر المَهجوَّ في أبشع صوره ، فيصفه بأنّه دَنسُ الثّياب ، قميءُ الهيئَة ، ناقصُ المروءة ، سيىءُ المنبت ، عاجز الرّأي (٦) :

(١) الأغاني ٢ : ٢٧٠ . وانظر : تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنية) ٨ : ٤٧ وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٢٨ . ويروى في : تاريخ مدينة دمشق : سأعكم» .
(٢) الكِعام : شيء يُجعل على فم البعير فَيشد . وقد يجعل علي فم الكلب أيضاً .
(٣) الشعراء من مخضرمي الدّولتين الأموية والعبّاسيّة ص : ٣٢٩ .
(٤) الأغاني : ٢ : ٢٧٦ .
(٥) انظر : أنساب الأشراف (مصوّرة الجامعة الأردنية) المجلد الثاني ص : ٣٥٨ .
(٦) الحيوان ٣ : ٥٠٩ . ووردت الأبيات في : الحيوان ٦ : ٣٦٩ دون عزو .

هل يَشتُمني لا أبا لكـــمُ   دَنِسُ الثّيابِ كطابخ القِدرِ
جُعَلٌ تمطّـــى في غَيابتِــه   زَمِرُ المُــروءةِ ناقصُ الشّــبرِ (١)
لزبابــــةٍ ســـوادءَ حَنظــلةٍ   ولعاجزُ التّدبير كالــوَبرِ (٢)

وواضح أنّ الشاعر يستمدُّ صور هجائه من مشاهد بيئته المحسوسة فيشبّه ثياب حسّان بثياب طابخ القِدر ، ويخلع عليه صوره الجُعل ويقرنها بصورة فأرةٍ سوداءَ بغيضة .

ومنه قولُ عمرو الزُّهيري من كلب يهجو حسّان بن مالك أيضاً ويرميه بالضعة وخمول الذِّكر ، وبأنّه لم ينل المجد والشهرة بأبيه مالك ، وإنّما نالهما بميسون بنت بحدل ، وابنها يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ولولاهما لما ارتقى المنابرَ وقضى بين النّاس ، وكان معاوية بن أبي سفيان وجّه رسولاً إلى بهدل بن حسّان بن عديّ بن جبلة الكلبي ، يخطبُ إليه ابنته ، فغلط الرسول ـ فيما يقال ـ فمضى الى بحدل بن أنيف الكلبيّ ، فخطب ابنته ميسون (٣) :

إذا ما انتمى حسّان يوماً فقلْ له :   بميسونَ نلتَ المجدَ لا بابنِ بحدلِ
ولولا ابنُ ميسون لما ظلْتَ عاملاً   تخمُّطُ أبناءَ الأكارم من عَلِ
وما كان يرجو مالكٌ أن يرى ابنَه   على مِنبرَ يقضي القضاءَ بفيْصَلِ
ألا بَهدلا كانوا أرادوا فَضُلّلت   إلي بحدلٍ نفسُ الرّسول المُضَلّلِ
فشتّان إنْ قايستَ بين ابن بَحدلٍ   وبين ابن ذي الشّرْط الأغرّ المحجّل

وكــان لعـــديّ بن جَبلة شرط في قومه ألاّ يدفنوا ميّتاً حتى يكون هو الذي يخطّ لــه موضعَ قــبره .

ومنــه أيضاً ما دار بين الشـــعراء ، فقد وقعــت مُهاجاة بين عديّ بن الرقاع العاملي

(١) زمر المروءة : قليلها . والشّبْر : القامة .
(٢) الزّبابة : الفأرة . والوَبر : دُويبـة على قدر السّنور ، تكون في الصحراء .
(٣) أنساب الأشراف ، القسم الأول ص : ١٤٩ .

والراعي النُّميري (١) وأخـرى لم تكتمل بينه وبين جَرير في بلاط الوليد بن عبد الملك (٢). واجتمع بباب عديّ عددٌ من الشعراء ليماتنوه فوجدوه غائباً، فسمعت ابنته ذَرواً من وَعيدهم فقالت (٣):

تجمّعتم من كلّ أوبٍ ووجهةٍ على واحدٍ لا زلتُمُ قِرنَ واحدِ

وربّما كانَ حَسَدُ هؤلاء الشعراء لعديّ، بسبب حظوته عند الأمويين، وبخاصة عنـد الوليد بن عبد الملك وراءَ هجائهم وتعرّضهم له.

وكانَ شُـقران مولى بني سلامان يَعيبُ ابن ميّادة ويحْسده على مكانه من الوليـد بن يـزيد (٤)، فاجتمعا يوماً عند الوليد، فقال ابنُ ميّادة: يا أمير المؤمنين، أتجمعُ بيني وبين هـذا العبد، وليس بمثلي في حَسبي ولا نَسبي، لا لِساني ولا مَنصبي ؟! . فقال شُقران يَفتخر بأصوله الروميـة والفارسيّة، ويصف ابنَ ميّادة بأنّه ابـن نَزوةٍ نزاها حقيرٌ فقيرٌ، فـجاءت بمولود ضعيف القوى (٥):

لَعمري لئن كُنتُ ابن شيخي عَشيرتي هرقل وكِسرى ما أراني مُقصرا
وما أتمنّى أن أكونَ ابنَ نَزوةٍ نزاها ابن أرض [لمْ يجدِ] (٦) متمهّرا
على حائلٍ تلوي الصّرار بكفّها فجاءت بخوّارٍ إذا عُضّ جَرجَرا (٧)

---

(١) انظر: ديوان عدي بن الرقّاع العاملي ص: ١٧٥.
(٢) انظر: نفسه ص: ٢٦٢.
(٣) الكامل في اللغة والأدب ١ : ٣٤٣، وانظر: الحيوان ٣ : ٦٤. وتاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنية) ١٩ : ٣١٣، مديـنة دمشق (تراجم النساء) ص: ٥٦٢، وتاريخ آداب اللغة العربية ١ : ٢٦٤، وأعلام النّساء ٢ : ٢٤٩.
(٤) الأغاني ٢ : ٢٦٦.
(٥) نفسه ٢ : ٢٧٠، وانظر: تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنية) ٨ : ٤٧، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٢٨.
(٦) في الأغاني: «لم تجد» والتصحيح من تاريخ مدينة دمشق.
(٧) الصّرار: خيط يُشدّ فوق خلف النّاقة لئلا يرضعها ولدها، وخوّار: ضعيف وجَرجَر: صوّت.

ولعلّ هجاءَ الأزواج هو أطرفُ موضوعات الهجاء الشّخصي عند هؤلاء الشّعراء ، وقد برزت فيه حُميدةُ بنتُ النّعمان بن بشير الأنصاريّ (١) ، إذ كانت امرأةً ذاتَ لسانٍ وعارضةٍ وشرٍّ ، تهجو أزواجها وتناقضُهم . وكانت في أوّلِ أمرها تحتَ خالدِ بنِ المهاجر بن خالد بن الوليد (٢) ، تزوّجها لما قدِم على عبد الملك بن مروان بدمشق . فنازعَها يوماً فقالت فيه :

كُهولُ دِمشقَ وشبّانُها ... أحبُّ إلينا من الجالية (٣)

صُنانٌ لهم كصُنان التّيو ... سِ أعيا على المِسْكِ والغالية (٤)

واضطرب الأخباريّون القُدامى في نِسبة هذه الأبيات اضطراباً بيّناً ، فَنسبَها المُصعب الزُّبيريّ (٥) إلى عَمْرة بنتِ النُّعمان بن بشير ، ونَسبَها البلاذُريّ إلى ابنةِ النّعمان بنِ بشير دون

---

(١) هي حُميدةُ بنت النّعمان بن بشير الانصاريّ ، شاعرة دِمشقية مُجيدة مُكثرة ، أصلها من المدينة . كانت ذات حُسن وجمال ، تزوّجها خالدُ بن المهاجر بن خالد بن الوليد بدمشق ، ثمّ طلّقها فتزوّجها روح بن زنباع الجُذاميّ ، ثم الفيضُ بن محمّد الثّقفي . وكانت ذات لسانٍ وعارضة وشرّ . فهجت أزواجها جَميعهم ، وتوفيّت بالشام في أواخر خلافة عبد الملك بن مروان . انظر : الأغاني ١٦ : ٢١ ، وجمهرة أنساب العرب ، ص : ٣٦٤ ، وسمط اللآليء ص : ١٧٩ ، ومعجم الأدباء ١١ : ١٨ ، ومُختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ٣٠٨ ، والأعلام ٢ : ٢٨٤ ، وشِعر النّعمان بن بشير الأنصاريّ ص : ١٣ .
وذكرت بعض المصادر أنّ اسمها هند ، والحق أنه ليسَ للنعمان بن بشير بنت اسمها هند ، وإنّما وقع ذلك بسبب الخلط بينها وبين هند بنت النّعمان بن المنذر اللّخمي . انظر : ابن قُتيبة : أدب الكاتب ص : ٤١ ، وأنساب الأشراف ٥ : ٢٠٣ ، والعقد الفريد ١ : ١٠٦ ، ٧ : ١٠٨ ، والبكريّ : التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ص : ٣١ ، ومحاضرات الأدباء ٣ : ٢١٠ ، وابن قيّم الجوزية ، أخبار النّساء ص : ٥٣ ، والسيّوطي : تُحفة المَجالس ونزهة المُجالِس ص : ٢٨٩ ، وأعيان النّساء ٥ : ٢٥٦ .

(٢) انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصورّة الجامعة الأردنيّة) ٥ : ٦٣٠ ، وسير أعلام النّبلاء ٤ : ٤١٥ . وانظر بعض أخباره في ترجمة أبيه المُهاجِر بن خالد في : الأغاني ٦ : ١٣٦ .

(٣) الجالية : هم بنو أميّة وأشياعهم الذين أجلاهم عبدُ الله بن الزّبير من الحجاز إلى الشام . وانظر : بلاغات النّساء ص : ٩٩ .

(٤) الغالية : نوع من الطيب .

(٥) نسب قُريش ص : ٣١٣ .

(٦) أنساب الأشراف ٥ : ٢٠٢ ٢٠٣ .

أن يُصرّح باسمها، تَهجو زوجَها خالد بنَ المهاجر، وأنشدها المرزوقيّ (١) دون أن يعزوها إلى قائلةٍ بعينها، وعزاها ابنُ عساكر (٢) إلى ليلى بنت هانيء الكِنديّة زوجِ النّعمان بن بشير، ولكنّه عاد فذكَرَ أنّها تُروى لِعَمرة أو لأختِها حُمَيدة.

ومن المرجّح أنّ الأبياتَ لحُميدة بنت النّعمان بن بشير، قالتها في زَوجها خالدِ بن المُهاجر ابن خالد (٣) في أثناء خلافة عبد الملك بن مروان (٤)، وليست لأختها عَمرة؛ لأن عَمرةَ قُتلت في السّنة الثانية لولاية عبد الملك بن مروان، قَتَلها مُصعب بن الزُّبير سنةَ سبعٍ وستين للهجرة، وكانت تحتَ المُختار بن أبي عُبيد الثّقفي (٥)، ولأنه لم يُرْوَ لعمرةَ شعرٌ غير هذه الأبيات، على الرّغم من أنّ ابنَ عساكر وصَفها بأنّها «امرأة شاعرة» (٦).

ولمّا طلّق خالدُ بن المهاجر حُميدة بنت النّعمان، تزوّجها روحُ بن زِنْباع الجُذاميّ (٧)، فَفركته وهَجته، وأفرزت هذه العلاقة بينهما نقائض طريفة في هجاء الأزواج منها: أنّه رآها ذاتَ يوم تنظر الى قومه جُذام، وقد اجتمعوا عنده، فلامَها، فقالت: ويحك، وهل أرى غير جُذام، فوالله، ما أحبُّ الحلال منهم فكيف بالحرام (٨)، وقالت تهجوه وقومه (٩):

بكى الخزُّ من رَوْحٍ وأنكر جِلدَه ... وعجّتْ عَجيجاً من جُذام المَطارِفُ (١٠)

---

(١) شرح ديوان الحماسة ٤ : ١٨٤٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق (مصورّة الجامعة الأردنية) ١٩ : ٢٤٥ . ٢٦٣ . وانظر: تاريخ مدينة دمشق (تراجم النساء) ص ٢٤٢، ٢٥٩، ٢٦٠.

(٣) بلاغات النّساء ص : ٩٨، والأغاني ٩ : ٢١٨، . وانظر: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ص : ١٧٤.

(٤) أنساب الأشراف ٥ : ٢٠٢، والأغاني ٩ : ٢١٨، ٢١٩.

(٥) نفسه ٥ : ٢٦٣.

(٦) تاريخ مدينة دمشق (مصورّة الجامعة الأردنية) ١٩ : ٢٤٥.

(٧) الأغاني ١٦ : ٢١ . وانظر: جمهرة أنساب العرب ص : ٣٦٤، وسمط اللآلىء ص : ١٨٠، والاقتضاب ٢ : ٢٩، ٣ : ٥٠، ومعجم الأدباء ١١ : ١٩.

(٨) بلاغات النّساء ص : ٩٥، ١٦٥ . وانظر: العقد الفريد ٧ : ١٠٨، وفيه أنها هند بنت النّعمان بن بشير، والأغاني ٩ : ٢٢٠، وأخبار النّساء ص : ٥٣، ومعجم الأدباء ١١ : ١٩.

(٩) نفسه ص : ٩٥ . وانظر: الأغاني ٩ : ٢٢٠، ١٦ : ٢١ - ٢٢، وسمط اللآلىء ص : ١٨٠، والاقتضاب ٢ : ٢٩، ٣ : ٤٩، ومعجم الأدباء ١١ : ١٩ - ٢٠.

(١٠) البيت في جمهرة أنساب العرب ص : ٣٦٤، والقُرطبيّ : بهجة المجالس وأُنس المُجالس ٢ : ٤٠، ونُسب البيت الى الفرزدق في : محاضرات الأدباء ٤ : ٣٩٦ . وهو في الزجاجي : الجُمل في النّحوص : ٢٢٥ دون عزو، وفي : الثعالبي : التمثيل والمُحاضرة ص : ٢٨٤ دون عزو أيضاً . والخز والمطارف : صنوف من الملبوس.

وقال العَبا : قد كنتُ حيناً لباسَهم وأكْسيةً كُرديَّةً وقَطائفُ

فقال يُجيبها (١) :

فإنْ تبكِ منّا تبكِ ممّنْ يُهينها وإنْ تَهوكُم تَهوَ اللئامَ المقارِفا (٢)

ويبدو أنّ حياةَ التّحضر والتّرف والتأنّقُ في ارتداء الملابس أوحت لحُميدةَ بمعنى هجائيّ مُعاكس لهذه الحياة ، فوصَفت زوْجها وقومه بالنّتن وخُبث الرّائحة ، حتى إنّ الخَزّ والمطَارف لتبكي منهم وتُنكرُ جُلودَهم ، فَنَقَضَ روح معناها هذا وعكسه قائلاً : إنّها تبكي منّا لأنّنا نُهينها ، وتعشقكم أيّها اللّئام ؛ لأنّكم تصونونَها وتتشبّثون بها شأن البخلاء .

وقالت حُميدة تَهجو روْحاً ، وتُشبّهه بالمُومِسَة الزّانية التي تتكحّلُ وتتطيبُ آخر اللّيل ، وتعيّره بأنّه اختان مالاً أودعه عنده رجلٌ جُذاميٌّ اسمه أوْس ، فلم يردّه عليه (٣) :

تُكحّلُ عينيـــكَ بـــردَ العَشيِّ كأنّك مومســـةٌ زانيـــهْ (٤)
وآيةُ ذلك بعد الخفـــوقِ تغلّف رأسكَ بالغاليـــهْ (٥)
وأنّ بنيكَ لريْب الزّمـــا ن أمـــست رقابهـم حاليـهْ (٦)
فلو كانَ أوْس لهم حاضـــراً لقال لهـــم : إنّ ذا مالـــيهْ

فقال روْح يجيبها (٧) :

وإنْ يكنْ الخُلعُ من بالكم فليـــسَ الخَلاعـةُ مـن باليـهْ (٦)
وإنْ كانَ مَنْ قد مضى مثلَكم فأُفّ وتفّ علـــى الماضـــيهْ
وما إن بـــرا اللــــه فاستيقِنيـ ـه من ذات بَعْلٍ ومن جاريهْ

(١) الأغاني ٩ : ٢٢٠ . وانظر : بلاغات النّساء ص : ٩٥ ، ومعجم الأباء ١١ : ٢٠ .
(٢) المقارف : من كانت أمّه عربية ، وأبوه ليس بعربيّ .
(٣) الأغاني ٩ : ٢٢٢ . وانظر : بلاغات النّساء ص : ٩٧ ، وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ص : ١٧٥ .
(٤) برد العشّي : نوم آخر النّهار .
(٥) الخفوق : من خفق الليل ، إذا ذَهب أكثره . والغالية : نوع من الطّيب .
(٦) حالية : متحليّة ، والمراد أن رقابهم مطوقة من ريب الزمان .
(٧) الأغاني ٩ : ٢٢٣ . وانظر : بلاغات النّساء ص : ٩٧ ، مع اختلاف في رواية بعض الأبيات .
(٨) الخُلع والخَلاعة : أنْ تُطلّق المرأة بعد أن تأخذ منها ثمناً لطلاقها .

شَبيهاً بكِ اليومَ فيمنْ بَقي ولا كانَ في الأعصُرِ الخاليهْ
فبُعداً لمحياكِ إذمــــا حييتِ وبعداً لأعظُمِكِ الباليه

فهو يردّ على حُميدةَ قولها ، ويتهمُها بالشُذوذِ عن بنات جنسها ، فيقول : إنّ الله لم يخلق امرأةً تُدانيها في شُرورها وصفاتها السّيئة ، لا في الموتى ولا في الأحياء ، ثمّ يدعو عليها بالبُعد في حياتها وبعد مماتها :

وقال لها روْح (١) :

أثني عليَّ بما عَلِمتِ فإنّني مُثْنٍ عليكِ لبِئسَ حَشوُ المِنْطَقِ (٢)

فقالت :

أثني عليكَ بأنَّ باعَكَ ضيّقٌ وبأنّ أصلَكَ في جُذامٍ مُلصقُ (٣)

فقال :

أثني عليَّ بما عَلِمتِ فإنّني مُثْنٍ عليكِ بمثلِ ريح الجَورَبِ (٤)

فقالت :

فثناؤنا شر الثناءِ عليكم أسوا وأنتنُ من سُلاح الثعلبِ

فهو يكيلُ لها معانيَ الهجاء ، فتَنقُضُها ، وتهجوه بأشدّ من هجائه لها .

وقال لها روح في بعض ما يتنازعان فيه : اللهمّ إنْ بقيتْ بعدي ، فابلُها بِبعلٍ يلْطمُ وجْهها ويملأ حِجرها قيئاً ، فتزوجها بعده الفيضُ بن محمد بن الحكَمِ الثّقفي ، وكانَ شاباً جميلاً يُصيبُ من الشراب ، فيلطُمهــا ويقيء في حِجرها ، فتقول : رحمَ الله روْحــــاً ، فقد أُجيبَ في دُعاؤه (٥) ، وتقول (٦) :

---

(١) الأغاني ٩ : ٢٢٠ . وانظر : بلاغات النّساء ص : ٩٥ ، ٩٦ .
(٢) البيت في : معجم الأدباء ١١ : ٢٠ . والمنطق شقّة تلبسها المرأة ، وتشدّ وَسطها فترسل الأعلى على الأسفل ، والأسفل ينجرّ على الأرض .
(٣) البيت في : معجم الأدباء ١١ : ٢١ ، وأخبار النّساء ض : ٥٣ .
(٤) البيت في : ثمار القلوب ص : ٦٠٧ دون عزو ، وفي : معجم الأدباء ١١ : ٢١ .
(٥) بلاغات النّساء ص : ٩٧ . وانظر الأغاني ٩ : ٢٢٣ ، ١٦ : ٢٢ ، وسمطِ اللآلىء ص : ١٨٠ ، والاقتضاب ٢ : ٢٩ ، ٣ : ٥٠ . وأخبار النساء ص ٥٣ .
(٦) الأغاني ٩ : ٢٢٣ . وانظر بلاغات النّساء ص : ٩٧ ، والاقتضاب ٢ : ٢٩ ، ٣ : ٥٠ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ٣١٠ ، وحياة الحيوان الكُبرى ٢ : ٢١١ .

سُمّيت فيضاً وما شيءٌ تفيضُ به ... إلاّ سلاحَك بين الباب والدّار (١)
فَتلك دعــوةُ روح الخَــيْر أعْــرفُها ... سقى الإلهُ صداهُ الأوْطفَ السّاري(٢)

وتقول فيه أيضاً (٣) :

وليسَ فيضٌ بفيّاض العَطاءِ لنا ... لكنّ فيضاً لنا بالقيءِ فيّاضُ
ليثُ اللّيوث علينا باسِــلٌ شَـرِس ... وفي الحروب هَيوبُ الصّدرِ جيّاض(٤)

فهو يفيض بالقَيءِ وليسَ بالعَطاء ، جبان ينكصُ في الحَرب ، أمّا في السّلم فإنّه ليْث اللّيوث .

وكانَ للفيض ابنةٌ من حُميدة تزوّجها الحجّاج بن يوسف الثّقفي ، فهجتهُ حُميدة ، مُظهرةً أسفَها ونَدَمها لمُصاهرته ؛ لأنه ليسَ بكفءٍ لها (٥).

ويظهر ممّا أسلفنا أنّ شُعراءَ القبائل اليمّانيّة الشّاميّة في العصر الأمويّ ظلّوا يدورونَ حولَ معاني الهجاء التي ردّدها الشُّعراء الجاهليّون قبلهم ، وأنّهم لم يتهتّكوا في هجائهم ولم يُفحِشوا فيه ، وقد برز لديهم موضوع هجاء الأزواج ، وكانت لهم فيه عدّة مقطوعات .

أمّا من حيث الشّكل فإنّهم نَظَموا معظم أهاجيهم في مقطوعات قصيرة وساهموا في تشكيل فنّ النّقائض الذي ازدهرَ في عَصرهم . فكانت لهم نقائضُ مع عددٍ من شُعراء القيْسيّة . وإنْ اختلفت في شكلها ومضمونها وغاياتها عن نقائض جرير والفِرزدق والأخطل .

---

(١) البيت في : الأغاني ٩ : ٢٢٤ ، ١٦ : ٢٢ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٣٦٤ ، وسمطِ اللآلىء ص : ١٨٠ .
(٢) صَداه : عظامه أو جسده بعد موته . والأوطف : السّحاب الدّاني من الأرض ، المُسترخي الجوانب لكثرة مائه .
(٣) الأغاني ٩ : ٢٢٣ . وانظر : بلاغات النّساء ص : ٩٨ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر : ٣١٠ ، وشاعرات العرب في الجاهيّة والإسلام ص : ١٧٥ - ١٧٦ .
(٤) الجيّاض : الروّاغ .
(٥) انظر : بلاغات النّساء ص : ٩٨ ، والأغاني ٩ : ٢٢٤ ، ١٦ : ٢٢ ، ومُختَصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ٣١٠ - ٣١١ .

خامساً : الرثـــاء

عرفَ الشعراءُ العربُ الرِّثاء منذُ العصر الجاهليّ ، فكانَ الرجالُ منهم والنّساء يبكون الموتى ويقفونَ على قُبورهم ، ويندبونَهم ويعدّدونَ مناقِبهم ، وقد يَضمّون إلى ذلك صورةً من التّعزية والدّعوة الى الصّبر ، فالموت غايةُ كل حيّ ، ولا مردّ لحُكم القضاء (١) .

وعلى الرّغم من ضراوة المعارك التي خاضتها القبائل اليمانية عامّة ، وقبيلة كلْب خاصّة ، وسَقَطَ فيها المئاتُ من القتلى مثل معركة مرج راهط ، والأيام التي كانت بين قبيلتي كلب وقيسٍ عقِبَ هذه المعركة . إلاّ أنّنا لم نَعثر لشعرائها في المصادر التاريخية و الأدبيّة على شعر رثائيّ كثير ، فإنّ ما وصل إلينا من الرِّثاء القَبليّ لا يَعدو مقطوعة لهندِ الجُلاحية إحدى شَواعر كلب ، وبضعةَ أبياتٍ لجوّاس بن القعْطل الكلبيّ في رثاء قومه . وأكثر ما بينَ أيدينا من رثاء شُعراء اليمانية الشاميّين هو من نوع الرّثاء الشخصي ، كرثاء الأهلِ والأحباب والأصدقاء وبعض رجالات العصر الأمويّ ، وهو مع ذلك قليل جداً إذا ما قُورنَ برثاء غيرهم من شُعراء القبائل الأخرى في هذا العصر .

ويَخلو شعر اليمانيّة من رثاء خُلفاء بني أميّة وأمرائهم ، ممّا يزيد من يقيننا بضياع قَدْر كبير من شعرهم في الرّثاء ، إذْ لا يُعقل أن يخلو ديوانُ شاعر كبير مثل عديّ بن الرّقاع العامليّ من رثاء الخُلفاء الذين ماتوا في حياته وبخاصّة الوليد بن عبد الملك بن مروان .

١ـ الرثاء القبليّ :

وهو الرثاء الذي يتصل بالفتن والحروب التي شَهدها عصر بني أميّة ، فقد خاضت بعضُ القبائل العربيّة معاركَ ضارية ، أسفرت عن صَرعى وقتلى كثيرة ، فانبرى شُعراؤها يندبون قتلاهم ، ويذرِفون عليهم دموعَ اللّوعة والأسى (٢) .

ومن هذه الفِتن القبليّة ما وقعَ بين قيسٍ وكلبٍ من وقائع وحروبٍ سَقَطَ فيها كثير من القتلى من الطّرفين مثل وقعةِ الإكليل التي أغارَ فيها عُميرُ بن الحُباب السُّلميّ على كلب ، فأوقعَ بها ، فقالت هندُ الجُلاحيّة ترثي قتلى قومها ، وتُحرّض أحياءَ قبيلتها على الثأر (٣) :

ألا هل ثائـــرٌ بدمـــاء قـــومٍ ... أصـابَهُمُ عُميرُ بنُ الحُبـابِ ؟!

---

(١) د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهليّ ، ص : ٢٠٧ .

(٢) العصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأموي ص : ٥٨٢ .

(٣) الأغاني ٢٣ : ١٨٧ . وانظر : تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنية) ١٣ : ٣٣٨ .

وهل في عامرٍ يوماً نكيرٌ وحيّي عبدِ وُدٍّ أو جَناب ؟! (١)
فإنْ لم يثأروا من قد أصابوا فكانوا أعبداً لبني كـلاب (٢)
أبْعدَ بني الجُلاح ومن تركتُم بجانبِ كَوْكب تحتَ التّـراب (٣)
تطيبُ لغـائرٍ منكـم حيـاةٌ ألا لا عيشَ للحيِّ المُصاب

فالشاعرةُ ترثي قتلى قومِها ، وترى أنّ حياةَ الأحرار من كلب ، لا تطيبُ إلاّ بالاقتصاص من قبيلة قيس ، فتحرّضُ فرسانَ قبيلتها من بُطون عامر وعبدود وبني جناب على الثّأر للقتلى ، وتُخوّفهم العارَ والهوان إن هم قصروا في ذلك . وحينَ يكونَ التّحريض على الثّأر صادراً عن امرأة ، فإنّه يكونُ أوقع في النّفس ، وأبلغ أثراً في إثارة حَميّة فُرسانِ القبيلة ، لأنّ الرّجل يأنفُ الظّهور أمامَ المرأة بمظهر الجَبان العاجز ، ويكرهُ أن تَطعنَه امرأةٌ في رجولته التي تتمثلُ في شجاعته ، وقُدرته على الأخذ بالثّأر (٤) .

وبكى جوّاسُ بنُ القعطل الكلبيّ قتلى قومه الذين سَقَطوا في معركة مرج راهط ، أو في غيرها من المعارك التي خاضتها قبيلتهُ ضد قبيلة قيس المضَريّة ، فخلّف قَتلهم الغصّةَ في الحُلوق والدّمعة في العُيون ، ووصَفهم بالشدّة على الأعداء ، وباللُّطف واللّين على قومهم ، مُهدّداً خُصومه بالانتقام منهم في قابل الأيام يقول (٥) :

بَكيٍّ على قتلى القُبور فإنّهـم طالتْ إقامتهُـمُ بِبَطنِ بَرام (٦)
كانوا على الأعداء نارَ حفيظـةٍ ولقومهم حَرَمـاً من الأحـرام
لا تَهلكي جَزَعاً فإنّي واثِـقٌ بِسـيوفنا وعواقِـبِ الأيـام

وقال جوّاس بنُ القَعطل أيضاً (٧) :

لا زال صَوبٌ من رَبيع وصيِّفٍ بهضبِ القَليب فالتّلاعُ به خُضُرُ (٨)
يُروّي عِظاماً لم تكن في حياتهـا يَرنُّ بها حِنثُ اليـمينِ ولا الغَـدرُ

(١) بنو عامر وبنو عبد ودّ وبنو جنَاب : من بُطون قبيلة كلب .
(٢) بنو كلاب : من قبيلة قيس .
(٣) كَوكَب : اسم موضع .
(٤) العصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأموي ص : ٣٣٤ ، ٤٣٦ ، ٥٩٩ ، ٦٣٣ .
(٥) الأشباه والنّظائر ٢ : ١٣١ . (٦) بطنُ بَرام : موضع .
(٧) الأشباه والنّظائر ٢ : ٣٣١ - ٣٣٢ . (٨) الصّيف : مطر الصيف .

فهو يستسقي لقبور هؤلاء القتلى الذين كانوا لا يَحْنِثون بأيمانهم ، ولا يغدرون بمَن عاهدَهُم .

٢ ـ الرثاء الشّخصي :

أسهم شعراءُ القبائل اليمانية الشاميّة وشاعراتُها في هذا اللّون من الرّثاء ، فَنَظموا مقطوعاتٍ وقصائدَ في رثاء أهليهم ، وفي رثاء بعض رجالاتِ عصرهم ، وفي رثاء مَحبوباتهم وأصدقائهم .

أ ـ رثـــاء الأهـــل :

يتّسم رثاءُ الأهل والأقارب بصدق العاطفة وحَراراتها ، لأنه نابعٌ من شعور عميق باللوّعة والحُزن ، وإحساس صادق بفداحة المُصاب . وقد رثى شُعراءُ اليمانية وشاعراتها آباءَهم وإخوانهم ، ورَثَتْ حُميدةُ بنت النّعمان بن بشير زَوجها خالدَ بن المُهاجر رثاءً حاراً . فمن رثاءِ الآباء مقطوعةٌ لحُميدة بنت النّعمان تبكي فيها أباها لمّا قُتل بعد معركة مرج راهط ، فتقول (١) :

ليتَ ابن مـــزنةَ وابنَـــه ... كانا لحَتفِك واقــــيَهْ (٢)
وبنـــو أميّـــة كلّهـــم ... لم تبـــقَ منهـــم باقيهْ
جاءَ الـــبريدُ برأســـه ... ياللحُلـــومِ الغـــاويـهْ
يَستَـفتحـونَ بِقـتلـــــه ... دارت عليهـــم ثانـــيهْ
فلأبكيّــــنَ مَســـرّةً ... ولأبكـــينَّ علانيَـــهْ
ولأبكينّكَ مـــا حييـــ ... ـتُ مع الكلاب العاويَهْ (٣)

فهي تَصوغُ رثاءَها لأبيها في وزن قصير وعباراتِ سَهلة واضحة تدلّ على فرطْ حُزنها عليه وشدّة انفعالها وانكسارِ نفسها لما أصابه ، فتتفجّع عليه وتَبكيه في السرّ والعلانيّة ، بل إنّها تريد أن تبكيه مدّة حياتِها ، وتخلطُ رثاءها له بالدعاءِ على قاتِله بالهلاك ، وبمهاجمة بني أميّة ،

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ٣٠٨ ـ ٣٠٩ . وانظر : تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنية) ١٧ : ٢٩٥ ، والبداية والنّهاية ٨ : ٢٤٤ مع شيء من الاضطراب واختلال الرواية . ونسب البلاذُري بعضَ هذه الأبيات إلى امرأةٍ تبكي قتلى قُديد . انظر : أنساب الأشراف (مصوّرة الجامعة الأردنية) المجلّد الثاني ص : ٣٧٩ .

(٢) ابن مِزنة : لعلّه خالد الكلاعي الحِميريّ قاتل النّعمان بن بشير . انظر : تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنية) ١٧ : ٢٩٥ ، وسير أعلام النبلاء ٣ : ٤١٢ ، والبداية والنهاية ٨ : ٢٤٤ .

(٣) أيّ في جوف الليل .

لأنّهم كانوا السّببَ في قتله ، فتتمنى أن تدورَ الدائرة عليهم .

ومن رثاءِ الآباء أيضاً أبياتٌ لابنةِ حارثة بن عمرو بن صَخر القيْني ، وكان أبوها في الجيش الذي وجهه يزيدُ بن معُاوية ، لقتال أهل المَدينة وحصار مكّة ، فقُتِل ، فَرثته بأبياتٍ استمدّت معانيها من التّراث الجاهليّ ، فوصَفته بالشّجاعة والإقدام ، شأن الرّجال الأشدّاء من ذوي الأحْساب الذين يَعْلمون أنّ الصّبر في المعركة لا يُدني من الرّدى ، كما أنّ الخوفَ والفرارَ لا يُنجيان منه ، والذين لا يتورّعون عن احتمالِ الشّدائد وورُود المَنايا وبَذل النّفس رخيصة ، خوفاً من عارِ الفرار والهزيمة فقالت (١) :

بَذلتَ حِذارَ العار نفساً كريمةً ... لكلّ رُدينيٌّ من السُّمرِ عاتِرِ (٢)
كذاكَ ذوو الأحساب تسخو نُفوسهم ... لوردِ المنايا واحتِمـــال الجَـــرائرِ
[ولا يَحسبونَ] (٣) الصَّبر يُدني من الرّدى ... ولا الخوف يُنجي من عَدوٌّ مُساورِ

ومن رِثاء الأخـــوان أبيات لشُقران مولى بني سلامان ، يَرثي فيها أخاه أبا أروى فيقـــول (١):

ذكرتُ أبا أروى فبتُّ كأنّني ... بردٌّ الأمور الماضيات وكيلُ
لكلّ اجتماعٍ من خليلَيْن فُرقةٌ ... وكلُّ الذي دونَ الفراقِ قليل
وإنّ افتقادي واحداً بعد واحدٍ ... دليلٌ على أنْ لا يدومَ خليـــل

وهي أبياتٌ تكشفُ عن رثائه لأخيه رثاءً هادئاً ، ليس فيه نحيبٌ ولا عويلٌ ، وعن تعزيَتِه لنفسه تعزيةً صَدرَ فيها عن فهْم إسلاميّ لحقيقة الحياة التي لا بدّ لها من نهاية هي الموت ، ولا بدّ لكلّ خليلينِ فيها من فراق .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (مصورّة الجامعة الأُردنية) ٤ : ٤٤ .
(٢) الرّمح العاتر : هو المهتزّ المضطرب .
(٣) الكلمة في تاريخ مدينة دمشق غير واضحة .
(٤) تاريخ مدينة دمشق مصورّة الجامعة الأردنية) ٨ : ٤٧ ، والمنازل والدّيار ص : ٤٣٤ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٢٧ . والأبيات في البيان والتبيين ٣ : ١٨١ دون عزو . والبيت الأول في بهجة المجالس ٢ : ١١٢ . ونسب البيتان الثاني والثالث إلى عليّ بن أبي طالب لمّا دفن فاطمة رضي الله عنها ، وقال ابنُ الأعرابيّ : هُما لشقران السّلامانيّ . انظر : العقد الفـريد ٣ : ١٧٤ ، وزهـــرالآداب ١ : ٨٢ ، وبهجة المجالس ٢ : ٣٥٩ . وهما في : حماسة البُحتريّ ص : ٢٣٣ ، دون عزو .

ولأبانِ (١) بن النعمان بن بشير الأنصاريّ بيتان يندُبُ فيهما أخاه يزيد نَدباً حاراً ، ويصفُ فيهما شدّة حزنه وعجزه عن التّصبر والسّلو ، فيزيدُ أخوه لأمّه وأبيه ، وآثاره ومنازله ما تزال باقيةٌ تثيرُ في نفسه صُنوفَ اللوعة وألوانَ العذاب ، حتّى ليكاد يَحسبه محدّثه مجنوناً لفرطِ ذهوله وحَسرته يقول (٢) :

وأنا ابنُ أمّك يا يزيدُ فمن يكن   يَسلو فقلبي موجعٌ مَحزونُ (٣)
وإذا رأيتُ منازلاً خلّفتَها   حَسِبَ المُحدّثُ أنّني مَجنون

وبكَتْ حُميدة بنت النّعمان خالدَ بنَ المهاجر بن خالد بن الوليد ، الذي تزوّجها عند قُدومه الشام ، ثمّ طلّقها بعد أن هَجته . وكان خالد قد أقام بالشام فانكسرت فَخِذه ، فمات من وَجعهُ ، فقالت (٤) :

ألا يا ابنَ المُهاجر قد   دَهاني طارقٌ طَرقا
دعاكَ فما أبيتَ ولا   سَددْنا دونَك الغلقا
ألا عينيَّ جُودا بالـ   ـدموعِ عليه واستبقا
أعيناني بفيضِكما   ومجّا الدّمع والعَلقا

فُحميدةُ تنوحُ على ابن المهاجر وتندُبه في مقطوعة قصيرة أفرغت فيها إحساسَها وألَمها لفقدِه ، في نغَم باكٍ محزون هو مجزوء الوافر ، ليتلاءم مع جوّ النّياح ، وتخيّرت لمعانيها بعض الألفاظ التي تدلُّ على مَبلغ حُزنها وذَرفها الدّموعِ مثل : « دَهاني » و « ألا عينيّ جودا » ، و « استَبِقا » ، و « مجّا الدّمع والعَلقا » . وبدا الموتُ في مقطوعتها في صورة صائد متربّص يطرق فَريسته ليلاً ، فلا يقْدرُ على ردّه أحد . وواضح أنّها لم تذكر صفات ابن المُهاجر ، ولم تتحدث عن حالِها بعده ؛ لأنها لم تكن زَوجه حين وفاته .

ب ـ رثاء بعض رجالات العصر :

في ما وصل إلينا من شعر اليمانية مثالٌ واحد على هذا اللون من الرّثاء هو

---

(١) لا تذكر له المصادر ترجمة مستقلة .
(٢) أُسامة بن مُنقذ : لباب الآداب ص : ٤٠٩ ـ ٤١٠ .
(٣) أمّهما نائلة الكلبيّة .
(٤) أنساب الأشراف ٥ : ٢٠٣ ، وفيه أنّ اسمها هِند ، والصحيح أنّها حُميدة إذ ليس للنّعمان سوى ابنتينِ هما : حُميدة وعَمرة .

قول ذي العُنق الجُذاميّ [1] يرثي مُصعب بن عبد الرحمن بن عوف ـ رضيَ الله عنهما ـ وكان مع عبد الله بن الزبير يوم حصاره بمكّة ، فأصابه نبلُ أهل الشام فقتَله ، ويصفه بالهُدى والعفّة والفقه والشّجاعة في دفاعه عن الكعبة [2] :

ولله عينًا مَنْ رأى مِثلَ مصعبٍ	أعفَّ وأقضى بالكتابِ وأفهما
وقالوا : أصابتْ مصعباً بعضُ نَبلِهم	فعزَّ علينا مَنْ أُصيبَ وعزّما
وشدّ أبو بكر لذا الرّكن شَدّةً	أبتْ للحُصين أنْ يُطاعَ فيكرما [3]
مشدَّ امرىءٍ لم يدخل الذُّل قلبَه	ولم يكُ أعمى من هَوى الله أبْكمَا

ويبدو الشاعر في رثائه لِمُصعب متأثّراً بموقفه السياسي الرّافض لحصار الكَعبة وقتال ابن زبير .

ج ـ رثـاء المحبوبة :

لبيْهس بن صُهيب الجرميّ قصيدتان في هذا اللون من الرّثاء ، فقد أحبّ ابنةَ عمّه صَفراء ، إلاّ أنّ أباها زوّجها رجلاً ثرياً من بني أسد ، فماتت قبل أن يدخل بها ، فقال بيْهسٌ يرثيها من قصيدة مطلعها [4]:

إنْ أصبح اليومَ لا أهلٌ ذوو لُطُفٍ	ألهو لديهم ولا صفراءُ في الدّارِ
أرعى بعيني نجومَ الليلَ مُرتفعاً	يا طول ذلك من همّ وإسهار
فقد يكون لي الأهلُ الكرامُ وقد	ألْهو بصَفراءَ ذات المنظر الواري
من المواجِدِ أعراقاً إذا نُسبت	لا تحْرم المالَ عن ضيْفٍ وعن جار
لم تلْقَ بُؤساً ولم يضرر بها عَوَز	ولم تُرجفْ مع الضّالي إلى النّار
كذلك الدّهرُ إنَّ الدّهرَ ذو غيرٍ	علـى الأنام وذو نقـضٍ وإمرارِ

---

(١) ذو العُنق الجُذاميّ : شاعر شاميّ اسمه الملوّح بن أبي عامر . انظر : معجم الشعراء ص : ٤٤٨ .

(٢) نسب قُريش ص : ٢٦٩ وفيه أنّها لرجل من جُذام . والبيت الأول والثاني لذي العُنق الجِذاميّ في : معجم الشعراء ص : ٤٤٨ ـ ٤٤٩ . والبيت الثالث مع بيت آخر في : أنساب الأشراف ٤ : القسم الأول ص : ٣٤٠ دون عزو .

(٣) الحُصين بن نُمير السّكوني ، قائد أهل الشام في حصار مكّة الأول .

(٤) الأغاني ٢٢ : ١٣١ ـ ١٣٢ . وانظر أبياتاً منها في : المنازل والديّار ص : ٩٠ .

قد كانَ يَعتادُني من ذِكرها جزعٌ لولا الحَياءُ ولولا رهبةُ العـــار (١)
سقى الإله قُبوراً من بني أسدٍ حولَ الربيعة غيْثاً صوبَ مِدرار
مَن ذا الذي بَعدكم أرْضى به بدلاً أوْ مَنْ أُحدِّثُ حاجاتي وأسراري ؟!

فالشاعر قد صاغَ قصيدته في رِثاء محبوبته في وزن البَسيط ، واستهلّها استهلالاً جاهلياً حافظ فيه على بعض التّقاليد الفنّية الموروثة ، فوَصَف ديارَها على طريقة الجاهليّين ، ولكنه لم يُطل في وصفِه لها ، فسرعان ما تخلّص بالحديث عمّا أصابه من همٍّ وطول سَهَر بعد موتِها ، إلى الحـديث عن صفاتها ، فَحَشَدَ لها عدداً من الصِّفات الحسّية والمعنوية ، فَذَكر أنّها فتاةٌ مدلّلة منعّمـة ، لم تُجرب خُشونة العيش ولم يضرر بها عَوز ، كما أنّها ذات نَسَب عريق ، وكرم فيّاض ، ورعاية لحق جيرانها ، ثمّ ينفذُ من ذلك الى ذمّ الدّهر ووصف دوَرانه وتقلّبه ، ويختتم قصيدته بالاستسقاء لقبر محبوبته ، ذاكراً أنه لن يجدَ بعدَها مَنْ يسدّ مكانها ، أوْ يَصْلحُ لأنْ يبثّه حاجاته وأسراره .

واجتــاز بيْهس وركبٌ من قومه بلاد بني أسد . وكانوا انتَجعوا بلادَ الأسديين فأوسعوا لهم ، لما كان بينهم من صِهر وحِلف ، فمرّ بيْهس بقبر صَفراء ، فنزل عليه ، فقال له أصحابه : ألا ترحل ؟ فقال : لا والله ، حتّى أظلّ نَهاري كلّه عنده ، فنزلوا (٢) فأنشأ يقول وهو يبكي (٣):

أَلِمّـــا على قبـــرٍ لصفراء فاقـــــرآ السّــلام وقولاً حيِّنـــا أيّهــا القَـــبرُ
وما كانَ شيْئاً غير أن لستُ صابراً دُعاءَكَ قبراً دونه حِججٌ عَشرُ
برابيةٍ فيها كِـــرامٌ أحِـــبّةٌ على أنّها إلاّ مـــضاجعهم قَـفـــر
عشيّةَ قال الرّكب من غَرضٍ بنا : تروّحْ أبا المِقدام قد جَنَح العَصر (٤)
فقلت لهم : يومٌ قليلٌ وليلةٌ لصفراء قد طال التّجنّب والهَجر
وبتُّ وباتَ النّاسُ حوليَ هُجّداً كأنّ عليّ الليل من طوله شَهْر
إذا قلت هذا حين أهجعُ ساعةً تَطاول بي ليلٌ كواكبُه زُهر
أقولُ إذا ما الجَنبُ ملّ مكانَه أشوكٌ يجافي الجَنبَ أم تحته جمرٌ ؟

(١) لعل الرّواية الصحيحة : « قد كاد » بدلاً من كان .
(٢) الأغاني ٢٢ : ١٣٢ ـ ١٣٣ .
(٣) نفسه ٢٢ : ١٣٣ . وانظر : تاريخ مدينة دمشق ١٠ : ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .
(٤) الغَرض : الضَجر .

فلو أنّ صخراً من عَماية راسِياً يُقاسي الذي ألقى لقد ملّه الصّخر (١)

فهو لم يستطع أنْ يمرّ بقبر محبوبته دون زيارته وتقديم التّحية له ، فيخاطب صاحبيْه على عادة الشّعراء الجاهليين ، ويطلبُ إليهما أنْ يُلمّا بقبر صاحبته ، ويصوّر ما دار بينه وبين أصحابه من حوار ، استطاع فيه أنْ يُقْنعهم بالمَبيت حول القَبر في تلك الليلة التي طالت عليه كأنّها الشّهر ، ثم يصفُ حالته التي بات فيها حزيناً باكياً ، بأنّها حالةٌ لا يحتملها الصّخر .

ويُلاحظ أنّ بيهسَ بن صُهيب ظلّ يدور في قصيدته حول معاني الجاهليين وصُورهم وتَشبيهاتهم ، ولم يُضمنّها شيئاً من المعاني الإسلامية .

د ـ رثاء الأصدقــاء :

ومن رثاء الأصدقاء : قول شُقران مولى بني سلامان يتحسّر على أصحابه ذوي الثّقة والمودّة ، الذين تساقطوا في حياض الموت كتساقط النّجوم من السّماء (٢) :

أجـــدّكَ لا تزالَ الدّهر عيْنـــي لها في إثر ذي ثقــةٍ ســجومُ
وإخـــوان رزئُتهـــم فبانـــوا كما انقضّت من الفَلَك النّجــوم

وبعد أن استعرضنا معظم ما وصل إلينا من المقطوعات والقصائد الرثائية التي نظمها شعراء القبائل اليمانية الشّامية في العصر الأموي ، فإننا نلمس أنّ الرّثاء القبليّ اقترن عندهم بتحريض فُرسان القبيلة على الثأر للقتلى ، وبتهديد الخُصوم وتوعّدهم بالانتقام كما هو الشأن في الرثاء الجاهلي . وأنّ الرثاء الشّخصي تنوّعت موضوعاته عند هؤلاء الشّعراء ، فرثوا أهليهم وبعض رجالات عَصرهم ومحبوباتهم وأصدقاءَهم ، وداروا في أكثر رثائهم لهم حول معاني الرّثاء الموروثة ، فوصفوهم بالنّخوة والشّجاعة والفضل والعفّة والفِقه والكرم وعراقة النّسب ، وأفاضوا في التّعبير عن آلامهم وأحزانهم التي ورثوها بفقدهم . وشاركت النّساء في هذه الموضوعات مشاركةً ظاهرة ، فاستأثرت الشّاعرات بموضوعي رثاءِ الآباء والبُعول . وتأثرت بعضُ موضوعات الرّثاء الشّخصي بمواقف الشعراء من الأوضاع السيّاسية السائدة في عصرهم .

---

(١) عماية : موضع .
(٢) الحماسة البصرية (عالم الكتب ـ بيروت) ١ : ٢٤٠ .

سادساً : الوصـــف

تنوّعت موضوعاتْ الوصف عند شعراء القبائل اليمانية الشامية ، فوصفوا جانباً من الوقائع الحربية في عصرهم ، وحمل شعرهم الوصفي بعض ملامح البيئة التي عاشوا فيها ووصفوا الظعُن وحيوانات الصحّراء كالخيل والإبل ، وشبّهوها بالقطا وحِمار الوحش ومنهم من نَعَت الخمر ، وتحدّث عن صفة الشّيب والشباب .

١ ـ وصف الوقائع الحربيّة :

لا نجدُ فيما بين أيدينا من شعر هذه القبائل وصفاً مفصّلاً للوقائع الحربيّة القبليّة والسياسيّة التي خاضت القبائل غِمارها ، ولا سيّما معركة مرْج راهط ، التي لم يصفها شُعراءُ اليمانيّة وصفاً مسهَباً ، يُلمُّ بدقائقها وتتابع أحداثها ، وذلك على الرغم من أنّ بعضهم شَهدها وقاتل القيسيّة فيها .

وربمّا يُردّ ذلك الى أن الوصف عند هؤلاء الشّعراء لم يكن غَرضاً مقصوداً في ذاته ، وإنما كان مَعبراً الى ما يَقصده الشاعرُ من المُفاخرة أو الهجاء ، ولذلك فإنهم لم يقفوا طـويلاً عند وصفِ المعارك ، ولم يفصلوا في أحداثها ، وإنما تناولوا هـذا الوصف تناولاً خاطـفاً ، مضـوا بعـده الـى الغاية التي يقصـدونها [١] .

وقــد دارَ وصــفهم للوقائع القبلية على بيانِ سطوة قبائلهم وعزّتها وشدّة نِكايتها في أعدائها [٢]، وتحدّثوا عن هولِ المعركة وضراوتها ، ووصفوا فُرسان قبائلهم فــذكروا أنّهـم ليوثُ حرب أشـدّاء ، طوالُ الأيدي ، يركبون الخيولَ الجُرد ويتقلّدون السّيوفَ الصّـوارم [٣]. ووصف بعضهم ضخامة جيشِ قبيلته ، وكثافةَ عددِ فُرسانه ، ومسيره إلى أعدائه كما وصفوا مقتلِ عددٍ من فرسان خُصومهم ، وسجّلوا عارَ الهزيمة على بعض قادَتهم مثل عُمير بن الحُباب السُّلمي [٤] . أمّا قتلى أعدائهم ، فإنها لفرطِ كثرتها تنتشر في أرض المعركة دون دَفن ، وتُترك طعاماً لَضِباع الأرض وذئابها ، فتظلّ نِساء هؤلاء القتلى بعدهم ثَكالى يَتجرعْن مرارة الأسـى

---

(١) العصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأمويّ ص : ٦٢٩ ، ٦٣٠ .

(٢) انظر : تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٥ ، ٢٦١ ، والإكليل ٢ : ٢٠٥ .

(٣) انظر : أنساب الأشراف ٥ : ١٤٦ ، والأغاني ١٩ : ١٤٥ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٦٧ .

(٤) : تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٤٣ ، والأغاني ١٩ : ١٥٢ ، ٢٣ : ١٩٠ .

والحُزن عليهم (١).

ولعلّ عمرو بن مِخلاة الكلبيّ هو أبرز شاعر يمانيّ وصفَ بعضاً من أحداث وقعة المرج في قصيدته العينيّة التي شَمِتَ فيها بهزيمة قيس واندِحارها وخِزيها، إذْ يقول (٢):

ويوم تُرى الرايات فيه كأنّها	عَوايفُ طيرٍ مُستدير وواقعُ (٣)
خَلا أربعٌ بعد اللقاء وأربعٌ	وبالمرج باقٍ من دمِ القومِ ناقعُ
[أصابت] (٤) رماحُ القوم بِشراً وثابتاً	وحَزناً وكلٌّ للعشيرة فاجعُ (٥)
ونجّا حُبيـــشاً مُلهبٌ ذو عُـــلالةٍ	وقد حُزَّ من يُمنى يديه الأصابعُ (٦)
طعنّا زياداً في استِه وهو مُدبرٌ	وثَوراً أصابته السّيوف القواطعُ (٧)
وقد شَهِد الصفَّين عَمرو بنُ مُحرزٍ	فَضاقَ عليه المرج والمرجُ واسعُ (٨)
وأدركَ همّاماً بأبيضَ صارمٍ	فتىً من بني عمرو صَبور مشايعُ (٩)
هو الأبيضُ القرمُ الطويلُ نِجادُه	من القومِ لا فانٍ ولا هو يافع
فَمَن يكُ قد لاقى من المرج غِبطةً	فكان لقيس فيه خاصٍ وجادع
فلن ينصبَ القيسيّ للناس رايةً	من الدّهر إلاّ وهو خزيانُ خاشع

---

(١) انظر: الأغاني ١٩: ١٤٥، ١٥٢، ومعجم الشعراء ص: ٤٥.

(٢) نقائض جرير والأخطل ص: ١٧ - ١٩. وانظر أبياتاً منها في: أنساب الأشراف ٥: ١٤٨، والأغاني ١٩: ١٤١، ومعجم الشعراء ص: ٦٨، والمرزوقي: شرح ديوان الحماسة ٢: ٦٤٧ - ٦٤٨، والتبريزي: شرح ديوان الحماسة ٢: ١٩٥ - ١٩٧، والحماسة الشجرية ١: ١٧٢، وتاريخ مدينة دمشق (مصورّة الجامعة الأردنية) ١٣: ٣٠٢.

(٣) عافت الطير: استدارت وحامت حول الماء.

(٤) في: تقائض جرير والأخطل: «أجابت»، والتصحيح من أنساب الأشراف ٥: ١٤٨.

(٥) بِشر: هو بشر بن يزيد المُرّي من غطفان. وثابت: هو ثابت بن خُويلد البَجليّ، وكانَ مع الضّحاك بن قيس، وحَزْن بن عمرو النّمري، وكلّهم قُتلوا يوم المَرْج.

(٦) حُبيش: اسم شخص. والملهِب: الفَرس الشّديـد الجَري المُثير للغُبار. والعُلالة: ما يُجلّل به الفرس.

(٧) زياد: هو زياد بن عمرو العُقيلي، وثَوْر: هو ثور بن مَعن السُلَميّ.

(٨) عمرو بن مُحزِر، من أشجع. انظر: التّبريزي: شرح ديوان الحماسة ٢: ١٩٦.

(٩) همّام: همّام بن قبيصة النّميري. وقد قتله الوازع بن ذُؤالة الكلبـيّ. انظر: أنساب الأشـراف ٥: ١٣٧، وتاريخ مدينة دمشق (مصورّة الجامعة الأردنية) ١٧: ٣٦٠.

فإنّه وصف فيها التحامَ فرسان اليمانية والقيسيّة ، فبدت راياتُ القادة ، وهي تَرتفع وتَسقطُ في أرض المعركة ، كأنّهاطيورٌ ترتفعُ في السماء ، ثمّ ما تلبثُ أن تحطَّ في حركة مُستمرة. ونقل إلينا مشاهدَ مُتتابعة لمقتلِ عددٍ من زعماء قيس مثل : بشر بن يزيد المرّي وحَزن ابن عمرو النّمري ، وهمّام بن قبيصة النّميري ، وغيرهم من رؤساء عشائر قيس . وصوّر فرار بعضهم على فرس سريعٍ مُجلّل .

وقد نقضَ عليه زُفَرُ بن الحارث الكلاّبي قصيدته هذه بأبيات منها قوله (١) :

فخَرت ابن مِخلاة الحِمار بمشهدٍ علاكَ به في المرج مَنْ لا تُدافع
فإنْ نكُ نازَعنا قُريشاً فإنّهم أخونا ومولانا الذين نُنازع
فأيُّ قبيلينا وأمُّكَ ما يكن له الملكُ تَبعه وخدُّكَ ضارِع

ففخرَ عليه زُفر بالرابطة المُضرية التي تجمع بين قبيلتي قيس وقُريش ، وعيّره انقياد قبيلته لبني أميّة إخوة قيس في النّسب العدناني (٢) .

ومن وَصف المعارك السياسيّة إلمامُ عُدي بن الرّقاع العامليّ في مَدحه للوليد بن عبد الملك بما حدثَ في مرج راهط (٣) ، ووصفه لخروج عبد الملك بن مروان لقتالِ مُصب بن الزُّبير بجيش عظيمٍ يُشبه صخبه لكثرة عدده ضجيج القطا في البلد المُخصب (٤)، وحديثه عن إحدى غزوات عُمر بن عبد العزيز للرّوم في قصيدته الرّائية التي مدحه فيها (٥) .

ومنه قولُ الأُقيْبل القيْني (٦) يصفُ حصارَ الحجّاج بن يوسف لعبد الله بن الزّبير بمكّة ،

---

(١) نقائض جرير والأخطل ص : ١٩ .
(٢) العصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأموي ص : ٤٣٥ .
(٣) انظر : الديوان ص : ١٧٠ .
(٤) انظر : نفسه ص : ٢٣٢ : ٢٤٨ .
(٥) انظر : نفسه : ١٩٧ .
(٦) الأُقيْبل القيْنيّ : هو الأقيبل بن نَبهان بن خُنُف ، من بني القَيْن بن جَسر من قُضاعة . شاعر أموي أسود ، اشتُهر زمن يزيد بن معاوية . وقد هجا الحجّاج بن يوسف فطلبه ، فهرب حتى أتى قبْر مروان بن الحكم فعاذَ به ، فأمنّه عبد الملك بن مروان . وللأقيبل قصائد ومقطعات جياد في أشعار بني القين ، ولكنّها ضاعت . ويُقال : إنّ ناقته صرعته في بعض أسفاره ، فمات حوالي سنة (٨٥ هـ) .
انظر : أنساب الأشراف ٥ : ٣٥٨ ، والمؤتلف والمختلف ص : ٢٥ - ٢٦ ، وتاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنية) ٣ : ٣٩ ، والأعلام ٢ : ٦ .

ورميُه الكعبةَ بالمنجَنيق (١) :

فلم أرَ جيْشاً غُرَّ بالحج قبْلنا ولم أرَ جيشاً مِثلنا غيرَ ما خُرسِ (٢)
خرجنا لبيت اللّه نرمي سُتورَه وأحجاره زفنَ الولائدِ في العُرْس (٣)
دَلَفنا له يومَ الثلاثاءِ من مِنى بجيش كصدر الفيل ليس بذي رأس

فهو يذكر أنّ الحَجّاج سارَ بجيش ضخم من فُرسان أهل الشام ، وأوهَمهُمَ أنّه يُريد الحجّ ، فعَسكَرَ بِمنى ، إلاّ أنّه ما لبثَ أن خَرجَ منها يومَ الثّلاثاء لرَمي الكّعبة ، فلم يعترِضه أحد ، ولمْ يُنكر صَنيعهُ مُنكِر .

٢ - وصف البيئـــة :

على أنّ أكثر ما عثَرنا عليه لشعراء القبائل اليمانية في هذا اللون من الشعر كان في وصف الطبيعة الساكنة ، وفي وصف بعض ظواهر البيئة الشامية التي عاشوا فيها ، فمن هؤلاء الشعراء من وقف على الدّيار ، فوصف عفاءَها واندثار معالمها ، وبكاها وتذكّر أهلها الظاعنين عنها . ومنهم من وصفَ السّحاب والمطر والبَرق والرعد والرّياح والنّجوم ، ومنهم من تغنّى بجمال بلدتِه وتمدَّح برحابتها وخِصبها .

واشتهرَ عديّ بنُ الرّقاع العامليّ بشياع وصف الدّيار في عددٍ من مقدّمات قصائده ، فوقف على الدّيار ، وبكي شَجوَ التّذكار ، واستعرض طيفَ محبوبته فحنّ وأنّ ، وكان منظرُ الآثار يثيرُ شجُونه ، فيتحسّر على ما مضى من شبابه ، ويبكي ذِكرياته الغابرة (٤) . يقول (٥):

لِمَن المنازل أقفرت بِغَبـــاءِ لو شئتُ هيّجت الغداةَ بُكائي (٦)
فالغَمر غَمر بني خُزيمـة قد تُـرى مأهولةً فَخلــت من الأحيــاء
لولا التجــلّد والتّعزي أنّـــه لا قومَ إلاّ عَقرهـــم لفَنــاءِ (٧)
لرثيتُ أُصحابي الذينَ تتابعـــوا ودعوتُ أخرسَ لا يُجيبُ دُعائي

---

(١) أنساب الأشراف ٥ : ٣٥٨ ، والحيوان ٧ : ١٠٢ .
(٢) غير ما خُرس : أي لا يتكلم ولا يُنكر .
(٣) الزّفْن : اللّعب والرّقص .
(٤) عديّ بن الرّقاع العامليّ : حياته وشعره ، رسالة ماجستير مخطوطة ، الجامعة الأردنية ص : ٩٦ .
(٥) الدّيوان ص : ١٦١ .
(٦) غَباء : موضع بالشام .
(٧) عَقرهم : أصلهم .

ويذكرُ عدي في مقدّمة أخرى أنّه لم يتمكن من معرفة ديار محبوبته إلاّ بعد جهد ، إذ ظلّ يتفرّس فيها حتى انتصف النّهار وفاضت عيناه بالدّموع يقول [1]:

غَشيتُ بعِفرى أو برِجلتِها رَبعا | رماداً وأحجاراً بقِينَ بها سُفعا [2]
فما رُمتها حتّى غذا اليومُ نصفه | وحتى امترت عيناي كِلتاهُما دَمعا

ورسمَ عديّ صورة طريفةً لبكاء الدّيار الخالية التي تركها أهلُها ، وعَدت عليها عوادي الزّمن ، فتركتها آثاراً دارسة ، بعد أنْ كانت مأهولةً عامرة ، فذكرها بكثير من الحَسرة والألم ، وناجاها واستَسقى لها ، فقال : [3]

فهل انتَ مُنصرفٌ فتنظر ما الذي | أبقى الحوادِث من رُسوم المَنـزلِ
دارٌ بإحـدى الرّجلتيْنِ كأنّهـا | قد عُفّيتْ حِجَجاً ولمّا تُحلَـل
وكأن سُـهكَ المُعصرات كسونَها | تُربَ الفدافِدِ واليفاع بِمُنخُلِ [4]

ثمّ قال :

فَسُقيت من دارٍ وإنْ لم تسمعي | أصواتَنا صوبَ الرّبيع المُسبلِ [5]
قد كان أهلُكِ مرّةً لكِ زينةً | فاستَبدلوا بدلاً ولم تستَبدلي
فابكي إذا بكت المنازلُ أهلها | معذورةً وظَلَمْتِ إنْ لم تفعلي
أهلاً كراماً منْ يحلّكِ مثلهم | في ذا الزمان ولا الزمان المُقبل
تركوا الأخاديدَ التي صَرفوا بها | عن فُرشـهم قَضَض التّلاع المُسبل [6]
ورمـادَ نـارٍ قـد تهيّأ للبِلى | فسوادُ شاكتِه كَمتْـن الخَـردلَ

وكرّر عديّ صورةَ الدّيار العافية في مُقدّمات قصائد أخرى له[7]. وتتجلى قيمةُ وصفه للديار في أنّه خلّد في شعره أسماء العديدِ من المواقع الشّاميّة [8].

---

(١) الديوان ص : ٢٢٢ .
(٢) عفرى : ماء بالبلقاء وهو اليوم بمحافظة الطفيلة في الأردن . والرّجلة : مسيل الماء من الرّوضة إلى الوادي . والسفع : السود .
(٣) الديوان ص : ٦٨ ـ ٧٠ .
(٤) السّهك : الريح الشديدة . والمُعْصرات : ذوات الإعصار .
(٥) صوب الرّبيع : مطره .
(٦) القض والقَضَض : صغار الحَصى .
(٧) انظر : الدّيوان ص : ٤١ ، ٤٩ ، ٨٢ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٧٧ .
(٨) انظر : نفسه ص : ٤٩ ، ٥١ ، ٦٤ ، ١٢١ ، ١٦١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ .

وخَلَع بيهسُ بن صُهيب الجَرميّ صورةَ حُزنه وانكسارِ نفسه وألمه لموت مَحبوبته صفراء على ديارها ، فَبَدت مُقفرةً موحشة ، حتّى إنّه أنكرها لما ألمّ بها ، ولم يكَدْ يتبيّن معالِمها لولا أنّه رأى نَخيلَ الرّماد بين الأحجار ؛ لأنّ الرّياح عفّت رسُومها وغيّرت ملامِحها بما تسفيه عليها من تُراب يقول(١) :

هلْ بالدّيار التي بالقاع من أحدِ ... باقٍ فيسمع صَوتَ المُدلج السّاري
تلكَ المنازلُ من صَفراءَ ليس بها ... نارٌ تُضيءُ ولا أصواتُ سُمّار
عفّت معارِفها هَوجاء مُغبرةٌ ... تسفي عليها تُراب الأبطحِ الهاري (٢)
حتّى تنكّرت منها كلّ مَعرفةٍ ... إلاّ الرّمادَ نخيلاً بينَ أحجار
طالَ الوقوفُ بها والعين تَسبِقُني ... فوقَ الرّداءِ بوادي دَمعها الجاري

ووصَف النّعمان بنُ بشيرُ الأنصاريّ السّحاب والبَرق ، والمطرَ والرّعد فقال (٣) :

سقى أمّ عبد الله مُعروفُ الذّرى ... أجشُّ هَزيم يحفِشُ الودقَ مُقدما
قَعدتُ له تُزجي مطافيله الصّبا ... إذا ما دَنا منه صَبيرٌ تَحمحَما (٤)
له هَيدبٌ دانٍ يزلُّ جَهامُهُ ... عن اكلَفَ رجّافِ العشيّات أسْحما (٥)
إذا رجفت منه رحى مُرجَحنّةٌ ... إلى مُكفهِرٍ كالأخاشِبِ أرزَما (٦)
فلمّا تداعَتْ بالسّجال ذَنوبُهُ ... بيثربَ تَمْري صادقَ الوَبلِ مظلما (٧)
ترى القُمْرَ بالقيعانِ جِئنَ بُنانَه ... أبابيلَ يَنْسُفْنَ الجَميمَ وصيّحا (٨)

---

(١) الأغاني ٢٢ : ١٣١ . وانظر : المنازل والدّيار ص : ٩٠ .
(٢) الأبطح : مَسيل واسع فيه دقائق الحصى . والهاري : المتصدّع .
(٣) شعر النّعمان بن بشير الأنصاري ص : ١١٧ - ١١٩ .
(٤) المَطافيل : السُّحب الصّغار . وصَبير : سحابٌ أبيض لا يكاد يُمطر . وتَحَمْحُم الفَرس : صوتُه .
(٥) هيدبُ السّحاب : ما تهدّب منه إذا أراد الودَق كأنّه خيوط . والأسحم : الأسود .
(٦) مُرجَحَنّة : مُستديرة ثقيلة . ومكفهرّ : أسود غليظ متراكب . والأُخاشب : الجبال . وأرزم : صوّت .
(٧) السّجل : الدّلو إذا كان فيه ماء . وتَمري : تستَدرّ .
(٨) القُمر : طيور . بُنانه : روضه : أبابيل : فرق وجَماعات . وينسُفْنَ : يقتلعنَ . والجَميم : النّبت والصيّم : الصّلب الشّديد .

فالرياح تدفعُ قطعَ السّحاب الأبيض والأسود ، فتبدو كأنها قطيعٌ من صِغار الغَنَم ، وإذا ما دَنَت السُّحب الثقيلة المُحمّلة بالمطر من السُّحب البيض الخَفيفة ، فإنّ رعودَها تُحَمحِم كَحمحمة الفَرس الأصيل ، وتَتدلى أهدابهُا نحو الأرض حتّى تكاد تمسُّها وهي تُشبه في حركتِها وتموّجها وتَداخلها بحراً أسحمُ متلاطمَ الأمواج ، فَسُحبُ مُتلاحمة مُتراكبة كالجبال ، وأخرى مُتفرقة ، وثالثة ذات ألوان تنثُّ المَطر ويلمعُ فيها ضوءُ البرقِ ، فيكشفُ ما تحتها من مروج مُمرعة (١) .

ووصَفَ النّعمانُ بن بشير كذلك السُّهولَ الممّتدة والرّياضَ اليانِعة التي تبدو تحت الشّمس كأنّها بُسطٌ مُزركشة مرقومة (٢) .

وقال جوّاس بنُ القَعطلِ يصفُ النّجوم في ليلةٍ مُظلمة ، مُشبهاً الشّعْرى بِقنديل مُعلّق ، وسُهيلاً بِشهابٍ يحمله القابِسُ فيحرّكه تجاه الرّيح ، فيزدادُ توهّجاً (٣) :

أرِقْتُ بدَيرِ المــاطِرون كــأنّني … لساري النّجوم آخر الليل حارِسُ (٤)
وأعرضت الشّعْرى العَبور كأنّها … معلّقُ قِنــديل علته الكنــائس
ولاحَ سُهيلٌ من بعيــدٍ كأنّه … شِهابٌ نَحاهُ وِجهة الرّيح ِ قابِس

وتأثّر عديّ بن الرّقاع ببيئة بلاد الشام الجميلة ، إذ وُلِدَ فيها ، واستنشقَ هَواهَا ، وشاهدَ جبالها وسُهولها ، وأنهارَها ورياضها ، وأشجارها وطيرها ، وبرقها ومطرها . وترددت أسماءُ كثيرٍ من مُدنها وقراها وأنهارها في شعره (٥)، وكانت صُور هذه البيئة تمتزج بأكثر أغراض شِعره ، إلاّ أنّها كثرت في الوصف كثرةً مطلقة . وقد استطاع تصويرَها تصويراً بارعاً اعتمد

---

(١) شعر النّعمان بن بشير الأنصاري ص : ٥٩ .

(٢) انظر : نفسه ص : ٥٩ ، ١٢٤ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنية) ٤ : ٢٥ . وانظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٤١٧ . والبيتان الثاني والثالث في : المؤتلف والمختلف ص ٩٩ ـ ١٠٠ . والبيت الثالث في : ديوان المعاني ١ : ٣٣٨ .

(٤) الماطِرون : بكسر الطاء ، اسم أعجميّ يلزم الواو وتُعرب نُونه . وهو موضعٌ بالشّام قُرب دمشق . انظر : معجم البلدان : الماطرون .

(٥) انظر : الديوان ص : ٥١ : ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، ١١٨ ١٢١ ، ١٣٧ ، ١٥٦ ، ١٦٨ ، ١٧٢ . وفي مواضع أخرى كثيرة .

فيه على قوّة خياله ودقّة ملاحظته (١) . قال يذكر البرقَ والمطر والغَيم والريّح الشّاميّة (٢):

فقُمتُ أخبرهُ بالغيث لم أرهُ والبرق إذ أنا محزونٌ له أرِقُ
مُزنٌ تُسبّحُ في ريح شآمية مكلّل بعَماء المـاء مُنطلقُ (٣)
لمّا اكفهرّ شُريقيّ اللّوى وأوى إلى تَواليه من سُفارِهِ رَفِق (٤)
تربّص اللّيل حتّى قال شائمهُ على الرّويشد أوْ خَرجائه يَدِق

ثمّ يصفُ لمعانه فيقول :

ألقى على ذاتِ أحْفارٍ كلاكِلهُ وشبَّ نيرانه وانجابَ يأتلِق (٥)

وقال يصفُ لمعان البرق (٦):

يا مَنْ يرى برقاً أرقتُ لضوئه أمسى تلألأ في حَواركِهِ العُلى (٧)
لمّا تلَحلَحَ بالبياض عَماؤهُ حَولَ الغُرَيفة كادَ يَثوي أو ثَوى (٨)
فأصابَ أيْمنه المَزاهر كلّها واقتمَّ أيْسره أُثيْدَةَ فالحثى (٩)

ووصفَ عديّ البَرق والرّعد في قصائد أُخرى له (١٠) ، وأشارَ أيضاً إلى أنواءِ الشام (١١).

ومن وصف البيئة الشّاميّة قولُ حكيم بنِ عيّاش الكلبيّ يصفُ المِزّة ، ويُفاخرُ بها ، ويتعصّبُ لها وكان أسامة بنُ زيد ـ رضيَ الله عنهما ـ خالُ الأعور قد قدم الشام على مُعاوية فقال له : اختَر لك منزلاً ، فاختار أسامةُ المِزّة ، واقتطع فيها وعِترته(١٢) :

(١) عَديّ بن الرّقاع العامليّ : حياته وشعره ، رسالة ماجستير مخطوطة الجامعة الأردنية ص : ٧٥ .
(٢) الدّيوان ص : ١٤٦ ـ ١٤٧ . وانظر : الدّيوان ص : ١٦٦ .
(٣) العَماء : كثرة السيل أو الماء .
(٤) اكفهرّ : غلظ وركب بعضه بعضاً . من سُفّاره : أي ما كان مُتَنحياً منه .
(٥) كلاكله : أي مطره . وشبّ نيرانه : كثر لمعانه .
(٦) الدّيوان ص : ١٦٥ ـ ١٦٦ .
(٧) حوارِكه : يريد أعاليه ، وأصله من حارك البَعير وهو قُدّام السّنام .
(٨) تلحْلح : أبطأ . عماؤه : ماؤه . ويثوي : يُقيم .
(٩) اقتمّ : نكسٍ وجرف كلّ شيء فيها . والمزَاهر وأثيدة والحثى : مواضع .
(١٠) انظر : الديوان ص : ٢٢٣ .
(١١) انظر : نفسه ص : ٩١ .
(١٢) تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنية) ٣ : ١٤٨ ، ٥ : ١٣٥ ، وانظر : معجم الأدباء ١٠ : ٢٤٧ . تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٢١٩ ، ٤ : ٤٢٥ .

إذا ذكرتْ أرضٌ لقومٍ بنعمةٍ فبلدةُ قومي تَزدَهي وتَطيبُ
بها الدِّين والأفضالُ والخَيرُ والنّدى فَمَن يَنتَجعها للرّشادِ يُصيب (١)
ومن ينتَجعُ أرضاً سِواها فإنّه سَيَندم يوماً بعدها ويخيبُ

إلى أن يقول :

فأسكَنَها كلباً وأضحى ببلدةٍ لها منزلٌ رحْب الجناب خَصيب (٢)
فنِصفٌ على برٍّ فسيح ونُزهةٍ ونصفٌ على بحرٍ أغرّ [يطيبُ] (٣)

فهو يمتدح بلدتَه فيقول : إنّ بها الخَيرَ والدّين والنّدى ، ويذكر أنّها خَصيبةٌ رحبَة الجناب ، نِصفها على البرّ ونِصفها الآخر على البحر ، وربّما جازَ لنا أن نستدلّ من أبيات حكيم ابن عيّاش هذه على قيام مُفاخرات بين شُعراء القُرى الشّامية ، واستشعار كلّ منهم العصبيّة لقريته .

٣ ـ وصف الظُّعن :

وَصَفَ شُعراء الجاهليّة الظّعن ، وكانت مقدّمة وصفِها من الأشكال الأساسية لمقدّمات قصائدهم ، إلاّ أنّها تحوّلت إلى اتّجاه فرعيّ عندَ من تلاهم من الشّعراء المُخضرمين والشّعراء الفُحول في العصر الأمويّ (٤). وتحدّث عنها عددٌ من شعراء القبائل اليمانيّة الشّاميّة هم : النّعمان بن بشير الأنصاريّ ، والأُقَيْلِ القيْني ، وعديّ بن الرّقاع العامليّ ، وشبيب بن يزيد بن النّعمان بن بشير الأنصاريّ .

فأمّا النّعمان بن بَشير (٥) ، والأقيبل القَيني (٦)، وشبيب بن يزيد بن النّعمان (٧) ،

---

(١) الصّواب : يُصب ، وبها يختلُّ الوزن .
(٢) ويُروى البيتِ في : معجم الأدباء هكذا : فأسكنها كلباً فأضحت بُليدةً بها ... »
وهي رواية أقرب الى المعنى الذي قَصَده الشّاعر .
(٣) في تاريخ مدينة دمشق : « ونصف على بحر أغرّ رطيب » وهو إقواء . والتصحيح من معجم الأدباء ١٠ : ٢٤٧ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ٤٢٥ .
(٤) د. حسين عطوان : مقدّمة القصيدة العربيّة في العصر الأمويّ ص : ٧٦ .
(٥) انظر : شعر النّعمان بن بشير الأنصاريّ ص : ١٢٣ .
(٦) انظر : المُؤتلف والمُختلف ص : ٢٥ .
(٧) انظر : معجم البلدان : أعابِل .

فإنّهم وَصَفوا الظّعن وصفاً سريعاًفي بيت أو بيتين . وأمّا عديّ بن الرّقاع فقد وصفَها في عدّة قصائد (١)، واستهلّ اثنتين منها بوصف الظُّعن . أولاهما في مدح الوليد بن عبد الملك (٢) اقتصر فيها على أربعة أبيات وصف فيها حُمولَ خليلته فتحدّث عن مَسيرها غُدوة ، وعن حُداتها ، وعدّد المناطق التي قطعتها ، وشبّهها بالنّخيل ، ولكنّه لم يُطل في وصفِها .

والثّانية في مدح مُرّي بن ربيعة الكلبيّ (٣)، وقد جاءت أكثر تفصيلاً ، إذْ حافظَ فيها على كثير من العناصر الموروثة في وصفِ الظُّعن ، فذكر استعداد القومِ للرحيل ، وما شاع بينهم من أصوات الاختلاف في الرأي ، ووصفَ ارتحالهم في الفَلاة وتعرّض الآل دونهم ، وتحدّث عن الجِمال التي تَحمل الظّعن ، والحُداة الذين يسوقونها ، ووصفَ ألوانَ الهَوادج .

ومدَحَ عديٌّ في قصيدته الهائية الوليدَ بن عبد الملك فابتدأ بالغزَل ثمّ انتقل الى وصف الظُّعن ، فبيّنَ شوقه اليها وما تركه ارتحالها غُدوةً في نفسه من ألم وحسرة، ووصفَ مسيرها في رحلتها الطّويلة ، متّخذاً من الحديث عنها وسيلةً للتّعبير عن مخاوفه وأحزانه بانقضاء عهد الشّباب وأيّامه الحلوة ، وخوفِه من النّهاية الحَتميّة ، بعد أنْ غَزا الشّيب رأسه (٤) . فقال (٥):

يا شوقُ ما بكَ يومَ بانَ حُدوجُهُم	من ذي المُويقع غُدوةً فرآها (٦)
وكأنّ نخْلاً في مطيطة ثاوياً	بالكمع بينَ قَرارها وحَجاها (٧)
وعلى الجِمال إذا ونينَ لسائق	أنزلـــنَ آخر رائحــاً فحَـــداها .
من بين مختضع وآخرَ مشيهُ	رَقِلٌ إذا رُفعتْ عليه عَصاها (٨)
من بين بِكر كالمهاةِ وكاعبٍ	شَفَعَ النَّعيمُ شبابها فغَذاها (٩)
لا مُكثرٌ غُسٌّ ولا ابن وليدةٍ	بادي المُروّة يستبيحُ حِماها (١٠)

---

(١) انظر : الدّيوان ص : ١١٥، ١٢٨ ، ١٤٤ .
(٢) انظر : نفسه ص : ٢٠٤ .
(٣) انظر : نفسه ص : ٢٣٤ .
(٤) عدي بن الرّقاع العامليّ : حياته وشعره ، رساة ماجستير مخطوطة ، الجامعة الأردنية ، ص ٧٧ .
(٥) الدّيوان ص : ٩٧ - ١٠٠ .
(٦) الحُدوج : مراكب النّساء .
(٧) مُطيطَة : موضِع . والكِمع : المطمئّن من الأرض . والحجاء : ما أشرف من الأرض .
(٨) مُختضع : أي يطامن عنقه . وعصاها : يريد عصا الحُداة .
(٩) الكاعِب : التي كعب ثديُها . وشفع : ثنّى .
(١٠) الغُسّ : الضّعيف اللّين ، والوليدة : الأمة .

وجعَلنَ محمل ذي السّلاح مجنّهُ رعْنَ اليتيمةِ وافترشنَ حِماها (١)
أصْعدنَ في وادي أُثيدة بعدَما عَسفَ الخميلة وأحزألَّ صُواها (٢)
قُرَيّة حبلَ المُقيظ وأهلُها بحشا مآب تُرى قُصورُ قُراها (٣)
واحتلّ أهلكِ ذا القُتود وغُرّباً فالصحْصحان فأين منكِ نَواها (٤)
فإذا تحيّر في الفؤادِ خيالها شَرَقَ الشؤون بعبرةٍ فبكاها (٥)

فهو يشبّه الظّعن وهي تعلو وتهبط وتتعرج في سيرها في طَريق وعِرة بنخل مُطيطة الذي لا يبدو مُستوياً . ويتحدّث عن الحُداة ، ويُعدّد المواضعَ التي اجتازتها الظُّعن ، ويتتبّعها وهي تنتقل من مكان إلى مكان ، ثمّ يتذكّر صاحبةَ الظُّعن فيبكيها بكاءً حاراً .

وواضحٌ أنّ عديّاً لمْ يستوفِ وصفِ الظُّعن في قَصيدةٍ واحدة ، ولم يفصّلْ في مشاهد ارتِحالها تِفصيلاً دقيقاً .

٤ ـ وصف حيوان الصحراء

ووَصف شُعراء القبائل اليمانية الشّامية بعض حيوانات الصحراء ، كالخيل والإبل لما لها من مكانة عزيزةٍ في نفوسهم ، فهي مصدر الخير والرزق ، ورفيق السَّفر والحرب .

أ ـ وصف الـخَـيل :

كانت صُور الخيْل في الشّعر الجاهليّ تدور حول قُطبينَ أساسيين : خيل الغارة ، وخيل الصّيد (٦). ولم يُفرد شُعراء اليمانيّة لوصف خيـلِ الغارة قصائد أساسية أو مقطوعات مُستقلة ، وإنّما تناثرت أبياتٌ في وصفِها في أشعارهم التي قالوها يَفتَخرون ببسالة فُرسان قَبائلهم ، ويتمدّحون بسطوتهم وعزّهم (٧) .

(١) الرّعن : أنف من الجبل يتقدّم منه .
(٢) احزألّ : انقبض واجتمع . والصّوى : ما ارتفع من الأرض وغَلُظ .
(٣) قُرية : من بني قرّة بن عاملة . وحبل المقيظ : أي حبس القيظ ، وهو شدّة الحرّ . والحشا : الجانب . ومآب : من قرى البلقاء .
(٤) ذو القُتود : جبل . وغرّب والصحصحان : موضعان .
(٥) الشؤون : واحدها شأن ، ومنه مجرى الدّموع .
(٦) د. نصرت عبد الرحمن : الصّورة الفنيّة في الشعر الجاهليّ في ضوء النّقد الحديث ص : ٨٤ .
(٧) انظر مثلاً : ديوان عدي بن الرّقاع العاملي ص : ٥٥ـ ٥٦ ، والأغـاني ١٩ : ١٤٥ والتنبيه والإشراف ص : ٢٦٧ .

وانفرد عديّ بنُ الرّقاع من بينهم بوصف خيل الصّيد (١) ، فقد كان من أوصفِ الشعراء للمطية (٢) ، فشبّه فرسه بتيس الفَلاة أو جؤذرِ الحُلّب السّمين الذي يتميّز بالقوّة والنّشاط ، بسبب طيب مرْعاه (٣).

وقال عديّ يصفُ حركةَ فَرسه وجِسمه ونشاطه وسُرعته (٤):

ولقد أغتدي بأجرد نَهـــدٍ	لاحَهُ بعد طيِّه المِضـــمارُ (٥)
أيّدُ القُصـــريين ما قيدَ يومـــاً	ليُعنّى بصـــرعه بيطـــار (٦)
حوشبُ الصُّلبِ أفرعَت كَتِفـــاه	في محاني ضُلوعه إجْـــفارُ (٧)
ويُرى مُجفِراً إذا هو ولّـــى	في حماتِه شِدّة وانبِتـــار (٨)
مُدمَجاً خَـــلقه إذا مـــا	راعَهُ صوتُ صـــارخ يُستطار
وإذا اهتزّ مُقبلاً زانه أتلعُ (م)	كالجذع ما يُنـــالُ العِـــذار (٩)
حَملتهُ رجلٌ قَذوفٌ على (م)	عضْبِ يدٍ ما يُخاف منها عِثار (١٠)
ونسورٌ لها حَـــوافرُ صُـــمٌّ	ما يُرى من أرْساغِهنّ انتـــشار (١١)
كالجلاميد في المَسيل علاهُنَّ (م)	من المـــاءِ خُـــضرةٌ واســمِرار
مُشِقَ اللحمُ عن شَواهنَّ مَشْقاً (م)	فَتعـــالى واشـــتدّت الأوتار
وعَلا الزّور مَنبض القلبِ منهُ	بحيازيمَ بينها أســـتار (١٢)

(١) انظر : الديوان ص : ٦٤ ، ١٧٩ ، ٢٥٠ .

(٢) الأغاني ٩ : ٣٠٤ .

(٣) انظر : الدّيوان ص : ٢٥٠ .

(٤) نفسه ص: ١٧٩ - ١٨٢

(٥) أجرد : قصير الشعر . نهد : غليظ .

(٦) أيّد : شَديد . والقُصريَ والقُصيرى : ضلع قصيرة في آخر الآضلاع مما يلي الخَاصِرة . وقال بعضهم : هي الضِّلع القصيرة مما يلي الصّدر .

(٧) الحوشب : المُنتفخ الجنبين . وأفرعت : أشرفت

(٨) مُجفر : مُنتفخ الجنبين . الحماة : لحمة في السّاق تُرى في عرضها .

(٩) التّلع : طول العنق .

(١٠) عَضب : شدّة جدْل .

(١١) النّسور : مثلِ النوى في بطنِ الحافرِ .

(١٢) الزور : مقدم الصّدر . وأستار : مستترة .

وضُلوعٌ كأنّها حينَ ولّى   لاحَ منها بكلّ ضلعٍ شِــجار (١)

فعلا الصُّلبُ فاستتبَّ إلى (م)   حيثُ تكون الفُرسانُ منه الفقار

فهو طاوٍ أقبّ كالمسَدِ الأملس (م)   عاري الشّوى مُمَرٌّ مُغــار (٢)

فاقتنصــنا بــه . وقيــل بأخْــوى   ذاتِ فِرقَين عانةٌ وحبــار (٣)

فهو فرسٌ مُكتملُ الصّفات ، سليمُ البدن لم يُعالج ، قويُّ الضّلوع ، أجرد ، نشيط كتِفاهُ مُرتفعتان جوفُه واسع ، في ضُلوعه انحناءة من أعلى أصولها مما يدل على كرمه وعِتقه ، وهو طويلٌ عظيمُ الجَنبين ، شديد العَدْو دقيقُ الخَصر ، ضامرُ البطن ، أملسُ الظّهر ، قوائمهُ ممشوقةٌ نحيفة ، وهذه هي صفات الفرس المثال .

ب ـ وصــف النّاقــة :

حَظيت النّاقة بأكبر قدر من صُور الحَيوان في الشّعر الجاهليّ (٤)، لأنها الحيوانُ الرئيسيّ الذي اعتمدَ عليه العربُ في حياتهم . وقد وصَفها اثنان من شعراءِ القبائل اليمانيّة الشاميّة هما : النّعمان بن بشير الأنصاري ، وعديّ بن الرّقاع العامليّ . فأما ناقةُ النّعمان ، فإنّها من كرام الإبل البيْضِ ، عظيمة في خلْقها ، تبغم كالظبية إذا ما مسّها لَغَب . وهي سريعةٌ تطوي المفاوز ، وتسحقُ الحَصى والحِجارة حتّى تَدمى أخفافُها يقول (٥) :

فسلٌ لُباناتِ الهوى بجُلالةٍ   جُماليَّـةٍ تكْسو الكَلالَ تَبغُّما (٦)

إذا اندفعت تَمشي المنصّة بالفتَى   وبالرّحل طابت نفْسه فترنّما (٧)

تُخاوصُ للرأي البعيد وتَتَّقي   بأعقابِ عينْيها القَطيعَ المُحرّما (٨)

ثمّ يقول :

سأعملها في النّصِ حتى أُكلَّها   وحتّى تَبلَّ الخفُّ من نَقَبٍ دَما

(١) الشّجـار : أعواد تُشدّ على مُقدم الغَبيط ومؤخره ، ثمّ يُشدّ فوقَ الهودج .

(٢) المَسَد : حبل من جلود الإبل .

(٣) ذاتِ فرقين : موضع . والعانة : القطيع من حمر الوحش .

(٤) الصّورة الفنية في الشعر الجاهليّ في ضوء النّقد الحديث ص : ٧٧ .

(٥) شعر النّعمان بن بشير الأنصاري ص : ٥٨ ـ ٥٩ ، ١٢٣ ـ ١٢٥ .

(٦) جُلالة : ناقة عظيمة . جُمالية : عظيمة الخَلق . والبغام : صوت الظّبية .

(٧) النّص : السّير الشّديد .

(٨) الأخوص : الفاتر العَينين . والقطيع السّوط . و محرّم : جديد لم يُليَّن بعد .

وحتّى تَشكى من كَلالٍ ونهكَةٍ ومن نَصَب الأخياف خُفًّا ومنسِما

وأمّا عدي بن الرّقاع ، فإنّه وَصَفَ ناقته وصفاً دقيقاً ، ورَسَم لها صورةً خارجية مُحكمَة وصوّر رِحلتها في الصّحراء ، وشبّهها بحمار الوحش وأتنه ، فأفاضَ في الحديث عن صفات هذه الحُمر الوحشية ، وتَتبّع رحلتها للبحث عن الماء بعد أن جاء الصّيف واشتدّ بها الظّمأ ، حتى إذا بلغْنَ الماء ، تقدّم العَير صوبَه بحذَر مخافةَ وجودِ قنّاص ، وغالباً ما يَدَعُ الشعراء - ومنهم عديّ - الحُمُر الوحشيّة تنعمُ بالماء ، فلا يُفزعونها بصيّاد ، ولكنّهم يُدخلون أحياناً عُنصر المُفاجأة ، فيضعون صائداً فقيراً بجانب الماء ، كما فَعلَ عديّ في بعض قصائده ، ولكنّ سِهامَه تطيش ، وتُولي الحُمُر هاربةً [1]. وشبّه ناقتَه أيضاً بقطاة تعيش في أرضٍ صلبة خصبة [2]. ليدلّل على قوّتها وصلابتـها وسُرعتها ، مُخالفاً بذلك شُعراءَ الجاهلية ؛ لأنّهم كانوا يشبّهون خُيولهم بالقطا [3]. وكان عديّ يَستذكر ناقتَه عندما تَتكالبُ عليه الهُموم ، ليسرّي نفسه بذكرها ، ويُحافظ على العناصر الجاهليّة في وصفِه لها محافظةً شديدة ، فيقول بعد أن وَصَفَ الأطلال ، وذَكرَ عزوف صاحبته عنه ، بسبب شَيـبه ، وتأملَ في الحياة التي لا تَدوم [4]:

فصرمٌ الهمَّ إذْ ولّى بناجيةٍ عيْرانيةٍ لا تَشكّى الأصر والعَمَلا (٥)
من اللّواتي إذا استقبلنَ مَهمهةً نَجّينَ من هولْها الرّكبانَ والثُّقلا
مَنْ فرّها يَرَها من جانبٍ سَدَسا وجانبٍ نابُها لم يعدُ أن بزلا (٦)
حَرْفٌ تشذّرُ عن ريّان مغتَمسٍ مُستحقِب رزأتُهُ رحمُها الجَملا (٧)
أوْكَتْ عليه مضيقاً من عَواهِنِها كما تضمّنٌ كشحُ الحُرّة الحَبلا

ويَحشدُ عــديّ لناقته الصّــفات الحسنة المُحبّبة ، فيقول مُتخلّصاً من حديثه عن محبوبته [8]:

---

(١) انظر : الديوان ص : ١٠٤ ، ١٥٣ ، ٢٢٦ ، والصورة الفنّية في الشعر الجاهلي في ضـــوء النّقد الحديث ص : ٨٣ .
(٢) انظر : الدّيوان ص : ٧٨ - ٧٩ .
(٣) الصّورة الفنيّة في الشعر الجاهلي في ضوء النّقد الحديث ص : ٨٦ .
(٤) الدّيوان ص : ٧٦ - ٧٧ .
(٥) الأصر : الحَبس الضيّق ، وقلّة العَلف والمرعى .
(٦) فرّها : نظر إلي سنّها . والسّدس والسّديس : التي بلغت ثماني سنين .
(٧) حرف : ضامر . وتشذّر : تشول بذَنبها .
(٨) الدّيوان ص : ١٠٠ - ١٠٤ .

أفلا تناساها بذاتِ برايةٍ | عَنْسٍ تَجُلُّ إذا السّفار بَراهـا (١)
تطوي الإكامَ إذا الفلاةُ توقّدت | طيّ الخنيف بوشكِ رَجع خُطاها (٢)
وتشولُ خشيةَ ذي اليَمين بِمسبَلٍ | وَحفٍ إذا صَخِبَ الذّباب حماها (٣)
متذيّل لدنِ المفاصل فوقـه | عَجبٌ أصمٌ يسدُّ خَوْرُ صَلاهـا (٤)
نُخِست به عُجزٌ كأنّ محالَهـا | درجٌ سليمانُ النّبـي بَناهـا (٥)
بُنيت على كَرِشٍ كأنّ حُرودَهـا | مُقطٌ مُطـواة أُمِرَّ قُواهـا (٦)
في مُجفرٍ حابي الضُّلوع كأنّه | بئرٌ يُجيب الناطقين رَجاهـا (٧)
ويقودُ ناهِضها مَجامعَ صُلبهـا | نَعباً وتبتدرُ النّجاء يَداهـا (٨)
وتسوقُ رِجلاها تَواليَ خلقهـا | طرداً وتلتطسُ الحَصى بِعُجاها (٩)
ألقت على متنِ الطّريق جنينَهـا | بتَنوفةٍ قفرٍ يحارُ قَطاهـا
فَغَدت وأصبح في المُعرّس ثاوياً | كالجروِ مُلتفِعاً عليه سلاها
ولها مُناخٌ قلَّ ما بَركتْ بـه | وَمُصمعّاتٌ من بنات معاهـا (١٠)
سودٌ تَوائم من بقيّة حَشوها | قَذَفت بهنّ الأرض غِبَّ سُراها (١١)

فهي ناقةٌ تقطع المفاوز وتطوي الفَلَوات ، ذنبها كالسّوط يتحرّك فيُخيفُ الذُّباب ، فلا يستطيع الاقتراب منها ، وتُشبه فقرات ظهرها الدّرج كنايةً عن عِظمها وضخامتها ،

(١) ذات براية : أي ذات بقيّة إذا براها السّير . والعنس : الصّلبة .
(٢) الخَنيف : ضرب من الكتّان رديء .
(٣) ذو اليمين : يعني السّوط . ومسبل : ذَنب طويل . والوحف : الكثيف .
(٤) متذيّل : طويل . ولدْن : ليّن . والعجب : أصل الذنب . والصلوان : مُكتنفا الذنب عن يمينه وشماله .
(٥) المحال : الفقار .
(٦) الحُرود : الطّرائق اللواتي في الكرش . والمُقُط : الحبال .
(٧) مُجفر : جوف واسع . وحابي الضّلوع : مُشرف الضّلوع . ورجاها : ناحيتها .
(٨) ناهضها : عنقها . والنّعب : ضرب من السّير . والنّجاء : السّرعة .
(٩) تلتطس : تدقّ . والعُجاية : عصبة في مؤخّر الوظيف تمتدّ الى الرّسغ .
(١٠) مصمعّات: بعرات ملتصقات صغيرات .
(١١) حَشوها : علَفها . وغبّ سُراها : بعد سُراها .

وهي ناقةٌ جوفها واسعٌ كالبئر التي يتردد فيها الصدى ، وأمعاؤها مفتولة كالحِبال . ولم ينسَ عديّ أن يرسمُ صورةً لبعراتِها السّود اللّواتي بقينَ في مناخها .

ووصفَ عديّ بن الرقّاع الجمل أيضاً وشبّهه بعيرِ الفَلاة في النّشاط والقوّة (١). وله شعر يشبّه فيه نَفْسه بالحيّة (٢).

٥ ـ وصْف الخَمــر :

قلَّ شعرُ الخمر في القرن الأوّل الهجريّ قلّة ملحوظة قياساً إلى ما كانَ عليه في الجاهليّة وصدر الإسلام . ويعودُ السّبب في ذلك إلى أنّ الشّعراء وإن لم يستجِب بعضُهم لدعوة الإسلام إلى تحريم الخمر في حياته العملية ، فإنّهم استجابوا لها في شعرهم ، فَعزفوا عن ذِكر الخمر في قصائدهم (٣).

ويَنفرد عديّ بن الرّقاع من بين شُعراء اليمانية بوصف الخمر ففي ديوانه أبيات شبّه نفسه فيها بشارب الخمر ، وذكَر الخمر المَقدّية الصّهباء التي تصرعُ شَربها ، ووصف عِتق خَمر حُديجاء وصفاءَها ومنابتَ كرْمها فقال (٤) :

أميدُ كأنّي شاربٌ لعِبت بـــه ... عُقارٌ ثَوت في دنّها حِجَجاً تسعا
مقدّيةٌ صَهباء تُثخنُ شَـــربَها ... إذا ما أرادوا أنْ يُراحوا بها صرعى (٥)
عُصارةُ كرم من حُديجاءَ لم تكـــن ... مَنابتها مُستحدثاتٍ ولا قُرعـــا (٦)

وذكر عديّ خمر فلسطين فقال (٧) :

فكأنّي من ذكرهـــم خالَطتنـــي ... من فلسطينَ خَمرُ جَلس عُقـــار (٨)

(١) انظر : الدّيوان ص : ٤٣ ـ ٤٧ ، ٦١ ، ٢٠٥ ـ ٢٠٧ .
(٢) انظر : نفسه ص : ٢٦٥ ، والأشباه والنّظائر ٢ : ٩٣
(٣) الشّعراء من مخضرمي الدّولتين الأمويّة والعبّاسية ص : ٢٩٥ . وانظر : نالينو : تاريخ الآداب العربيّة ص : ٢٩٩ .
(٤) الديوان ص : ٢٢٢ .
(٥) مقدّ : قرية بدمشق في الجَبلِ المُشرف على الغَور . انظر : لسان العرب : مادّة : مقَد .
(٦) حُديجاء : قرية شامية . والأقرع : الذي لا نَبت فيه .
(٧) الدّيوان ص : ١٧٧ ـ ١٧٨ .
(٨) يُقال : إنّ بفلسطين دَيراً يُقال له : الجَلس . ويُقال : عَسَلٌ جَلس : أي طيّب .
انظر : الدّيوان ص : ١٧٧ .

عُتِّقَت في القِلال من بيتِ رأسٍ سنواتٍ وما سبتْها التّجـــار (١)
فهي صَهباءُ تَتركُ المرءَ أعشى في بياض العَينين منه احْمِرار

فخمرُ فلسطين خمرٌ صَهباء ، تُعتق في بيت رأس سنوات ، فتُعشي شارِبها لجودَتها وشدّة تأثيرها .

٦ ـ وصف الشَّيب والشّباب :

تحوّلت مقـــدّمة وصف الشَّيب والشباب من مقدّمة فرعية في الجاهليـــة إلى اتّجاه ثانويّ ، على أيدي الشعراء الفُحول في العصـــر الأمويّ ؛ لأنّهم لم يُكثِروا من استهلال قصائدهم بها (٢).

وقد تفجّع عديّ بنُ الرقاع على شبابه وجَزِعَ من مَشيبه وتقدُّم سنّه ، وبدا في حديثه عن الشّيب إحساسه بالخوف من النّهاية ، وهي الموت الذي يَنتظر كلّ حيّ يقول (٣) :

الشّيبُ يَختلسُ الشّبابَ تَخـــوّنـاً حتى يعودَ المـــرءُ مُنْتَقِضَ القُــوى

وفي ديوانه قصيدتان استهلهما بوصْف الشّيب والشَّباب ، فقال في أولاهما يُصوّر غِشيانَ رأسه في مديحه للوليد بن عبد الملك (٤) :

طال الكرى وألمّ الهمُّ فاكتنـعَا وما تَذكّرَ مَنْ قد فـــاتَ وانقطعـا (٥)
كان الشّبابُ رداءً استكنُ بـــــه وأستَظلُّ زَماناً ثُمَّتَ انقـــشعا
وبُدِّلَ الرأسُ شَيباً بـعـد داجيـــةٍ فينانةٍ ما تَرى في صُـــدْغها نَزعـــــا

ويرى عديّ في قصيدته الثّانية أنّ الشّيبَ مدعاةٌ للورَع والحِلم بعد الجهل ، فيقول مُستهلاً قصيدته في مدح عمر بن الوليد بن عبد الملك (٦) :

---

(١) بيت رأس: قرية شاميّة . وهي اليوم بمحافظة إربد بالمملكة الأردنية الهاشمية .
(٢) مقدّمة القصيدة العربيّة في العصر الأمويّ ص : ٩١ .
(٣) الدّيوان ص : ١٦٥ .
(٤) نفسه ص : ٢١٦ .
(٥) في الدّيوان : « طال » والرواية في غير الدّيوان : « طار الكرى » وهي أقرب إلى قصد الشاعر . واكتنعَ وكَنِعَ : قُرب ودَنا .
(٦) الديّوان ص : ١٠٨ . وانظر : ص ٢٣٢ .

علاني الشَّيبُ واشتعل اشتِعالا وقد غَشي المفارق والقذالا
وقد بُدّلتَ بعدَ الجَهلِ حِلماً وبعد اللهوِ ، فاسترضِ البدِالا

وشبّه الشّبابَ في إحدى قصائده بالضّيف الزّائر . وربّما كان افتقاده اللّذة التي كانت المرأة محورها ، وما أصابه من نَعيم في حياته ، هو الذي جَعله يُلحّ على ذِكر شَبابه ، فقد انفضّت الحسان من حوله وفزِعْن من شيْبه ، يقولَ بعد أنْ ذكر الأطلال وصاحِبتَها (١) :

وراعهنَّ بوجهي بعد جِدّته شيْبٌ تفشّغَ في الصُّدغين فاشتعلا (٢)
وسارَ غَربُ شبابي بعد جِدّته كأنّما كانَ ضيفاً حلَّ فارتَحلا (٣)

ثمّ يُعزّي نفسَه بأن لا شيءَ يبقى على قوّته ، فالسّيف يَنبو ، والآمالُ البعيدةُ تُغتال قبل أنْ تتحقّق ، ولو كان يدومُ شيءٌ ، أو ينجو من الموتِ ناجٍ ، لنَجت الوُعول التي تسكن رؤوس الجِبال ، أو الطيور التي تسكنُ المناطقَ الوَعرة العالية (٤) .

وممّن وَصَفوا قوّة الشباب وفرْطَ نشاطِه ، ووَهنَ المشيب وضَعفه : بيْهس بنُ صُهيب الجَرميّ ، إذْ ذكرَ شبابه وخوضَه غِمار المعركة ، ثمّ قارنَ ذلك بحالِ مشيبه وضَعْفه فقال (٥) :

ولقد شَهِدتُ الخَيل تَعثرُ في القَنا تحتَ العَجاجة تدّعي وتَثوبُ
في كلّ مُعتركٍ يَدعن مُناجداً فيه السِّنان وعاملٌ مخضوب
ولقد أفكُّ الغُلَّ عن مُستسلِمٍ فَزِعٍ أقرَّ فؤاده التّرهيب
واليوم سَعْيي إنْ سَعيتُ مُبادراً رَقصٌ ومشيي إنْ مَشيتُ دَبيب

---

(١) الديوان ص : ٧٣ .
(٢) تفشّغ : انتشر .
(٣) غرب كل شيء : جِدّته .
(٤) انظر : الديوان ص : ٧٤ - ٧٥ ، ٢١٨ .
(٥) المؤتلف والمختلف ص : ٨٦ .

ولعلّنا لا نبتَعدُ كثيراً عن الصّواب إذا قُلنا : إنّ شعر القَبائل اليمانيّة الشامية في وصف الخمر والشّيب والشباب قد سقط ؛ لأننا لو استثنينا أبياتَ بيهس بن صُهيب السّابقة ، فإنّه يتّضح لنا أنّ عديّ بن الرّقاع انفرد بوصفِ الخمر والشّيب والشّباب ، وأنّه استهلّ قصيدتين بمقدّمة وصف الشّيب والشباب ، فحفظ ديوانه بذلك شيئاً من شعر القبائل اليمانيّة في هذين الموضوعين من الوصف .

سابعاً : العِتاب

عرفُ الخلفاء الأمويون فضل القبائل اليمانيّة الشامية عليهم ، فقرّبوا رجالها واعتمدوا عليهم وخصّوا بعضهم بمناصب كُبرى في الدّولة ، فقد عَظُمَ سُلطان هذه القبائل في عهد يزيد ابن معاوية ، فكان منها عُظمُ جيشه الذي قاتل أهْل المدينة في موقعة الحرّة ، ثمّ حاصر مكّة وأحرّق الكَعبة سنة ثلاثٍ وستّين للهجرة (١) .

وبايعت هذه القبائل مروان بن الحكم في مؤتمر الجابية ، ونصرته على القبائل القيسية في معركة مرج راهط ، بعد أن أشرفَ حكم بني أُميّة على الزّوال ، فخصّها عبد الملك بن مروان بأهمّ المناصب في قَصره ، فكان منها موظّفو الدّواوين بدمشق كديوان الشّرط والجُند والخَراج والخاتم وبيت المال والحَرَس وغيرها من الدّواوين كما كانت صلب الجيش الأموي الذي يحرس الخلافة ويقمع المتمردين عليها (٢) .

وفي عهد الوليد بن عبد الملك ضَعُفَت سُلطة القبائل اليمانية الشّامية ؛ لأنّه خصَّ أبناءه وإخوته وأقرباءَه ومواليه بالمناصب الكُبرى ، ولم يكد سُليمان بن عبد الملك يتولّى الخلافة حتّى ردّ إلى هذه القبائل سُلطتها ، فغلبت هي ومواليها على الدواوين بدمشق (٣) .

واحتفظ يزيدُ بن عبد الملك لهذه القبائلُ بمنزلةٍ عالية في دمشق وظلَّ يتمسّك بها ، لأنها كانت عمادَ جيش أهل الشام ؛ ولأنها امتثلت لأمره حينَ ندَبها لقتال المهالبة الذين خرجوا عليه ، فهبّت للذّوذ عنه ، وقضت على المهالبة وأعوانهم ، واستمرّت تُواليه وتُؤيّده (٤) .

ووازَنَ هشامُ بنُ عبد الملك بين القُوى القبليّة من اليمنيَّة والقيسيّة ، ولكنّه ظلَّ يعتمدُ على القُرشيّين من بني أميّة وغيرهم (٥).

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٩٦ ، والوليد بن يزيد : عرض ونَقد ص : ٤١٢ . وانظر : الأمويّون والخلافة ص : ٩٣ .

(٢) الوليد بن يزيد : عرض ونقد ص : ٤١٢ . وانظر : الأمويّون والخلافة ص :١٠٥ .

(٣) نفسه ص : ٤١٤ ـ ٤١٥ .

(٤) نفسه ص : ٢١ .

(٥) نفسه ص : ٤١٧ .

وقد أيّد شعراء القبائل اليمانيّة الشامية البيت الأمويّ ، ووقفوا في صفه يُنافحون عن حقه في الخلافة ويُهاجمون خصومه ويُؤيدون خلفاءه في عقد البيعة لأبنائهم من بعدهم (١). وكانوا بموقفهم هذا يؤيدون حقّ قبائلهم عليهم ، وينطقون بألسنتها ويُعبّرون عن مُساندتها لبني أميّة ووقوفها الى جانبهم . وكان هؤلاء الشّعراء ، وبخاصّة شعراء قبيلة كلب ، يُحسّون بما لقبائلهم من فَضل كبير على خلفاء بني أميّة ، فهي التي أرست دعائم حُكمهم ، وبذلت التضحيات الجسام في سبيل تثبيت مُلكهم ، ولذلك فإنهم لم يكونوا يتورّعون عن عتابهم وتوجيه أشدّ اللوم إليهم ، كلّما لمسوا منهم أزوراراً عن قومهم ، أو تقريباً لخصومهم من قيس ، فظهر بذلك لون من العتاب السياسي الذي ربّما انفرد به شعراء اليمانيّة الشاميّون في العصر الأموي ، فكان من شعرائه : الأحمرُ بن شُجاع بن القعطل ، وجوّاس بن القعطل ، وأبو الخطّار الحُسام بن ضِرار وجميعهم من كلب ، وشبيب بن يزيد بن النّعمان بن بشير الأنصاري .

فقد قال الأحمر بن شُجاع الكلبي يفخر بانتصار القبائل اليمانيّة على قيس في مرْج راهط ، ويصفُ قومه بأنّها كتيبة سوداء أكبر من دجى الليل ، لكثرة عددها وضخامة عُدّتها ، ويُعاتب مروان بن الحكم ويذكّره بنصر اليمانية له يوم المرج ، ويعبّر عن ألمه وخيبة أمله في خلفاء بني أمية الذين تجاهلوا ذلك كلّه ، فلم يقابلوا المعروف بمثله (٢) :

ونحن صَقعنا قَيس عيْلان صَقعة ... بكتها مَعاويل من الثّكل حُسَّرُ (٣)
بجأواء تُعشي النّاظرين كأنّها ... دُجى الليل بل هي من دُجى الليل أكبر (٤)
[فعلنا بهم فعل الكِرام فأصبحوا ... وما منهم إلاّ عن الشكر أزور] (٥)
فإنْ تُنكرنَ مروان حُسن بلائنا ... نكونن أخاها حينَ تخشى وتذعر
وإن يكفرونا ما صنعنا إليهم ... فما كلّ مَنْ يؤتى الصَّنيعة يشكر

(١) انظر : أنساب الأشراف ٥ : ٣٥٥ ، ٣٧٦ ، والبيان والتبيين ١ : ٣٠٠ ، والأمالي ١ : ١٥٩ .
(٢) المُؤتلف والمختلف : ص ٤١ - ٤٢ . وانظر بعض هذه الأبيات في : حماسة البحتري ص : ١٦١ .
(٣) صقعْنا : ضَربنا .
(٤) الجأواء : الكتيبة .
(٥) البيت زيادة من حماسة البُحتري .

وعلى الرّغم من تقريب عبد الملك بن مروان اليّمانية واعتماده عليهم ، إلاّ أنّ ظروف السياسة كانت تقتضي منه أحياناً أن يُوازن في علاقته بين القبائل القيسيّة والقبائل اليمانية ، فراح يتألف قيْساً وهم أعداؤه ، ويُوحش كلباً وهم أنصاره ، حتى إنه عزل كثيراً من رجال كلب الذين كانوا يتولون بعض أعماله ، وجعل أبدالهم من قيس ، فأثار بسياسته هذه حفيظة شعراء كلب الذين هالهم أن يُسوي الأمويون بين خصومهم وأنصارهم (١)، فعاتب جوّاس بن القَعطل عبد الملك بن مروان على موقفه هذا عتاباً شديداً فقال (٢) :

أعبد المليك ما شكرتَ بلاءَنا	فكلْ في رخاء الأمنِ ما أنتِ آكلُ
بجابية الجولان لولا ابنُ بَحدلٍ	هَلَكتَ ولم ينطق لقومك قائل
فلما علوتَ الشام في رأس باذِخٍ	من العزّ لا يسطيعُهُ المُتناول
نفحت لنا سجلَ العَداوة مُعرضاً	كأنّك ممّا يحدث الدّهرُ جاهـل (٣)
وكنتَ إذا أشرفتَ من رأس هَضْبة	تـضاءلتَ إنّ الخائفَ المُتضائل
[فلمّا قذفتَ الرّعب عنك لقيتَنا	بوجهٍ كوجه الليث واللّيثُ صائل] (٤)
فلو طاوعوني يوم بُطنان أُسلمِت	لقيس فروجٌ منكم ومقاتـل (٥)

فهو يخاطب عبد الملك بن مروان بلهجة عنيفة قاسية فيقول لـه : إنّك لم تحمد بلاءنا في نصرك ، ولم تقابل انقطاعنا اليك وقتالنا مع أبيك ببعض ما وَجَب لنا من حقّ عليك ، فكُل في ظلال الأمن والهدوء ما أنت آكِله في دُنياك غير مُدافعَ ولا منازع ، فلولا حسّان بن مالك بن بحدل الكلبيّ ودعوته لكم بجابية الجولان لهلكتَ ولضاعت الخلافة من قومك . ثمّ يشتدّ جوّاس في عتابه لعبد الملك ، فيتّهمه بالجبن ويلوّح له بالثورة والتمرّد فيقول : لّما ملكتَ ما تُريد واستويت على عرش الشام في عزّ باذخ لا يقْدر على تناول مثله أحد ، أطرحْتنا وأعرضت عنّا

---

(١) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة : ٣ : ١٤٩٥

(٢) التبريزي : شرح ديوان الحماسة ٤ : ٦٨ - ٧٠ . وانظر حماسة البحتري ص : ١١٣ ، والمرزوقي : شرح ديوان الحماسة ٣ : ١٤٩٥ - ١٤٩٦ ، ومعجم البلدان : الجابية ، على اختلاف في الرّواية ، ونسبت الأبيات الى خِراش بن بحدل الكلبيّ في : تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنية) ٥ : ٢٩٦ . وانظر : مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٨ : ٣٩ .

(٣) السّجل : الدّلو إذا كان فيها ماء .

(٤) البيتُ زيادة من حماسة البُحتريّ .

(٥) بُطنان : هو بُطنان حبيب ، موضع وصل اليه عبد الملك بن مروان بعد أن قتل ناتل بن قيس الجُذاميّ . انظر : أنساب الأشراف ٥ : ١٥٨ .

ومنحتنا العداوة والبغضاء، كأنّك جاهل بالدهر ونكباته وأحداثه وتقلبّاته (١).

ويعود جوّاس بن القعْطل إلي معاتبة الأمويين في مقطوعة أخرى، هو فيها أدنى إلى العتب وإظهار الأسى منه الى التّهديد والوَعيد، فيقول (٢):

صبَغت أميّة بالدّماء رماحَنا	وطَوت أميّة دونَنا دُنياها (٣)
أأمي ربّ كتيبةٍ مَجهولة	صيد الكُماة عليكُم دَعواها (٤)
كنّا ولاةَ طِعانها وضِرابها	حتّى تجلّت عنكمُ غماها (٥)
فالله يجزي لا أميّة سَعينا	وعُلا شَددنا بالرماح عُراها
جئتم من الحَجَر البعيد نياطُهُ	والشام تُنكر كَهلها وفَتاها (٦)
إذْ أقبلت قيس كأنَّ عيونَها	حَدَقُ الكلاب وأظهرت سيماها (٧)

يقول: لقد نَصرنا بني أميّة ودافعنا أعداءَهم وعرّضنا أنفُسنا للقتل والقتال حتّى رَويت قُناتُنا من دماء خُصومهم ومُعارضيهم الكارهين لدولتهم، فلمّا وضعت الحرب أوزارها، وقنّعت الفِتن رؤوسها في أنحاء بلاد الشام، استبدّ بنو أميّة بطيِّ الدنيا وزيّها، وفازوا بأعراضها من دوننا، ثمّ أخذ يُذكّرهم بمواقف قبيلته معهم قائلاً: ربّ كتيبةٍ مجهولة الشّأن لم تستطيعوا الوقوف في وجهها ولا صَرفَ شرّها. قد تولّينا قراع أبطالها الأشدّاء دفاعاً عنكم حتّى زال بلاؤها وانكشف عنكم غمّها (٨)، فإن تُنكروا ما فعلناه لكم فإنّ الله تعالى سيجزي بلاءنا وحُسن سَعينا خيراً.

---

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة ٣: ١٤٩٥ - ١٤٩٦.

(٢) التّبريزي: شرح ديوان الحماسة ٤: ٧٠ - ٠٧٢. وهي في حماسة البحتري ص: ١١٢ - ١١٣، وفي المرزوقي: شرح ديوان الحماسة ٣: ١٤٩٧ - ١٤٩٨ على اختلاف في الرواية. وانظر: أدب السياسة في العصر الأموي ص: ٤٧٣.

(٣) البيت في: عيون الأخبار ٣: ١٩ دون عزو، ومحاضرات الأدباء ٣: ١٥ دون عزو أيضاً.

(٤) صيد الكماة: أي أبطالها ذوو كبر وتيه. وعليكم دعواها: أي معادية لكم.

(٥) غمّاها: كربها.

(٦) أراد بالحجر: الجنس، والمراد: جئتم من المكان الكثير الحجر. ومن بلاد الحجر: يعني الحجاز. ويروى: من الحجز (بالزاي): أي الحجاز. انظر: المرزوقي: شرح ديوان الحماسة ٣: ١٤٩٨ - ١٤٩٩. والبعيد نياطه: البعيد معلّقه. وقوله: «والشام تنكر كهلها وفتاها»: أي لم يكن الأمويون من أهلها فاستغربتهم.

(٧) يريد: أظهرت سيما الكلاب في إقبالها.

(٨) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة ٣: ١٤٩٧.

وقال أبو الخطّار الكلبيّ (١) يُعاتبُ بني مروان بن الحَكم ويُحذّرهم الاستمرارَ في تَجاهلِ قبائل اليمن والازورارِ عنها (٢) .

أقادَت بنو مروان قيْساً دماءَنا — وفي الله إنْ لم يُنصِفوا حكَمٌ عدلُ
كأنّهم لم يَشهدوا مرجَ راهطٍ — ولم يَعلَموا مَنْ كانَ ثمّ له الفَضل
وقيناكمُ حَرَّ القَنا بنفوسنا — وليسَ لكم خيلٌ سِوانا ولا رَجْل
فلمّا رأيتمُ واقدَ الحرب قد خبَا — وطابَ لكم منها المَشاربُ والأُكل (٣)
تغافَلتم عنّا كأن لم نكن لكُم — صَديقاً وأنتم ما علمتُ لها فُعل
فلا تَعجلوا إنْ دارت الحَربَ دَورةً — وزلّتْ عن المَوطاة بالقدَم النّعل
(فينتقضُ الحَبلُ الذي قد فتلتُم — ألا ربّما يُلوى فَينتقضُ الحَبل] (٤)

---

(١) هو أبو الخطّار حسام بن ضِرار بن سلامان الكلبيّ ، من أهل دمشق ، أمير الأندلس وليها سنة (١٢٥ هـ) من قِبَل حَنْظلة بن صَفوان الكبي والي إفريقية لهشام بن عبد الملك ثمّ للوليد بن يزيد . ويقال : إنّ أهلَ الأندلس كتبوا إلى حنظلة بن صَفوان يسألونه أن يبعث إليهم والياً يجتمعون عليه ، فبعث أبا الخطار هذا ، فانتقل اليها من تُونس وأقام بقُرطبة ، وكثر أهل الشام عنده ففرّقهم في البلاد . وقد دانت له الأندلس جَمعاء إلى ولاية مروان بن محمد آخر خلفاء بني أميّة . وكان أبو الخطّار شاعراً فصيحاً شجاعاً ، أعرابياً عَصَبياً ، تعصّبَ لليمانية فأسخط المضَرية ، فثاروا عليه وخلعوه من الإمارة فلحق بباجة ، ثمّ هُزم بعد ذلك وقُتل حوالي سنة (١٣٠ هـ). انظر : المُؤتلف والمختلف ص ٢٣ ، وتاريخ مدينة دمشق (مصورّة الجامعة الأردنية) ٤ : ٢٠١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٧٥ ، ٤٩١ ، والحلّة السيراء ص : ٦١ ، ونفح الطيب ١ : ٢٣٧ ، ٣ : ٢٢ ، ومؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص : ٤٥ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ١٥٠ .
(٢) كتاب الوحشيّات . ص ٤٢ - ٤٣ . وانظر : الحماسة الشّجرية ١ : ٩ - ١٠ ، وتاريخ مدينة دمشق (مصورّة الجامعة الأردنية) ٤ : ٢٠١ ، والحلّة السّيراء ١ : ٦٤ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ١٥٠ - ١٥١ . وهي في حماسة البحتريّ ص : ١١١ ، ونُسبت الى بِشر بن صَفوان الكلبي في الحماسة البَصرية (تحقيق د. عادل جمال سليمان) ١ : ٢٦٧ . وفي الحماسة البصرية (عالم الكتب ببيروت) ١ : ٨١ وقَع خلط بين اسمي الشاعرين هكذا : « وقال أبو الخطّار بشر بن صَفوان الكلاّبي » . وانظر بعض هذه الأبيات في : أنساب الأشراف ٥ : ١٤٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٧٢ ، والبيان المُغرب ١ : ٥٠ - ٥١ .
(٣) ويُروى : وطاب لكم فيها . أي في الشام .
(٤) البيت زيادة من الحلّة السّيراء ١ : ٦٤ .

وقد اختُلِفَ في مناسبة هذه الأبيات فقيل : إنّ أبا الخطّار قالها ؛ لأن هشام بن عبد الملك صَـرَفَ بِشرَ بن صفوان الكلبي عن ولاية إفريقية . وولاها عُبيدةَ بن عبد الرحمن السّلمي ، فَوجدَت اليمانية لذلك . وكان عُبيدةُ أخذَ عُمّال بِشر بن صَفوان وأصحابه فَحَبسهم وأغرمَهم وعذّب بعضهم ، ومنهم أبو الخطار الكلبيّ الذي عزله عُبيدةُ ونكّلَ به (١) يُقال : بل إنّه قالها لمّا تَتَابع وُلاةُ إفريقيّة والأندلس من قيس ، فقال هذا الشّعر يُعاتب الأمويّن ويُذكّرهم فيه بيوم مرج راهط ، وما كانَ فيه من بلاء كلب مع مروان بن الحكم ، فلّما بلغَ الشّعرُ هشامَ بن عبد الملك أمر حنظلة بن صفوان الكلبي عامله على إفريقية أن يُولّي أبا الخطّار الأندلس (٢). وهي على كلّ حال تكشِفُ عن سـخطِ الشّاعر على الأمويين ، وشعوره بالفجيعة ، لتنكّرهم للقبـائل ، وإدارتهم ظهورَهم لها ، مُتجاهلين مواقِفها ونُصرتها لهم .

ويذكُر أبو الفرج الأصفهاني (٣) أنَّ شَبيبَ بن يزيد بن النّعمان بن بشير كان شاعراً مُكثـراً مُجيداً ، وأنّ له قصيدةً طويلةً عاتَب فيها الأمويين على اختلاف أمرهم ، وعدم استماعِهم الى مَنْ يعظهمُ وينصحهم ، ومُقاتلةِ بعضهم بعضاً في أيام الوليد بن يزيد وبعده مطلعها :

يا قلبُ ، صبراً جميلاً لا تَمت حَزَناً ... قد كُنتَ من أنْ تُرى جَلدَ القُوى قَمِنا

يقول فيها :

بل أيّها الراكبُ المُزجي مطيّته ... لُقّيتَ حيثُ توجّهتَ الثّنا الحَسَنا

أبلغْ أميّةَ أعلاها وأسفلها ... قَولاً يُنفـرّ عن ألبابِها الوسَنا

أنّ الخلافةَ أمرٌ كانَ يُعظِمُهُ ... خيارُ أوّلكم قِدماً وأولنا

وهكذا يتبيّن لنا أنّ شعراء القبائل اليمانيّة الشاميّة نَظَموا عتاباً هـو من نوع العتاب السياسي الذي يكشفُ عن نُصرة قبائلهم لبني أميّة ، ويصوّرُ دالة هذه القبائل على خُلفاء

(١) الحلّة السّيراء ١ : ٦٤ ، ٦٦ ، والبيان المُغرب ١ : ٥٠ .

(٢) الكامل في التاريخ ٥ : ٢٧٢ - ٢٧٣ ، والحلّة السّيراء ١ : ٦٥ .

(٣) الأغاني ١٦ : ٢٠ وانظر : تاريخ آداب اللغة العربية ١ : ٢٤٣ .

الأمويّين ، وشعورها بأنّ الدّولة قامت على أكتاف رجالها ، كما يُصوّر غضَبَ تلك القبائل وتذمّرها وإحساسها بالخطر الذي يتهددُ وجودها ومصالحِها في الشام كلما قرّب الأُمويون غيرها من القبائل العربيّة الأخرى ، أو حاولوا أن يُقيموا تَوازناً في المناصب الكبرى بينها وبين القبائل القيسيّة ، وإذا استثنينا قصيدة شبيب بن يزيد بن النّعمان ، فإننا نلاحظ أنّ شُعراء هذا النّوع من العِتاب هم من قبيلة كلب ، وأنّ فحوى عتابهم هو بيانُ تضحيات الكلبيين في معركة مرج راهط خاصّة في سبيل تثبيت حُكم بني أميّة ، ثمّ شعورهم بالفجيعة ؛ لأنّ الأمويّين تنكّروا لهم ، فلم يكافِئوهم المكافأة الحسنة التي كانوا يتوقّعونها عند استتباب الأمن في أرجاء الدّولة .

ونلاحظ أيضاً أنّ شعراء قبيلة كلب صاغوا شعرهم العتابي في مقطوعات مُستقلة ، وأمّا شبيب بن يزيد فإنّه سارَ على طريقة الشّعراء الجاهليّين فابتدأ قصيدته بالغَزل .

ثامناً : الحنين

لم نعثرْ لشعراء القبائل الشاميّة في العصر الأموي في الحنين إلاّ على قصيدة واحدة لميسون بنت بَحدل الكلبية (١) ، وذلك أنّها لمّا تزوجت مُعاوية بن أبي سفيان ، نَقَلَها من بادية كلب إلى ريف دمشق ، وكانت ذاتَ جمال باهر وحُسن غامر ، فأُعجب بها معاوية وهيّأ لها قصراً فَخماً يُشرف على الغُوطة ، وزينّه بأنواع الزّخارف ووَضع فيه ما يُلائمه من أوانيّ الذهب والفضّة ، ونَقَل إليه من الديباج الرّومي المُلون والموشّى ما يليق به ، ثمّ أسْكنها مع وصائفها اللواتي يُشبهِنَ الحُورَ روعةً وجَمالاً ، فلبست ميسونُ يوماً أفخرَ ثيابها ، وتزيّنت بما أُعدّ لها من الحلي والجَوهر ، وجلست في رَوشَنِها وحَولها وصَائفها ، فنظرت الى الغُوطة وأشجارها ، وسَمعت تَجاوبَ الطيّور في أوكارها ، وشمّت نسائمَ الأزهار وروائحَ الرّياحين والنّوار ، فتذكّرت قومَها وحنّت إلى أترابِها وأناسِها ، فقال لها معاوية : أنتِ في مُلكٍ عظيم وما تدرين قدْرهُ وكنتِ قبلَ اليوم في العباءة (٢)، فقالت تتشوّق إلى البادية ، وتفضّل شقاءها على حضارة دمشق ورَخائها ، وتُقارنُ بين بيئة البادية وبيئة المدينة ، فتفضّل البَدو على الحَضر ، وتُفضلّ خُشونة عيْشِهم ولباسهم وحيواناتهم على رغدِ عيْش الحَضر ولباسهِم

---

(١) هي ميسون بنت بَحدل بن أُنيف بن دَلجة بن قُنافة الكلبيّة ، زوج معاوية بن أبي سفيان وأمّ ابنه يزيد . كانت امرأة لبيبة ورعة . انظر : تاريخ الرّسل والملوك ٥ : ٤٩٩ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٦٢ ، وتاريخ مدينة دمشق (تراجم النساء) ص : ٣٩٧ ، والحدائق الغنّاء في أخبار النّساء ص : ٣٣ - ٣٥ . والبداية والنّهاية ٨ : ١٤٥ ، وخزانة الأدب : ٥٠٥ ، والأعلام : ٣٣٩ .

(٢) الأشباه والنّظائر ٢ : ١٣٧ ، والحماسة الشّجرة ٢ : ٥٧٣ ، وتاريخ مدينة دمشق (تراجم النّساء) ص : ٤٠١ ، وشرح المفصّل ٧ : ٢٥ ، وحياة الحيوان الكبرى ٢ : ٢٥١ ، وخزانة الأدب٨ : ٥٠٥ .

وحيواناتهم (١):

لبيْتٌ تـخفقُ الأرواحُ فيه	أُحبُّ إليّ من قَصـرٍ مُنيفِ (٢)
وبكْر يَتْبع الأظعانَ سَقباً	أُحبُّ إليّ من بَغلٍ زَفـوف (٣)
وكلبٌ يَنبَحُ الطُّراق عنّي	أُحبُّ إليّ من قـطّ ألـوف
ولُبسُ عباءةٍ وتَقرَّ عيني	أُحبُّ إليّ من لُبسِ الشّفوف (٤)
وأكْلُ كُسيرةٍ في كِسر بيتي	أُحبُّ إليّ من أكل الرّغيـف (٥)
وأصواتُ الرّياح بكلّ فَجٍّ	أُحبُّ إليّ من نَقْر الدُّفـوف (٦)

(١) خزانَة الأدب ٨ : ٥٠٣ ـ ٥٠٤ . وانظر القصيدة كاملةً في : شرْح المُفصَّل ٧ : ٢٥ ، وغُرر الخصائص الواضحة ص : ٣٥ ، وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ص : ١٥٧ ـ ١٥٨ . وانظر أبياتاً منها في : الأشباه والنّظائر ٢ : ١٣٧ ، والحماسة الشّجرية ٢ : ٥٧٣ ، والحريري : درّة الغوّاص في أوهام الخواص ص : ٢٤ ، وتاريخ مدينة دمشق (تراجم النّساء) ص : ٣٣٩ ـ ٤٠١ ، والحدائق الغنّاء في أخبار النساء ص : ٣٤ ، ٣٥ ، ولسان العرب : مادة : مَسَن ، والمختصر في أخبار البشر ١ : ١٩٢ ـ ١٩٣ ، وحياة الحيوان الكبرى ٢ : ٢٥١ ، ولويس شيخو : شعراء النّصرانية بعد الإسلام ص : ٦٣ ـ ٦٤ ، وأعلام النّساء ٥ : ١٣٦ ـ ١٣٧ . ونسب ابن طيفور بعض هذه الأبيات إلى امرأة من ولد طلبةَ بن قيس بن عاصم المِنقري . انظر : بلاغات النّساء ص : ١١٦ .

(٢) الأرواح : جمع ريح كالرياح . والمنيف : العالي .

(٣) البَكر : الفتيّ من الإبل . والزّفوف : السّريع .

(٤) الشّفوف : جمع شِفٍّ بِكسر الشّين وفتحها : الثوب الرقيق . والبيت من شواهد النّحاة . انظر : سيبويه : الكتاب ١ : ٤٢٦ ، والمبرّد : المقتضب ٢ : ٢٦ ، والجُمل في النّحوص : ١٨٧ ، وابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٣ : ١٨١ ، وابن هشام : مُغني اللبيب ١ : ٢٦٧ ، وابن هشام : شرح قطر الندى وبلّ الصّدى ص : ٦٥ ، وابن جنّي : سرّ صناعة الإعراب ١ : ٢٧٣ وابن جني : المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ١ : ٣٢٦ وابن الشّجري : الأمالي الشّجرية ١ : ٢٨٠ ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ٣٥٨ . وهو الشاهد الوحيد الذي استشهد به بعض نُحاة القرن الثاني الهجري من شعر هذه القبائل .

(٥) كُسيرة : تَصغير كِسرة : الخبز . والكسْر : طرف الخباء من الأرض .

(٦) الفَجّ : الطّريق الواسع .

وخِرقٌ من بني عمّي نَحيفٌ　　　أُحبُّ إليّ من عِلج عَليف (١)
خُشونةُ عيْشتي في البَدو أشهى　　　إلى نفسي من العيش الطّريف
فما أبغي سوى وطني بَديلاً　　　فحسبي ذاكَ من وطنٍ شريف

ويُقال : إنّ معاوية طلّقها بعد سماعِه هذه الأبيات . وأرسلها إلى أهلها وهي حامل ، فأنجبت ابنَه يزيد بن مُعاوية .

وإذا تَجاوزنا بقصيدة ميسون حُدود التّجربة الذّاتية ، فإنّنا نَجدها تُعبّر عن شُعور الإنسان العربيّ بالقلق والتّذبذبُ بين نمط حياته البدويّة وبين التّطور الحضاري الذي أصاب المُجتمع في العصر الأمويّ .

---

(١) الخِرق : الكريم ، والعِلج : الصُّلب الشّديد . والعليف : المُسمْن .

تاسعاً : الحِكم والآداب والمواعِظ

مُعظم ما وصل إلينا من شعر هذه القبائل في الحِكم والآداب والمواعظ هوللشاعر الحكيم صالح بن جَناح اللَّخمي (١) الذي يبدو أنّه اختصّ في هذا الفنّ من الشعر فاستفرغ شعره فيه، إذْ نَظَم شِعراً في ذِكر الهوى، وفي العقل والأدب، وفي طلاقة الوجه وحُسن الخُلق والكذب، وفي الرُّفقاء في السّفر، وفي الجهل والنّهي عن القبيح، والمؤاخاة والمُداراة، والإعسار والإيسار، ومُجالسة أهل الأهواء، والبِدع والنّميمة، وتأديب النّفس وغير ذلك (٢).

فِمن حكمه : قولُه في الأحمق الذي لا يفهم إنْ حدّثته، ولا يفقهْ إنّ أفهمته، ولا يَقبلُ وعَظَك إنْ وعظته، فالحمق داءٌ ليس له دواء (٣):

المرءُ يُصرعُ ثمّ يشفى داؤُه ... والحُمقُ داءً ليس منه شِفاءُ
والحُمقُ طبْعٌ لا يَحول مُركَّب ... ما إن لأحمقَ فأعلمنَّ دَواء

وقوله فَيمن فعل أمراً لا يُحسنُ أن يَحتالَ له : أعلم أنّ القتالَ لا يكونُ بغير عِدّة، والخِصام لا يكون بغير حُجَّة، والصّراع لا يَحسنُ بغير قوّة، فإن ابتليتَ بقتال أحد، أو مُخاصمة أحد أو صِراعه، فأحسِن له العُدّة، واعرف عدّته، وأبصِر حُجّته واختبر قوّته، فإن رأيتَ تقدّماً وإلاّ كان التأخُّر قبل النّدم خيراً من النّدم بعد التّقدم، وفي ذلك يقول (٤):

إذا ما أردتَ الأمر فاعرِفه كلّه ... وقِسهُ قياسَ الثّوب قبل التّقدمِ
لعلّكَ تنجو سالماً من نَدامةٍ ... فلا خيرَ في امرٍ أتى بالتّندّم

وقوله في الجَهل : إيّاك والجَهل فإنّما تجهل على ثلاثة : رجل هو أعزّ منك، ورجل أنت أعزّ منه، ورجل أنت وهو في العزّ سواء. فأمّا جَهلك على مَنْ هو أعزّ منك فحَيف.

---

(١) هو صالح بن جَناح اللّخمي الشاعر، أحد الحُكماء. وهو ممّن أدرك الأتباع بلا شك، وكلامه مُستفاد في الحكمة والمواعظ والآداب. وذكر ابن عساكر أن الجاحظ قال عنه : إنّه شاعر دمشقي، بينما ذكر المَرزُباني أنّه كوفيّ. والجاحظ أقدم.
انظر : تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأرنية) ٨ : ٩٦ ـ ٩٨، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٦٩، ود. إبراهيم السامرّائي : من الضائع من معجم الشعراء للمَرزُباني ص : ٧٧.
(٢) انظر : رسائل البُلغاء ص : ٣٨٥ ـ ٤٠٣.
(٣) نفسه ص : ٣٨٨ (٤) نفسه ص : ٣٨٩.

وأمّا جهلك على مَنْ أنت أعزّ منه فلؤم ، وأمّا جَهلك على مُساويك في العِزّ فهِراش مثل هِراش الكلْبين لن يفترِقا ألاّ مفضوحين أو مجروحيْن ، وليس هذا من فِعل الحُكماء والعُلماء ، فالحليم رَزين والجَهول ناقص . وفي ذلك يقول (١) :

ما تمّ عِلمٌ ولا حِلمٌ بلا أدب ولا تَجاهَــلَ في قـــوم حَليمانِ
ولا التّجاهل إلاّ ثوبُ ذي دنسٍ وليـــس يلبسـهُ إلا ســفيهان

ومن قوله في آداب الرأي والمشاورة : إذ استُشير َ قومٌ أنتَ أحدهم فكنْ آخر من يشير ، فإنه أسلم من الصّلف ، وأبعد لك من الزلل ، وأمكن لك من الفِكر ، وأقرب لك من الحَزم ، وفي ذلك يقول (٢) :

ومن الرّجال إذا زكَت أحلامهم مَنْ يُستشار إذا استُشيرَ فيُطرقُ
حتّى يجولَ بكلّ وادٍ قلبهُ فيَرى ويَعرفُ ما يقول فيَنطِقُ
إنّ الحَليمَ إذا تفكّر لم يكد يَخفى عليه من الأمور الأوفقُ

وقوله في مُعاملة ذي الوجهين : إنّ مَنْ أظهر لك ما تُحبُّ أو تكره ، فإنّما يُقاس ما أضمره بما أظهره لك من مَحبّةٍ أو كراهية ؛ لأنّك لا تستطيع أن تَعرف ما في سرّه ، وفي ذلك يقول (٣) :

ليس المُسيءُ أذا تغيّبَ سوءه عِندي بمنزلة المُسيءِ المُعلنِ
مَنْ كانَ يُظهرُ ما أحبُّ فأنّه عِندي بِمنزلة الأمير المُحسن
والله أعلمُ بالقلوبِ وإنّما لكَ ما بـــدا لكَ منهم بالألسُن
ولقد يُقال خِلاف ذلك إنّما لكَ ما بــــدا لكَ منهم بالأعين

ولمّا كان في النّاس مَنْ يجهل إذا حَلمتَ عنه ، ويَحلم إذا جَهلت عليه ، ويقابِل الإحسان بالإساءة ، والإساءة بالإحسان ، والإنصاف َ بالظلم ، والظلمَ بالإنصاف ، فلا بدّ من خُلقٍ يُنصفُك من خُلق هذا النّوع من البَشر ، ولا بدّ لكَ من قِحة تُنصفك من قِحته ، وجَهالة تحدُّ من جَهالته ، وإلاّ أذلّك ؛ لأنّ بعضَ الحِلم إذعان ، وقد ذلّ مَنْ ليس له سفيه يَعْضدهُ وضلّ من ليس

---

(١) رسائل البُلغاء ص : ٣٩٦ .
(٢) نفسه ص : ٤٠١ .
(٣) نفسه : ٣٨٧ .

له حكيم يُرشده (١). وقد رسم صالح بن جَناح أسلوباً للتّعامل معْ مَنْ كان هـذا خُلُقه في قوله (٢):

لئن كُنتُ محتاجاً إلي الحلم إنّني ... إلى الجهلِ في بعض الأحايينِ أحوجُ
ولي فَرَسٌ للحلم بالحلم مُلْجمٌ ... ولي فرس للجهل بالجهل مُسرَج
فَمن شاءَ تقويمي فإني مُقَوَّمٌ ... ومَن شاء تعويجي فإنّي مُعوّج
وما كنتُ أرضى الجَهلَ خِدناً ولا أخاً ... ولكنّني أرضى به حين أحوَج
فإن قالَ بعضُ النّاس فيه سَماجةٌ ... فقد صَدقوا والذلُّ بالحُرِّ أسمجُ

ومن مَواعظه قوله (٣): اعتبر ما لم تَرهَ من الدُّنيا بما قد رأيته، وما لم تَسمعه بما سَمعته، وما لم يُصبكَ بما أصابك، وما بقي من عُمرك بما مضى، وما لم يبل منك بما بلي واعلم أنّه:

إنّما الدّنيا نهارُ ... ضَوءه ضوءٌ مُعار
بينما غصْنك غَضٌّ ... ناعمٌ فيه اخضِرار
إذْ رَماهُ زَمَناه ... فإذا فيه اصفرار
وكذاك الليلُ يأتي ... ثمّ يمحوهُ النّهار

فهذه صفة الدُّنيا، وما لم أصفْ منها أدهى وأمرّ، فما أصنعُ بأمرٍ إذا أقبل غرٌّ وإذا أدبر ضرّ؟!

ويحثُّ صالح بن جَناح على التفكّر فيما بعد الموت، والاستعداد للحساب فيُنشد (٤):

نَموتُ ونُنسى غير أنّ ذنوبَنا ... إذا نحنُ متنا لا تموتُ ولا تُنسى
ألاّ رُبَّ ذي عَيّنين لا تَنفعانِه ... وهل تنفع العينان مَنْ قلبُهُ أعمى؟!

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٦٩ .
(٢) تاريخ مدينة دمشق (مصورة الجامعة الأردنية) ٨ : ٩٧ . وانظر الأبيات في : العَبد لكاني : حَماسة الظرفاء ١ : ٧٢ - ٧٣ دون عزو ، والحماسة البَصرية (عالم الكتب بيروت) ١ : ١٥ - ١٦ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٦٩ . ونَسب ابن قتيبة الأبيات الى محمد بن وهيب . انظر : عيون الأخبار ١ : ٢٨٩ . ونَسبها الوطواط الى عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه . انظر : غرر الخصائص الواضحة ص : ٣٩٥ . وانظر بعض هذه الأبيات في : قدامة بن جعفر : نقد الشعر ص : ١٥٥ ، وبهجة المجالس ١ : ٦٢٠ ، ومحاضرات الأدباء ١ : ٢٤١ عزو ، والمستطرف ص : ١٧٢ دون عزو ، وحياة الحيوان الكبرى ١ : ١٩٩ دون عزو .
(٣) نفسه ٨ : ٩٧ ، ورسائل البلغاء ص : ٣٨٩ .
(٤) تاريخ مدينة دمشق (مصورة الجامعة الأردنية) ٨ : ٩٧ ، ورسائل البلغاء ص : ٣٩٨ . وانظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٧٠ .

ومنها قوله : إن طولَ الصَّمت ومشيَ القَصد من أخلاق الأتقياء ، وإنّ كثرة الكلام ومشي الخُيلاء من أخلاق الأشقياء ، فإذا ما مشيت فوق الأرض ، فاذكر من تحتها وكيف كانوا فوقَها ، ثم حلّوا بَطنها ، وأعلم أنّ الإنسان قويّ ما لم تُصبه أدنى شوكة وأدنى مَرَض ، فإذا أصابه شيءٌ من ذلك ، فهو أهونُ من الذّرة ، وأمهَنُ من البعوضة ، فلا تغترّ بتجبّره وتكبّره ، واستطالته وتفرعنه ، ثم يقول (١) :

ولا تمشِ فوقَ الأرض إلاّ تَواضعاً ... فكمَ تحتَها قوم همُ منك أرفعُ
فإن كنتَ في عزّ وحِرزٍ ومنْعةٍ ... فكم طاحَ من قوم هُمُ منك أمنَع

أمّا ما سوى صالح بن جَناح من شعراء القبائل اليمانيّة الشاميّة في العصر الأُموي ، فإنّ ما وَصَل إلينا من شعرهم في هذا الفنّ قليل . ومنه قول الأُقيبلِ القَينيّ (٢) :

إذا صَفحةُ المعروف ولّتك جانباً ... فخُذ صَفوَها لا يَختلط بك طينُها
إذا كان في صَدْر ابن عمّك حشنةٌ ... فلا تستَثرها سوفَ يبدو دَفينها (٣)
متى ما يسؤ ظنُّ امرِىء في صديقه ... يُصدق بلاغاتٍ يجيءُ يُقينها

فهو يقول : عامِله على ظاهر عيبه ، ولا تستثِر ما يُخفيه صَدره ، فإنّ الأيام ستُبدي لك ذلك في بعض أحوالِه وأفعاله . وإنّ الإنسانَ إذا ساء ظنّه بصديقه ، فإنّه يُصدّق كلّ شيء يبلغه عنه .

ومنه قول عديّ بن الرّقاع العامليّ يُعلن أنّ ثمةَ فَوارق بين بني البشر ، وأنّهم يَختلفون في أخلاقهم وشِيمهم وأعمالهم ، وإن تَشابهوا في هيئاتهم وصورهم (٤):

---

(١) رسائل البلغاء ص : ٤٠٠ .

(٢) سمط اللآلىء ص : ٩٠٤ ، وانظر بعض هذه الأبيات في : المؤتلف والمُختلف ص : ٢٥ ، ولسان العرب : مادتي : أحَنَ ، وحَشن .

(٣) في بقية المصادر : إحْنة بدلاً من حشنة . والإحنة والحشنة : الحقد . وهذا البيت ورد منسوباً إلى معروف بن عمرو الطائي في : حماسة البُحتري ص : ١٨ ، والى أبي الطمّحان القينيّ في : أمالي المُرتضى ١ : ٢٥٩ ، وبهجة المجالس ١ : ٧٨٦ . وورد مع بيت آخر في : الحماسة البصرية (عالم الكتب ـ بيروت) ١٤٠١ دون عزو .

(٤) الديوان ص : ١٦٣ .

والنّاس ليسوا يَستوونَ فمنهم ورعٌ وآخر ذو نَدى وغناء (١)

والنّاس أشباهٌ وبين حُلومهم بونٌ كذاك تَفاضل الأشياء

كالبرقِ منهُ وابلٌ مُتتابعٌ جَونٌ وآخر ما ينوء بِماء

وقوله يتحدّث عن حقيقة الموت والفناء ، ويصدر في حديثه عنها عن فهمْ إسلاميّ لها ، فالموتى لا يرجعون ، والحياة لا تدوم لإنسان ، وإنْ تقلّب في لذّاتها وانغمسَ في مُتعها حيناً ، والأجلُ مُنقَضٍ لا مُحالة ، وساعة انقضائه لا تستقدِم ولا تستأخِر (٢):

وما تَرى ميّتاً يحيا فتسأله ولا الشبابُ إلى ذي شَيبةٍ رَجعا

وما يُؤخر موتاً عاجلاً هَرَبٌ ولا تعرّض بأسٌ زادَهُ سَرعا

وما الحياةُ لإنسيٍّ بدائمةٍ ولو تزوّد من لذّاتها مُتعا

وقول أبي الخَطار الكلبيّ يدعو الى اختيار الصّديق بالاعتماد على أمرين : الحَسَب والدّين . ثمّ يقرر أنّ ما قدّر الله عليه في مالهِ وولده لا بدّ من أن يقع (٣) :

إذا اتّخذتَ صديقاً أو هَمَمتَ به فاعْهد لذي حَسَب إنْ شئت أو دينِ

ما يقدُر الله في مالي وفي ولدي لا بدّ يُدركني لو كنتُ بالصّين

ونلمسُ بعد أنْ مثّلنا على ما نظَمه شُعراء القبائل اليمانية الشاميّة في الحِكم والآداب والمواعظ ، أنّ الشّعراء كانوا يصوغون حِكمهم ومواعظهم في أسلوب واضح بسيط ، وفي أبيات قليلة ، لأنّها تمثل خُلاصة تجاربهم وخبرتهم في الحياة .

---

(١) ورَع : جبَان .

(٢) الدّيوان ص : ٢١٨ . وانظر ص : ٢٤١ .

(٣) الحلّة السّيراء ١ : ٦٥ - ٦٦ .

عاشــراً : موضـوعات أخـرى

وثمّة موضوعان آخران طَرَقَهما شُعراء القبائل اليمانية الشاميّة في العصر الأموي هما : طلب الأمان والتهنئة .

فأمّا طَلَبُ الأمان فمنه قول الأقيبل القيني ، لمّا هجا الحجاج بن يوسف فطلبَه ، فعاذَ بقبر مروان بن الحكم (١) :

إني أعوذ بقبر لستَ مخفِرَه ... ولا أعوذُ بقبرٍ بعد مروانا

فقال له عبد الملك : وأنا لا أعوّذ به أحداً بعدك . وأمر كاتِبه أنْ يكتب له إلى الحجّاج أن يُمسِكَ عنه ، ويُعلمه أنه قد آمنه ، فقال له قومه : إنّك إنْ أتيتَ الحجّاج قتلك ، فطَرَحَ الكتاب وهرب .

ومنه قول بيْهس بن صُهيب الجَرمي ، بعد أنْ اتّهم بقتل غُلامٍ من قيس ، فعاذ بمحمّد بن مروان بن الحكم واستجاره ، فأجاره إلاّ من حدٌّ توجِبُه عليه شهادة ، فرَضيَ بذلك (٢) :

فإنّي والعقاب وما أرجّـــي ... لكالساعي إلى وضح السّرابِ
فلمّا أن دنا فَرَجٌ بربّـــي ... يُكشّفُ عن مخفّقة يبــاب (٣)
من البلدان ليس بها غريـــبٌ ... تخبُّ بأرضِها زلُّ الذّئــاب (٣)
وظنّي بالخليفة أنّ فيــــه ... أماناً للبـــريء وللمُصاب
وأنّ محمّداً سيعود يومـــاً ... ويَرجعُ عن مُراجعةِ العتـــاب
فيجبر صِبيتي ويحوط جــاري ... ويُؤْمنُ بعدها أبداً صِـــحابي
هو الفرع الذي بُنيتْ عليه ... بُيوتِ الأطيَبين ذوي الحِجــابِ

فلم يَزل محمّد بن مروان قائماً وقاعداً في أمره مع أخيه عبد الملك بن مروان ، حتّى آمن بيْهس بن صُهيب وعشيرته ، واحتمل ديةَ المقتول لقيس وأرضاهُم .

---

(١) أنساب الأشراف ٥ : ٣٥٨ ، والمؤتلف والمُختلف ص : ٢٥ .
(٢) الأغاني ٢٢ : ١٣٤ - ١٣٥ .
(٣) مُخفّقة : من خَفق المكان : أي خلا .
(٤) الذئب الأزلّ : السّريع الخفيف الوركين .

وأمّا التّهنئة فمثالها قول عديّ بن الرّقاع يُهنّىء عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، بزواجه من أمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم ، وكان يُقال لها : الواصِلة ؛ لأنها وصلت الشّرف بالجمال :

قمرُ السّماء وشَمسُها اجتمعا ... بالسّعد ما غابا وما طَلَعا
ما وارت الأستارُ مِثلهما ... مَنْ ذا رأى هذا وَمن سَمِعا ؟!
دام السّرورُ له بها ولَها ... وتَهنّيا طولَ الحياة مَعا

فقال له الوليد بن عبد الملك : لئن أقللتَ فلقد أحسنت . وهو أوّل مَنْ شبّه الزوجين بالشّمس والقمر(٢) .

ويتّضح من كلّ ما سَلَف من شعر القبائل اليمانيّة الشامية في العصر الأموي أنّ شعراءَها نَظموا في معظم الأغراض الشّعرية التي طرقها الشّعراء قبلهم ، فَمَدحوا وتغزّلوا وافتخروا وهَجوا ورثَوا ووصفوا وعاتبوا وحنّوا إلى ديارهم ، ونَظَموا شِعراً في الحكمة والآداب والمواعظ ، وفي طلب الأمان والتّهنئة بالزّواج ، إلاّ الزّهد فإنّني لم أعثر لهم على شعر فيه ، ويتّضح أيضاً أنّ شعرهم السّياسي والحَربي يصوّر آمالهم العَريضة في السّلطان ، بعد أن قاتلوا في معركة مرج راهط وَهَزموا القيْسيّة أنصار عبد الله بن الزّبير ، وثبّتوا حُكم الأمويّين ووقفوا دونهم . ويصوّر كذلك تذمّرهم من خلفاء بني أمية وامتنانهم عليهم ومطاولتهم لهم ؛ لأنهم لم يخصوهم دون غيرهم ، ولم يصطنعوهم وحدهم ، بل جعلوا لرجال قيس حظّا في الأعمال والولايات ، وقدّموا القيسية على اليمانيّة وحكّموا في أمرهم في بعض العهود والأزمان .

---

(١) الديوان ص : ٢٥٧ .
(٢) ثِمار القلوب في المُضاف والمَنسوب ص : ٢٩٩ .

الفصل الرابع

الدّراسة الفنّية



من المفيد قبل الشّروع في دراسة الجوانب الفنيّة في شعر القبائل اليمانية الشامية في العصر الأموي أنْ نُشير إلى أننا لا نستطيع أنْ نحكم على شعر هذه القبائل حُكماً دقيقاً ؛ لأنه لم يصل إلينا كاملاً ، وإنّما وصلت إلينا منه قصائد ومقطوعات وأبيات مُجتزأة من قصائد . وسنحاول في هذا الفصل أن ندرسَ بنية ما بين أيدينا من هذا الشعر ولغته ومعانيه والصور البلاغيّة فيه .

١ ـ البنـــاء الـفنّــي :

يُمكن القول : إنّ معظم شعراء القبائل اليمانية الشامية في العصر الأموي لم ينظموا شعرهم في قصائد طويلة ، وإنّما صاغوه في قصائد ومقطوعات قصيرة ، فلو استثنينا منهم النّعمان بن بشير الأنصاري وعديّ بن الرقاع العاملي ، فإننا لا نَجِد من بينهم شاعراً بنى شعره بناءً تقليدياً يُحاكي القصيدة الجاهلية في نَمطها المعروف من نَسيب ووقوفٍ على الأطلال ووصف للمطيّة والرّحلة وحيوانات الصحراء ، وانتقال إلى المديح أو إلى غيره من الموضوعات ، بل نجد أنّهم نَظَموا مجموعةً من المقطوعات والقصائد القصيرة في الأحداث السياسية والفِتَن القبليّة التي طَرَقها الشّعراء قبلهم . وحتى في هذه الموضوعات التّقليدية فإنّ شعرهم قليل ، إذ ليس لهم في المديح والغزل إلاّ عدد قليل من المقطوعات . ونَظَموا عدداً من القصائد والمقطوعات في الفخر ، وافتتحوا بعضها بالغزل (١) .

وأسهم شعراء اليمانية في تطوير فنّ الهجاء ، فنظموا أهاجيهم في مقطوعات قصيرة مُستقلة ، لا في قصائد طويلة مُتعدّدة الموضوعات ، وشاركوا في تشكيل فنّ النّقائض ورفده بجملة من المقطوعات التي ناقضوا فيها شعراء القيسية مثل : الأخطل التّغلبي ، وزُفَر بن الحارث الكلاّبي ، وعُمير بن الحُباب السّلمي ، والرّاعي النُّميري ، وابن ميّادة المُري ، والكُميت بن زيد الأســـديّ .

وظلت المرثية عند بيْهس بن صُهيب الجَرمي متأثّرة بالتقاليد الفنّية الموروثة ، فاستمرّ يصبّ رثاءَه في الأوزان الطويلة ، ويفتتحه بوصف الديار ومخاطبة الأصحاب ، ولكنّه لم يطل في هذه

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .
(٢) انظر : شعر النّعمان بن بشير الأنصاريّ ص : ١٤٩ ، وديوان عديّ بن الرقّاع العامليّ ص : ١٧٥ ، ونقائض جرير والأخطل ص : ٢٥ ـ ٢٦ ، والأغاني ١٦ : ٣٥٧ ، ٢٣ : ١٨٧ ، ١٩٠ ، والحماسة الشــجرية ١ : ١٧١ .

المقدمات ، بل كان يُلمّ بها إلماماً سريعاً ، فيُسقط كثيراً من العناصر التي وقف عندها الشعراء الجاهليّون [١] . في حين أنّ شكل المرثيّة قد تطور عند غيره من شعراء اليمانية ، فصاغوهـا في مقطوعات مستقلّة استخدموا فيها الأوزان الطّويلة والقصيرة والمجزوءة [٢] .

ونظم شعراء كلب مقطوعات في عِتاب بني أمية ، ولم نعثُر لغيرهم من شعراء القبائل اليمانيّة إلاّ على قطعة من قصيدة نَظمها شَبيب بنُ يزيد بن النّعمان وافتتحها بالغزل على طريقة الجاهليين [٣] .

وجاءَت أشعارهم في الحِكم والآداب والمواعظ في أسلوب واضح بسيط ، وفي مقطوعات قصيرة ، لأنّها تُمثّل خُلاصة تَجاربهم وخِبرتهم .

والنّعمان بن بشير الأنصاري ، وعُديّ بن الرّقاع العاملي هما أكثر شاعرين تأثراً بتقاليد الجاهليين في شعرهم . فأمّا النّعمان بن بشير ، فقد زَاوجَ في شعره بين التقليد والتّجديد ، إذْ نراه يَفتتح قصيدته الميميّة في تهديد معاوية بالغزل ، ثمّ ينتقل إلى الفخر ، فيفخر بنفسه ، ويُعدّد أسماء آبائه وأجداده شأن الجاهليين ، ويذكر صفاتهم من جود وندى وشجاعة وحِلم وفخر وصبر ، ولكنه لا يقتصر على ذلك ، بل يفخر بهم في الإسلام ، فهم الذين أذلّوا المُشركين وهَزموا الكفار . ويمضي بعد ذلك الى تهديد مُعاوية بن أبي سفيان وتوعّده ، ويختتم قصيدته بمدح الهاشميين [٤] . ويجري في غزله على النّمط الجاهلي ، فيأتي به في مطالع قصائده ، وقد يخصص له بعض القِطع والقصائد [٥] .

ولم يستعمل النّعمان في شعره الأوزان الصّعبة كالمديد والمُضارع ، ولذلك فإنّ شعره هو شِعر الحضارة الذي فيه سهوله ولين وعُذوبة وبساطة حين يكون الحديث مُنبعثاً من القلب ومُرسلاً على السجيّة . أمّا حين يلتزم بأصول الشعر وعَموده وينظم في موضوعات تقليدية كالفخر

---

(١) انظر : الأغاني ٢٢ : ١٣١ : ١٣٣ .
(٢) انظر : أنساب الأشراف ٥ : ٢٠٣ ، والأغاني ٢٣ : ١٨٧ ، وتاريخ مدينة دمشق (مصورة الجامعة الأردنية) ٨ : ٤٧ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر : ٣٠٨ - ٣٠٩ .
(٣) انظر : الأغاني ١٦ : ٢٠ .
(٤) انظر : الإكليل ٢ : ٢٠٤ - ٢٠٧ .
(٥) انظر : شعر النّعمان بن بشير الأنصاري ص : ٥٧ ، ١١٧ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٦) نفسه ص : ٥٦ ، ٥٧ - ٥٨ .

والحماسة ووصف الدّيار والمطر والسحاب ، فإنّه يقترب كثيراً في بناء قصائده من النّهج الجاهليّ (١).

وأمّا عديّ بن الرقّاع فهو أشهر شاعر يماني شاميّ احتذى التقاليد الجاهليّة الموروثة في بناء قصائده ؛ فافتتح عدداً منها بالمقدمة الطللية (٢)، فوقف على الأطلال وتحدّث عن الدّيار الدّارسة ، وتأملها وخاطبها وبكى فراقَ أهلها الظاعنين عنها . وحافظ في وصفه لها على كثير من العناصر الجاهلية ، كتحديد موقع الدّيار ، وتهييج الأشواق ، والسؤال ، والاستعجام ، ووصف النّؤي ، والأثافيّ ، وفعل الرّياح ، وشبّه آثارها بخط الكتاب وعنوانه ، ولعله ربط بين مشهد اندثار الدّيار وعفائها وبين صورة الضّعف الذي يعتريه كلّما تقدّمت به السن ، فعبر في مُخاطبته لها عن إحساسه بالحزن والألم لانقضاء عهد الشّباب .

وربطَ عديّ في بعض مقدّمات قصائده بين الطلل والمرأة ، وتحدّث عنها ووصف ظعنها ورحلتها في الصحراء . ومن مقدّماته الطللية قوله :

لَمن الدّار مثل خـــطّ الكتابِ   بالمراقيدِ أو بِذكر العُقاب (٤)

وقوله (٥):

عرَفَ الدّيار توهـــمّاً فاعتادها   من بعد ما شَملَ البلى أبلادَها

وقوله (٦):

ليتَ شعري هل تُخبرنّي الدّيار   بيقيـنٍ عن أهلها أينَ ساروا

وافتتح عدداً آخر من قصائده بالغزل (٧) كقوله (٨) :

بانت سُعادُ وليس الودُّ ينصَرِمُ   وداخلَ الهمّ ما لم تُمضِهِ سَقَم

---

(١) انظر : شعر النّعمان بن بشير الأنصاري ص : ٦٥ .
(٢) انظر الديوان ص : ٤١ ، ٤٩ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٩٦ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٦١ ، ١٧٧ . ٢٢٢ ، ٢٢٦ .
(٣) نفسه ص : ٤٩ .
(٤) المراقيد وذكر العُقاب : موضعان .
(٥) الدّيوان ص : ٨٢ .
(٦) نفسه ص : ١٧٧ .
(٧) انظر : نفسه ص : ٦٠ ، ١١٥ ، ١٦٨ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ٢١٠ .
(٨) نفسه ص : ١١٥ .

وقولـــه (١) :

عمِا يا ابنتي قيس صباحاً ومظلماً وإنْ كنتما أجمعتُما البيْن فأسلما

وحافظ عديّ على عدد من المقدّمات التّقليدية ، فافتتح إحدى قصائده بمقدّمة وصف الطّيف(٢) ، واستهلّ اثنتين من قصائده بمقدّمة وصف الشّيب والشّباب (٣) ، واثنتين بمقدّمة وصف الظعن (٤).

وللوقوف على مدى تقليد عديّ وتجديده في مقدمات قصائده ، نختار له قصيدتين يقول في أولاهما (٥) :

لِمَن الدّار كعُنـــوان الكِتاب هاجَت الشّوق وعيّت بالجوابِ
لم تزدْكَ الدّار إلاّ طَرباً والصِّبا غير شـــبيهِ بالصّواب
موضـــع الأنضاد لأياً ما يُرى ورمادٌ مثل كحْل العَينِ هاب (٦)
صدَّ عنه السّيلَ مَجرى تَلعةٍ خُددٌ باقٍ كأخـدود الكِراب
ضَـــربتهُ ســـلْفعٌ مملوكـــة بغراب الفأس في وجهِ التّراب (٧)
تدفع السّيلَ به حتى جَـــرى صَحصَحانيّ الصّحاري والركاب (٨)
وبما قد كان فيها ســـاكناً أهل أنعام وخيْل وقِباب (٩)
ورعابيب حِســـان كالدّمـــى لا يُنلنَ الشيبَ لذات الشّباب (١٠)

فالدّار دارسة كُعنوان الكتاب وهو أوّل ما يفنى منه ، صامتةٌ لا تردُّ جواباً ولا يُهتدى إلى موضع الأنضاد فيها إلا بعد جهد ومشقّة . وقد صدّ عنه السّيل مجرى تلْعة خُدد ، ضربتهُ سلْفع مملوكة بحدّ الفأس . ونحسّ في هذه البدايات اقتداء الشّاعر بمطولة النابغة الذّبياني (١١) اقتداءً واضحاً ، حتى إنّه يستخدم المُفردات التي استخدمها النابغة في قـصيدته

---

(١) الديوان ص : ١٩٢ .
(٢) انظر : نفسه ص : ١٩٧ .
(٣) انظر : نفسه ص : ١٠٨ ، ٢١٦ .
(٤) انظر : نفسه ص : ٢٠٤ ، ٢٣٤ .
(٥) انظر : نفسه ص : ٤١ - ٤٧ .
(٦) الهَبوة : الغُبار .
(٧) سلْفع : جارية بذّية . وغراب الفأس : حدّها .
(٨) الصَحصَح : المستوي من الأرض الأملس الصّلب .
(٩) وبما : أي : كان هذا الخلاء مأهولاً عامراً .
(١٠) الرّعبوبة : الفتاة البيضاء الناعمة .
(١١) انظر : ديوان النّابغة الذّبياني ص : ٧٦ .

مثل : « عيّت جواباً » ، و « لأياً » ، و « النّضد » ، و « ضربها » . ويمضي عديّ في قصيدته قائلاً :

فَذَرِ اللّهوَ لمن يَلـــهو بـــه   واكـــسُ أقتادَكَ جَوْناً ذا هباب (١)
حَملَـــته بـــازلٌ كوْدانـــة   في مــلاطٍ ووعــاءٍ كالجراب (٢)

فبعد أنْ أوشكَ على التّخلص من هُموم الوقوف والتّذكار وصمت الدّار قال : « فَذَرِ اللهو لمن يلهو به » ، وهي عبارةٌ تقابلُ عبارة النّابغة : « فعدّ عمّا ترى إذْ لا ارتجاعَ له » . ولمّا كانت ناقةُ النّابغة قويةً عظيمةً ، فإنّ عدياً يمتطي في هذه القصيدة بعيراً أسودَ نشيطاً ، ويصفه بالعديد من صفات القوّة ، ويشبّهه بِحمار الوحش ، ثمّ تَغلظُ صُوره وهي تشرفُ على الصُّوى ليستدلّ على مسايل الوِديان يقول :

نِعمَ قرقور المَروراة إذا   غَرقَ الحِزّانُ في آل السّرابِ (٣)
كَمُدلٌ ظلّ في عانتِه   بَصُوى الرّجلة شَرقيّ غُراب (٤)

حتى إذا ما أوردَ هذا العَيرُ أُتنــه انقطعت الصّورة ولم نجدِ للقصيدة بقيّة (٥).

والقصيدة الثانية في مدح عمرَ بن الوليد بن عبد الملك ، إذْ تأخذ قصائد المديح عنده نمطها التقليدي ، حيث يكون النّزوح والنّأي والبعاد ، بعد المودة والتّدلل والوصال . وتبدو الحبيبة في مطلعها أسيلةَ الخدَّين بيضاء ، خوداً ، تتثّنى في مِشيتِها وتَميسُ في حركتها كسير الماء على الكثيب الأهيل يقول (٦):

شطّت بجارتك النّوى فتحملِ   ونأتكَ بعــد مــودّةٍ وتدلُّــل
ولئن فعلتِ لقد علتني كَبرةٌ   وأطلتُ صَرْمك فاهجريني أو صِلي
وأسيلةِ الخدّين ســاجٍ طرفُها   بيضاءَ مونقــةٍ لعــين المُجــتلي
خَودٌ من اللائي يَمسنَ تأوّداً   مَشيَ المياهِ على الكَثيب الأهيل

(١) الجَون : الأبيض والأسود . وهو هنا الأسود المُشرب حُمرةً .
(٢) بازل : ناقة أتت عليها تسعُ سنين . والكودانة : الغليظة الشديدة . والملاط : الجَنب .
(٣) المَروراة : الفلاة . والآل : يكون ضَحوة ، والسراب : نصف النّهار . وحِزّان : جمع حَزيز : وهو الغليظ المُنقاد .
(٤) المُدلّ : عير الفلاة يُدلّ بقـوّته ونشاطه . وعانته : أتنُه . وغراب : جبل .
(٥) الدّيوان : المقدّمة ص : ١٦ ـ ١٧ .
(٦) نفسه ص : ٦٠ ـ ٧٢ .

ثمّ يفخر بنفسه ، ليبعد عنها شُبهةَ الوقوع في حبٍّ هذه المرأة ، والتّهالك عليها مُبيناً أنه امرؤٌ طاهرُ الثّوب ، نقيٌّ السريرة ، واسعُ المعروف ، يقول :

لاقيتُ في غَرب الشّباب فلم يكن ... قلبيَ لها غرضــاً ولم أســتقتلِ
وأنا امرؤٌ منّي العَفاف ولم أكن ... دِنسَ الثياب ولا مُريبَ المَــدخَل

وينتقلِ الشاعر بعد ذلك انتِقال القُدماء بجسر لفظيّ يقطعهُ الى الصحراء المُقفرة على جمَلٍ قوي شديد ، يُشبّههُ بحمار الوحشِ وأتنهِ الضوامر ، فيفيض في رَسمْ صورة المشبّه به الذي يَظهرُ في الغالب نَهاراً ، وتقترب صُورته بنهايةِ الرّبيع وبداية الصّيف وحَرارته ، إذ تذبل النّباتات ، ويلحّ عليه العطش ، فتبدأ رحلةُ البحث عن الماء . وهي صورة تقليدية نَجدها عند الشعراء الجاهليين ، يقدّمها عديّ في قصيدته باذِلاً في تزويقها جُهده ، لتبدو رائعة مُستوفاة ، ويحرص ـ كما حرص الشعراء الجاهليون ـ على أن يكون الورود بعد اختلاط الظّلام يقول :

أفلا تناساها وتَترك ذكرها ... إذْ حمّلتكَ إخالُ ما لم تَحمل
بعُذافرٍ يشري الجَديل كأنّه ... عيرٌ تصيّفَ في نحائصَ ذُبَّلِ (١)

ثمّ يقول :

حتى إذا رَمتْ الهَواجر في الثّرى ... والنّبت بعد بلولــةٍ وتربّــل (٢)
وشربن كلّ بقية صادفنهَا ... في الأرض من مَطَر السّماك الأعزل
راحَت وراحَ من الفلاة فأصبحا ... بمجامع التّلعات فوق الضُّلضُل (٣)
فظللنَ من وادي الذّباب بِشُعبةٍ ... أو بالأخَيرمِ قاربات المَنهــل (٤)
فوردْنه ونُهودهنّ نواشزٌ ... وعُيونهنّ سَواهِرٌ لم تَغفَــل (٥)
حتى إذا اختلط الظلامُ وردنَه ... ولقد بكَــينَ بهيبــة وتجفّــل

ثمّ رسم عديّ صورةً لفرسه وهو يمدّ عنانِه لطولِ عُنقِه واعتمارِه باللجام فيقول :

(١) العُذافر : القويّ الشديد من الجمال ، ونحائص ذُبلّ : ضَوامر .
(٢) التّربل : أنْ ينفطر وتظاهر منه الحُفرة ، وذلك في أيّام الصّفرية ، وهيَ آخر القيظ .
(٣) الضّلضُل : موضع .
(٤) وادي الذّبابِ والأخيرم : موضعان . وقاربات : من القَرب وهو السّير إلى الماء .
(٥) نواشِــز : مرتفعة .

فأتــينَ مُشــتَرفاً يمـدُّ عِنــانه ويد الغُلام بطعنة في المِســحَل (١)

ويدقّقُ في صورته ، فيصف أجزاءه وأعضاءه . ويُمثّل هذا التّداخل في القصيدة والانتقال من مرحلة وصف الجمل وتشبيهه بعَيْر الفلاة إلى وصف الفَرس حالةً جديدة في البناء التّقليدي للقصيدة العربيّة ، بعد أن أصبحت تأخذ شكلاً مُتناسقاً من حيث التّدرجُ ، وموحّداً من حيث المتابعة ، ومنهجياً من حيث استخدام الحيوانات في مثل هذه اللوحات ، وفي أبيات وصف الفرس إثارة جديدة ، لأنه يُباشر بعدها الحديث عن رسوم المنزل قائلاً :

فهل انتَ مُنصرفٌ فَتنظر ما الذي أبقى الحوادثُ من رسوم المنزلِ

ويبدو أنّ تعلّقَ الشاعر بالمقدّمة وتمسّكه بالدّيار ، حَمَله على العودة إلى استذكاررسوم المنزل . وتتكرر الصّور والعناصر التي عرفناها في وصف الديار من استواءِ الأرض ، ولعب الرّياح ، والدّعاء بالسّقيا ، والتّعريج على ذِكر أهل الدّار الذين استبدلوا بها دياراً جديدة ، ولم يبقَ من آثارهم إلاّ أخاديد . وتُفضي هذه المُقدّمة إلى المَمدوح وهو عمرُ بن الوليد بن عبـد الملك ، الذي تَرعرعَ يافِعاً ، وترك الفواحش ، وانتمى إلى حَسَب رفيع(٢) .

وعلى الرّغم من قلّة تصوير الجمل في أشعار الجاهليين (٣) إلاّ أن عدياً وَصَفه في قصيدتيه السّابقتين . ولم تكن هذه الظاهرة عامة في شعره ، فقد وصف الناقة في قصائده أكثر من الجمل وتتبع صفاتها التقليدية ، وبدا في وصفه لها قادراً على مُحاكاة القُدماء (٤) . وشبّهها بِحمار الوحش والقَطاة مُخالفاً بذلك الجاهليين ؛ لأنهـم كانوا يشـبّهون خُيولهم بالقطا (٥) .

وأهمل عديّ في مقدمات قصائده عُنصرَي الحيوان والنبات اللذين استعان بهما الجاهليـون في رَسم صور الأطلال والديار الموحشة الخالية (٦) . وكان يتجاوز ذِكر النّاقة في

---

(١) المِسحل : الحديدة التي تحت الحنك من اللجام .

(٢) الدّيوان : المقدّمة ص : ١٨ ـ ٢٠ .

(٣) الصّورة الفنيّة في الشعر الجاهلي في ضوء النّقد الحديث ص : ٧٧ .

(٤) انظر : الدّيوان ص : ٧٣ ، ٩٦ ، ١٣٦ ، ١٥٠ .

(٥) الصورة الفنيّة في الشعر الجاهلي في ضوء النّقد الحديث ص : ٨٦ .

(٦) انـظر : عديّ بن الرّقاع العامليّ : حياته وشعره ، رســالة ماجستير مخطوطة ، الجامعة الأردنية ، ص : ١١٠ .

بعض قصائده المَدحيّة (١) ، فلا يصفُها ولا يتحدّث عنها . وهذا يُعدّ تجديداً في البناء الفنّي للقصيدة وتخلّصاً من بعض الرّسوم التّقليدية للقصيدة الجاهلية .

ومن قصائده التي نلمس في مقدّمتها جدّة : قصيدته اللاميّة في مدح الوليد بن عبد الملك (٢) ، فقد قدّم لها ببيتيْن عن الأطلال جَمعَ فيهما من الصّور والتراكيب ما أغناه عن التّفاصيل ، ثم انتقل إلى وصف محبوبته ، لينفذ من ذلك إلى الحديث عن الإنسان والقوّة والسلاح الذي يفلّ تلك القوة ، وهو حديث يدخل في إطار الفلسفة الواضحة . ويبقى المجهول سرّاً غامضاً لا يُهتدى إليه ، وتظلّ المنيّة تُلاحق الإنسان دون أن يقدر على الاحتراز منها . ويضرب عدي المَثل باستحالة الفرار من الموت بالوعل المُتوحش ، وهو الرّمز التقليدي لمجابهة الموت والصّراع الأبدي ، وبطائر من عتاق الطير ، يسكن ما علا من الأرض ، ولا ينزل إلاّ فوق شاهقة وقت الظّلام ، لأنهما من أبعد الأحياء عن أسباب الموت ، إلاّ أنّ المنيّة تُدركُهُما . وبعد أن تتكاثر هُموم الشاعر ويشتد هاجس الأحزان ، وترتفع أصوات القوّة ، تتبادر إلى ذِهنه صورة الانتقالة اللفظية عند الجاهليين ، فُيسري همّه بناقة صلبة قوية ، لا تشتكي ولا تتضجر ، لتكون أقدر على المقاومة ، وأصبر على متاعب الرحلة الشاقة ، ويشبهها بالقطاة ، ثم ينتقل إلى المديح . وتبدو هذه المقدّمة جديدة في تَسلسُل موضوعها ، إذ تجاوز فيها كثيراً من العناصر التّقليدية ، كالتدقيق في وصف الأطلال والنّاقة وحيوانات الصحراء (٣).

وبيّن النّقاد أهميّة جُملة من عناصر البناء الفنّي للقصيدة العربية منها : المطلع والتخلص وخاتمة القصيدة ووحدتها . فأمّا المطلع فله أهميّة كبيرة ؛ لأن حُسن الافتتاح داعية الانشراح ومطيّة النّجاح ، كما يقول ابن رشيق (٤) ، لأنه أوّل ما يقرع السّمع ، وبه يستدل على ما عند الشاعر من أوّل وهلة ، فإن كان حَسَناً ، فإنّه يكون داعياً إلى الاستماع لما بعده . وينبغي على الشاعر أن يجوّد في ابتداء شعره ، فيجعله جيّد اللفظ ظاهر المعنى ، واضح الأسلوب ، مناسباً لموضوع القصيدة ، تحقيقاً للقاعدة البلاغية المعروفة : « مُطابقة الكلام لُمقتضى الحال » .

---

(١) انظر : الديوان ص : ٨٢ ، ١١٥ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٩٧ ، ٢١٠ ، ٢١٠ ، ٢٢٢ .

(٢) انظر : نفسه ص : ٧٣ .

(٣) نفسه : المقدّمة ص : ٢١ - ٢٢ .

(٤) العُمدة ١ : ٢١٧ .

وقد وفق بعضُ شعراء القبائل اليمانية الشّامية في اختيار مطالع قصائدهم من حيث استخدام الألفاظ المُناسبة ، والمعاني الرّشيقة ، والأسلوب الواضح ، ومنهم : النّعمان بن بشير الأنصاري في قوله (١) :

ألا أيّها القلبُ الذي لا يُلائمُ لذاذةَ نومٍ والعيونُ نَوائمُ

فإنّه يُعبّر عن اضطرابه وقلقه وسهره ، وهو مطلع يلائم موضوع القصيدة التي نَظَمها النّعمان في تهديد مُعاوية بن أبي سُفيان وهجائه .

ومنهم : عدي بن الرّقاع العاملي ، وأكثر قصائده تقليدية ابتدأها بالأطلال والنّسيب ، ومنها قوله :

لمن الدّار كعُنوان الكتاب هاجت الشّوق وعيّت بالجواب

فَتشبيه الدّار بعنوان الكتاب وهو أوّل ما يَفنى منه ، يدل على دروسها واندثار معالمها ، وذِكره الشّوق والاستعجام ، يُمهّد للحديث عن أهلها . وقوله (٣) :

أتَعرف الدّار أم لا تعرف الطّللا بلى فهيّجت الأحزان والوَجَلا

ومن مطالعه الغزلية قوله(٤) :

بانت حُسينةُ وائتمّت بمن بانا واستحدثت لك بعد الوَصل هِجرانا

وقولـــه(٥) :

غـــدا ولمْ يقضِ من سلّومة الوطَرا وما تلبّثَ إذْ ولّى وما انتظرا

واستخدم شعراء اليمانية في مطالع قصائدهم ومقطوعاتهم الحُروف والألفاظ التي استخدمها الشعراء الجاهليّون قبلهم مثل : « لقد » ، « ألاّ » و « خليليّ » . ومن ذلك قول عُويج الطائيّ (٦) :

لقد علِمَ الأقوامُ وقعَ ابن بَحدل وأخرى عليهم إنْ بقي سُعيدُها

وقول سنان بن جابر الجُهنيّ (٧):

لقد طارَ في الآفاق أنّ ابن بَحْدَل حُميداً شَفَى كلْباً فقرّت عُيونها

---

(١) الأكليل ٢ : ٢٠٤ .
(٢) الدّيوان ص : ٤١ .
(٣) نفسه ص : ٧٣ .
(٤) نفسه ص : ١٦٨ .
(٥) نفسه ص : ١٨٦ .
(٦) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٤٤ .
(٧) الأغاني ١٩ : ١٤٥ .

ومنه قول حُميدة بنت النّعمان (١):

آلا يا ابن المُهاجر قـــد دَهاني طـــارقٌ طَــرقا

وقول هِند الجلاحيّة (٢):

ألا هلْ ثائرٌ بدماء قومٍ أصابهم عُميرُ بـن الحُبـــابِ

ومنه أمثلة في شعر يحيى بن مُعاذ الكلبيّ (٣)، وصقر بن صَفوان الكلاعيّ (٤)، وذي الأصبع الكلبيّ (٥).

ومن استخدام « خليليّ » قول الأقيبـل القيني (٦): « خليليّ قوما في ســما دير فانظـرا » . ويرى بعض النّقاد أنّ الابتداء بهذه الحروف والألفاظ من علامات الضّعف والنّكلان ، إلاّ القدماء الذين جروا على عِرق وعملوا على شاكلة (٧) .

واشترطوا في المطالع الجيّدة أن تكون مُصرّعة ؛ لأنّ التّصريع يزيد جمالَ الشعر ، ويدلّ على قوّة طبع الشاعر وسعَة بحره وكثرة مادّته ، ولذلك لم يكد الشعراء الفحول يعدِلون عنه في مطالع قصائدهم (٨) . ويرى ابن رشيق القيرواني أنّ الشاعر إذا لم يُصرّع قصيدته ، فإنّه يكون كالمتسوِّر الدّاخل من غير باب (٩).

ومن شعراء اليمانية من اهتمّ بالتّصريع في مطالع قصائده ، ومنهم مَنْ أهمله . فممّن اهتموا به : النّعمان بن بشير في قصيدته الميميّة (١٠)، وعدي بن الرّقاع ، وهو أشهر مَنْ اهتمّ به منهم ، ، إذْ لم يُهملهُ إلاّ في أربع قصائد هي : السّادسة (١١)، والثانية والعشـرون (١٢)،

---

(١) أنساب الأشراف ٥ : ٢٠٣ .

(٢) الأغاني ٢٣ : ١٨٧ .

(٣) انظر : الحماسة الشجرية ١ : ١٧١ : ١٧٢ .

(٤) انظر : تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنية) ٨ : ١٨٢ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٤٤٦ .

(٥) انظر : المؤتلف والمُختلف ص : ١٧١ .

(٦) نفسه ص : ٢٥ .

(٧) العمدة ١ : ٢١٧ - ٢١٨ .

(٨) نقد الشعر ص : ٥١ .

(٩) العمدة ١ : ١٧٧ .

(١٠) انظر : الإكليل ٢ : ٢٠٤ .

(١١) انظر : الديوان ص :٩٦ .

(١٢) انظر : نفسه ص : ٢٠٤ .

والثالثة والعشرون (١)، والسادسة والعشرون (٢). وجاء بالتّصريع في ثنايا قصيدته الدالية في مدح الوليد بن عبد الملك ومطلعها (٣):

عَرَفَ الدّيار توهّماً فاعتادها ‏ ‏ ‏ ‏ من بعد ما شمل البلى أبلادها

فقال

بانت سُعادُ وأخلفتْ ميعادَها ‏ ‏ ‏ ‏ وتباعدت منّا لِتمنعَ زادها

مما يدلّ على تمكّنه وسعة بَحره، إلاّ أنّ التّصريع إذا كثُر في القصيدة دلّ على تكلّف (٤).

وممن اهتموا بالتّصريع أيضاً: عمرانُ بن هِلباء الكلبيّ، فإنّه صرّع قصيدته التي نَحلها الوليد بن يزيد فقال (٥):

ألمْ تهتَج فتـذّكر الوصـالا ‏ ‏ ‏ ‏ وحبلاً كان متّصلاً فَزالا

وصرّع قصيدته التي نظمها في نقض هذه القصيدة فقال (٦):

قفي صدر المطيّة يا جُلالا ‏ ‏ ‏ ‏ وجُذّي حبلَ مَنْ قطع الوِصالا

ومن الذين أهملوا التصريع في مطالع قصائدهم: عمرو بن مِخلاة الكلبيّ في قصيدته العَينيّة (٧)، وعُميرةُ بنت حسان الكلبيّة (٨)، وسـنان بنُ جـابر الجُهـنيّ (٩)، وبيهـس بن صُهيب الجَرميّ في رثائه لصفراء (١٠)، وعطية الكلبيّ، مولى ثابت بن نُعيم الجُذاميّ (١١).

ومن الطّبيعي أن تخلو المقطوعات من التّصريع، لأنّها لا تحتمله لقلّة عدد أبياتها.

ويُعدّ حُسنُ التّخلص شرطاً أساساً في القصيدة الجيّدة، فالشعراء الجيّدون هم الذين يحسنون الانتقال من موضوع إلى موضوع في القصيدة الواحدة، دون أن يشعرَ السّامع بانعدام التّرابط بين أجزاءِ القصيدة، أو انقطاع المعنى بسبب الانتقـال المُفاجىء. ومن أمثلة حُسن التخلص عند شعراء اليمانية قولُ الأُقَيْبِل القَيني مُتَخلّصاً من وصف حُمول صاحبته إلى

---

(١) انظر الديوان ص: ٢١٠.

(٢) انظر: نفسه ص: ٢٢٦.

(٣) انظر: نفسه ص: ٨٢.

(٤) العمدة ١: ١٧٧.

(٥) تاريخ الرسل والملوك ٧: ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٦) نفسه: ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٧): انظر: نقائض جرير والأخطل ص: ١٧ - ١٩.

(٨) انظر: الأغاني ١٩: ١٥٢.

(٩) انظر: نفسه ص: ١٩: ١٤٥.

(١٠) انظر: نفسه ص: ٢٢، ١٣١، ١٣٣.

(١١) انظر: كتاب الوحشيّات ص: ٢٠.

الحديث عن قصّته مع الحجّاج بن يوسف الثّقفي :

كانت علاقته هذا قَدرٍ وكلّ أمرٍ أذا ما حُمَّ مقدورُ
إنّي لأعلم والأقدارُ غالبةٌ أنّ انطلاقي إلى الحجاج تغريرُ

فقد مهّد بذكر القَدر في البيت الأول للحديث عن هروبه وتوعّد الحجاج له بالقتل . ومنها قول عدي بن الرقّاع منتقلاً من الغزل الى مدح عُمر بن الوليد (٢):

تقولُ وإعلانُ العتاب ملامةٌ أأجمعتَ هِجراناً لنا وتجنّبا
فقلت لها : لا ، بل تألّفني امرؤٌ وريُّ الزناد يحسب الحَمد منهبا

وثمّة أمثلة لحسن التخلّص في شعر بيهس بن صُهيب الجرميّ (٣)، وعمران بن هلباء الكلبيّ (٤) .

وكان مذهب القُدماء في التخلّص واحداً ، وهو لا يخرج عن قولهم عند الخروج إلى المدح ، أو عند فراغهم من نَعت الإبل وذِكر القفار « دع ذا » و « عدّ عن ذا » ، ثمّ يأخذون فيما يريدون . أو يأتون بـ « إنّ » ابتداءً للكلام الذي يقصدون ، وربّما قالوا بعد صفة النّاقة والصّحراء : « إلى فلان قصدت » ، و « حتى نَزلت فِناء فلان » وما شابه ذلك (٥).

وقد اقتدى بعضُ شعراء اليمانية بمذهب القدماء في تخلّصهم من موضوع إلى موضوع . ومن أمثلة ذلك قولُ النّعمان بن بشير الأنصاريّ متخلّصاً من الغزل إلى وصف النّاقة (٦):

فسلّ لُبانات الهوى بجلالةٍ جُماليةٍ تكسو الكَلال تبغّما

وقول عدي بن الرّقاع مُنتَقلاً من وصف الخَمر إلى وصف البرق (٧):

فدعْ ذا ولكن هل ترى ضوءَ بارقٍ وَميضاً ترى منه على بَعدِهِ لَمعا

---

(١) المؤتلف والمختلف ص : ٢٦ . (٢) الدّيوان ص : ٢٣٠ .
(٣) انظر : الأغاني ٢٢ : ١٣١ . (٤) انظر : تاريخ الرّسل والملوك ٧ : ٢٣٦ .
(٥) العُمدة ١ : ٢٣٩ ، ود. يوسف حسين بكّار : بناء القصيدة العربية ص : ٢٩٤ - ٢٩٥ .
(٦) شعر النّعمان بن بشير الأنصاريّ ص : ١٢٣ .
(٧) الدّيوان ص : ٢٢٣ .

وقوله (١): « فَذر اللَّهو لَمَن يلهو به » ، وقوله (٢) : « فصرِّم الهمّ إذا ولّى بناجية » ، وقوله (٣) : « أفلا تناساها وتتركَ ذِكرها » . وفي شعره أمثلة أُخرى مُتعدّدة (٤):

ومنها قول عِمران بن هِلباء الكلبيّ مُتخلصاً من الغَزل إلى الفخر في القصيدة التي نحلها الوليد بن يزيد (٥):

فَدع عنكَ ادّكارَك ال سُعدى   فنحنُ الأكثرون حَصى ومالاً

وإذا لم يكن التّخلصُ جيداً سُمي اقتضاباً ، وهو أن يقطع الشاعر كلامه ويستأنف كلاماً غيره ، من مدح أو هجاء أو غيرهما ، دون أن يكون لكلامه اللاحق صلة بكلامه السابق . والاقتضاب هو مذهب القدماء ، أمّا المحدثون ، فإنّهم أبدعوا في التخلّص (٦). ومن أمثلة الاقتضاب في شعر القبائل اليمانية الشامية قول عدي بن الرّقاع يصفُ حُمُر الوحش ، ثمّ ينتقل إلى مدح الوليد بن عبد الملك فجأة دون تمهيد (٧):

فشربن ثمّ صدَرن غير سواكنٍ   من لون حَمأته لهنّ حُجولُ
فاذكر أميرَ المؤمنين بمدحــــةٍ   إنّ الوليد له عليّ فضول

وقوله بعد أن وَصَفَ البرق والمطر (٨):

تبعجٌ مجّاجاً من الغَيث لم يَذرْ   أباطحَ إلاّ يطّردن ولا تلعا
مدحتُ أميرَ المؤمنين الذي دعوا   إليه وخير النّاس عن دينهم دفْعا

واهتم النقادُ بالخاتمة وعدّوها قاعدة القصيدة ؛ لأنها آخر ما يبقى منها في الأسماع ، ولذلك دعوا الشعراء إلى تجويدها ؛ وإلى أن يجعلوا ما يقع فيها من الكلام أحسن مما يندرجُ منه في حشو القصيدة ؛ لأنه ليس أقبح من كَدَر بعد صفو ، ومع ذلك فإنّ اهتمامهم بها كان أقل من اهتمامهم بالمطلع(٩).

---

(١) الديوان ص : ٤٣ .   (٢) نفسه ص : ٧٦ .
(٣) نفسه ص : ٦١ .   (٤) انظر : نفسه ص : ١٠٠ ، ١٢٤ ، ١٣٩ ، ١٥٣ .
(٥) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٤ - ٢٣٥ .
(٦) العمدة ١ : ٢٣٩ ، وبناء القصيدة العربية ص : ٣٠٠ .
(٧) الديوان ص : ٢٠٧ .
(٨) نفسه ص : ٢٢٣ ، وانظر : ص ٧٠ .
(٩) العمدة ١ : ٢١٧ ، وبناء القصيدة العربية ص : ٣٠١ .

وأجادَ عددٌ من شعراء القبائل اليمانية في اختتام قصائدهم ومقطوعاتهم ولاءَم بعضهم بين خاتمة القصيدة وموضوعها ومنهم : الأحمر بن شُجاع الكلبيّ الذي اختتم مقطوعته في عتاب بني أميّة بِمَثَل فقال [١].

وإنْ يكفرونا ما صنَعنا إليهم　　　فما كلّ مَنْ يُؤتى الصّنيعة يَشكر

وبيهس بن صُهيب الجرميّ ، إذْ يقول مُختتماً قصيدة في رثاء صفراء [٢]:

مَن الذي بَعدكم أرضى به بدلاً　　　أو مَنْ أُحدِّثُ حاجاتي وأسراري؟!

ومنهم عدي بن الرّقاع العامليّ [٣] الذي ربّما اختتم بعض قصائده المدحيّة بطلبِ الجائزة [٤].

واختتم عمرانُ بن هِلباء قصيدته في الردّ على القصيدة المَنسوبة إلى الوليد بن يزيد بالتهديد والوعيد فقال [٥]:

ستلقى إنْ بقيتَ مُسوّمات　　　عوابِس لا يُزايلنَ الحِلالا

ويرى المتتبع لشعر هذه القبائل أن خَواتم عددٍ من القصائد ضاعت ، وبخاصة قصائد عمرو بن مِخلاة الكلبيّ [٦]، والأُقَيبِل القيني [٧]، وعديّ بن الرّقاع العاملي [٨]، وشبيب ابن يزيد بن النّعمان بن بشير [٩].

وأخلّ بعض الشّعراء بوحدة البيت ، فاتّصل المعنى بالبيت الذي يليه ، وهو عيبٌ من عيوب القافية يُسمّى التضمين ، ومن النّقاد منْ لا يرونه عيباً [١٠]. ومنه ما وقعَ في شعر عَمرو بن مِخلاة [١١]، وعدي بن الرقاع [١٢]، والأصبغ بن ذؤالة الكلبيّ [١٣]. ومنه

---

(١) المؤتلف والمختلف ص : ٤١ - ٤٢ .
(٢) الأغاني ٢٢ : ١٣٢ .
(٣) انظر: الديوان ص : ٧٢ ، ٩٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ .
(٤) انظر : نفسه ص : ١١٤ .
(٥) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٦ .
(٦) انظر: : نقائض جرير والأخطل ص : ١٧ - ١٩ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٦٧ .
(٧) انظر : المؤتلف والمختلف ص :٢٥ .
(٨) انظر: الديوان ص :٤١ ، ٩٦ ، ١٢٧ .
(٩) انظر: معجم البلدان : أعابل .
(١٠) بناء القصيدة العربية ص : ٢٥٠ .
(١١) انظر: الأغاني ١٩ : ١٤٨ .
(١٢) انظر: الديوان ص : ٢١٩ - ٢٢٠ .
(١٣) انظر: الأغاني ٧ : ٧٩

قول صالح بن جناح اللّخميّ [1] :

يا أيّها الملكُ الذي بيَمينِه	بابُ الزّمان وصَوْلة الحَدثان
أنعِم صَباحاً بالسّيوف وبالقنا	إنّ السّلاح تحيّة الفُرسان

وقول شقران مولى بني سَلامان في قتل الوليد بن يزيد [2]:

إنّ الذي ربّصها أمـــرَه	سرّاً وقـــد بيّن للسـامع
لكالتي يَحسَـبُها أهلهـــا	عذراءَ بِكراً وهي في التّاســع

وتحقّقت الوحدة الموضوعية في المقطوعات التي نظمها شعراء اليمانيّة ، فقد تخففوا فيها من كثير من التقاليد الفنيّة التي نجدها في القصائد الطويلة ، فلم يفتتحوا مقطوعاتهم بالمقدّمات التقليدية ، كالمقدّمة الطلليّة أو الغزلية أو مقدّمات وصف الظُّعن والخمر والشيب والشّباب والطّيف ، ولم يتحدّثوا عن الرّحلة في الصّحراء ، ولا عن حُمُر الوحش ومناظر الصّيد ؛ لأنّهم كانوا يعبّرون عن أحداث ومواقف ومُناسبات مُعيّنة في أبيات مُحكمة البناء ، مُركّزة الإحساس ، كقول يحيى بن مُعاذ الكلبيّ يُعلن انتصار قبيلته على قيس في واحدة من المعارك التي دارت بينهما ، ويفخر بقتل الكلبيين سَراة سُليم وعامر ، وتركهم طعاماً للذّئاب ، ويشمتُ باندحار القيسيين ووقوع نسائهم سبايا في أيدي الكلبيّين [3]:

ألا مَنْ مُبلغ زُفراً رســـولاً	ومُبلغه عُميرَ بن الحُبـــابِ
ضَربنا جَمعكُم حتّى تــولّـى	بكلِّ مُهنّدٍ مثل الشّـــهاب
فِدىً لبني جَناب جُلُّ مالـــي	أجَلْ ، وحَليلتي لبني جَنـــاب
هُمُ تَركوا سَراة بني سُــلَيم	وعامِرها طعاماً للذّئـــاب
وهم ضَربوهم حتّى تولّـــوا	وخلّوا كلّ بهكنَةٍ كعـــاب

وقول يزيد بن خالد القَسري يُندّد بقتلِ القيسيّة لأبيه غدراً وُعدواناً ، وهو المُسلمِ الصالح ، ويشمتُ باغتيال الوليد بن يزيد ، مُردّداً أنّه قتله بأبيه ، وكان يزيد بن خالد أتى الوليد وهو مجندل ، فضربه تسع ضربات [4]:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنية) ٨ : ٩٧ .

(٢) نفسه ٨ : ٤٨ . وانظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٢٧ .

(٣) الحماسة الشجرية ١ : ١٧١ - ١٧٢ .

(٤) أنساب الأشراف (مصوّرة الجامعة الأردنية) المجلد الثاني ص : ٣٣٥ ، والوليـد بن يزيد ، عـرض ونقد ص : ٤٧٦ .

قتلْتم خالداً بالظّلم قسراً ... وما يبغي سِوى الإسلام دينا
قتلتُ أمامكم بأبي فحَسبي ... وقد قتلوا سِواه آخرينا

وقول عويج الطائي يَمتدح كلباً وقائدها حُميد بن حُريث بن بَحدل الكلبي ، في الوقائع التي كانت بينهـا ، وبين قيس بعد مرج راهط [1]:

لقد علِم الأقوامُ وقعَ ابن بحدل ... وأخرى عليهم إنْ بقي سيُعيدها
يقودون أولادَ الوجـيه ولاحـــقٍ ... من الرّيف شهراً ما يَني مَنْ يقودها
فهذا لهذا ثمّ إنّي لنافضٌ ... على النّاس أقوالاً كثيراً حدودها
فلولا أميرُ المؤمنين لأصبحت ... قُضاعة أرباباً ، وقيسٌ عَبيدها

وواضحٌ أنّ المقدّمات التقليدية لا تصلح لمثل هذه الإعلانات الشعرية التي يصوغها الشعراءُ في أبيات قليلة ، ليسهل حِفظها وانتِشارها بين القبائل .

وتحققّت الوحدة الموضوعية أيضاً في القصائد التي نظمها شعراء اليمانية مثل قصيدة ميسون بنت بحدل الكلبية في الحنين ، فإنّ فيها وحدة موضوعية تفتقدها كثير من القصائد الأموية عند غير شعراء الغزل العُذري ، فهي تعبّر عن مشاعر مُتقاربة من الشوق والحنين ، وزاد قِصر أبياتها وقربها إلى شكل المقطوعة من تماسكها ووحدتها الشعرية . ومثل قصيدة النّعمان بن بشير الميمية [2] التي تُسيطر عليها عاطفة الشوق إلى زوجه أم عبد الله ، على الرغم من تعدد موضوعاتها . وقصيدة ابن حَوشب ذي ظليم الحِميري في تهديد مُعاوية بن أبي سُفيان [3].

ومن هذه القصائد أيضاً : قصيدتا بيْهس بن صُهيب الجَرمي في رثاء صَفراء [4]. وقصيدة عطيّة الكلبيّ مولى ثابت بن نُعيم الجُذامي وهي تتوالى على هذا النّحو [5] :

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٤٤ .
(٢) انظر : شعر النّعمان بن بشير الأنصاري ص : ١١٧ - ١٢٧ .
(٣) انظر : الإكليل ٢ : ٢٠١ - ٢٠٢ . وسترد أبيات من القصيدة بعد قليل .
(٤) انظر: الأغاني ٢٢ : ١٣١ - ١٣٣ .
(٥) كتاب الوحشيات ص : ٢٠ - ٢١ ، وانظر أبياتاً منها في : أنساب الأشراف (مصوّرة الجامعة الأردنية) المجلد الثاني ص : ٣٥٢ - ٣٥٣ ، وتاريخ الموصل ص : ٦٦ ، ومعجم الشعراء ص : ١٥٨ - ١٥٩ .

أبلغ بني القَين عن قيسٍ مُغلغلةً قومي ومَشجعةَ النائي بها الوطنُ
ودّي إذا غِبتم عن نَصر قومكم كُنتم جَميعاً وأدنى داركم عَدن
يا ثابتُ بن نُعيم دعوة جزَعاً عقّت أباها وعقّت أمّها اليَمن
كم من أخٍ لك أو مولى فُجعتَ به يوم الوقيعةِ لم يُنشر له كَفَن
ومن يمانيةٍ بيضاءَ مُوجعةٍ ما إنْ يَسوغُ لها ماءٌ ولا لَبَن
مفجوعةٍ بذوي القُربى إذا ظَمئت ردّ الشّرابَ عليها الثّكل والحَزن
يا ثابتُ بن نعيم ما بكم ثُـــؤَرٌ أبعد عامِك هذا تُطلب الإحَن
بيِّن لنا يأمر الجُندان أمرهُما ماذا تُريد بأنّا منكم قمن
قد طالَ ما قد أرى أشرافنا أكلت أحسابَها وتأتيناك مذ زمن (١)
يا خير من طلبَ الله الدّماء به حاشا النّبي وإنْ قالوا هَنٌ وهَن
أنائمٌ أنتَ أم مُغضٍ على مضضٍ كلاّ وأنتَ على الأحسابُ مؤتمن
وتاركٌ أنتَ مالَ الله يأكله عَيرُ الجزيرة والأشراف تُرتَهن (٢)
أو يهجعنٌ سليماً في منازله أو يأمننٌ وأهل الخوف ما أمنوا

فهو لم يبدأ قصيدته بالمقدّمة الطلليّة أو الغزلية أو غيرهما من المقدمات التقليدية ، بل نظَمها في موضوع واحد ، هو تحريض ثابت بن نُعيم واليمانيّة على الثورة ، مُبيناً في أثناء ذلك ظُلم مروان وتسلّطه . فلّما بلغت قصيدته مروان ، أحضره وسأله عنها فاعترف بها فقَتله ، وكانت السبب في خروج ثابت بن نعيم على مروان سنة سبعٍ وعشرين ومائة للهجرة (٣).

وتألفّت قصائد عدي بن الرّقاع من قِسـمين هما : المقـدّمة على تعدد أشكالها ، والموضوع وغالباً ما يكون المديح .

(١) لعل الصّواب : تأيّناك (بياءَين) من قولهم : تأيّت الشيء إذا تعمّدتُ آيته أي شخصه .
(٢) عَيرُ الجزيرة : لقبٌ لمروان بن محمّد . وكان يُلقّب أيضاً بالجعديّ .
(٣) تاريخ الموصل ص : ٦٦ ، ومعجم الشعراء ص : ١٥٨ ـ ١٥٩ .

٢ ـ اللغـــة والمعاني :

تحدثنا في الفصل الثاني من هذه الدراسة عن لغة القبائل اليمانية الشاميّة ، وبيّنا أن هذه القبائل لم تكن يمانية ولا جنوبيّة من الوجهة اللّغوية ، لأنها تعربت منذ العصر الجاهليّ ، واتّخذت العربيّة المُضرية أو الشمالية العدنانية لغةً لها ، كما أنّها لم تتأثر باللغة السريانيّة ؛ لأنّها ظلّت في مجموعها قبائل بدوية تتنقل بخيامها وأنعامها من مكان إلى مكان في جنوبيّ بلاد الشام . ولم يكن لها اختلاطٌ كبير بالطّوائف السريانية التي سكنت المُدن الشامية الكبرى . وذكـــرنا أن عُلماء اللغة العراقيين وفقهاء ها قد منحوا هذه القبائل ثقة ضئيلة ، فلم يهتمّوا بلغتها ، ولم يحتجّوا بشعرها ، لأنها كانت خارجـــة عن محيط اللغة العربية الفصيحة الذي تواضعوا عليه .

ويمكننا بعد أن درسنا شعر القبائل اليمانية الشامية في العصر الأمويّ أن نقول : إنّ لغة هذا الشعر بعامّة لغةً جزلة رصينة تجري على الطّبع والذّوق السليم ، وإنّ ألفاظه تتباين من حيث الجزالة والقوّة من موضوع إلى موضوع ، فهي في الغزل والتهنئة أرقّ منها في المديح والفخر والرثاء والوصف وغيرها من الموضوعات التقليدية التي استخدموا فيها الألفاظ الفخمة والتراكيب الجزلة والمعاني التي لا تخلو من مُبالغة ، كقول ابن حَوشب ذي ظُليم الحِميري يفخر بقومه ويهدّد معاويـة بن أبي سُفيان (١) :

مُعاويَ مهلاً من تُهدّد قومنا ... فإنّا ورَدنا الحوض عند الكبائر

أقمنا على صِفين حتى تَوردّت ... صَفائحُ في أيدي حُماةٍ مساعر

مُعاوي إلاّ تقضِ بالحق تعترف ... نَواصي خيلٍ مُنعلات الحَوافر

عليهنّ هيسٌ من مقاويل حِمير ... مُعيدون يوم الرّوع جَدع المَناخر

إذا ما مشوا في السّابري حسبتهم ... مَرابذةً من تحت ســـود المَغافر (٢)

كأنّهم في النّاس أنجم حِندسٍ ... تلألأُ في أعلى بروج المناظر

لنا المُلك قِدماً لا نُدافعُ دونه ... وما زال في قحطان سَطوةُ قادر

وكلّ رَقيق الحدّ يقطر ماؤه ... وكلّ صَليبٍ من قنا الخط شاجر

---

(١) الإكليل : ٢ : ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

(٢) المرابذِة : قومة بيت النار عند الهنود ، وتطلق على عُظماء الهُنود وعُلمائهم .

وكلّ كميتٍ لا ينال قَذالهُ وأشقر مثل السيّد نهدِ الزّوافر

على أنها مع ذلك تظل ألفاظاً وتراكيب مألوفة استخدمها الشعراء قبلهم .

وكانت معاني هذا الشعر في جُملتها تقليدية مُكررة ، وبخاصة في الفخر والهجاء ، بسبب ترسخ القيم الجاهلية في نفوس الكثيرين من شعراء هذه القبائل ، وراوح الشعراء في المديح والرثاء بين المعاني الجاهلية والمعاني الإسلامية ، وتخففّوا في الرثاء من المعاني التقليدية التي تتمثل في أسـلوب التعزية الذي يقوم على وصف الصراع بين كلاب الصيد وحُمر الوحش ، والحديث عن هلاك أقوى حيوانات الصحراء وأشدها ضراوةً .

ومن معانيهم الجديدة : الفخرُ بعمق الموهبة الشـعرية كما رأينا عند شُـقران مـولى بني سـلامان . والتهنئة بالزواج ، وهي من المعاني الإسلامية التي لم يرو لشعراء الجاهلية شيءٌ منها (١) .

ونكاد لا نجد صعوبة في الألفاظ إلاّ عند النعمان بن بشير الأنصاري وعدي بن الرقاع العاملي ، بسبب تقليدهم للشعراء الجاهليين ، بحيث يتعذّر تفسير الكثير من مفرداتها دون الرجوع إلى معجمات اللغة ، وذلك حين ينظمان في الموضوعات التقليدية مثل : وصف النّاقة والفرس والصحراء وحيواناتها ، ووصف السحاب والبرق والمطر ، وهي الموضوعات التي امتازت لغتها منذ العصر الجاهلي إلى أواخر العصر الأموي بالغرابة والصعوبة . فمن المفردات الصعبة في شعر النعمان بن بشـير(٢) : « يحفِشُ الوَدق » ، و « بنانـه » ، و « صـيّم » ، و « القطيع المُحرم (٦) ، و « مرجَحِنة (٧) » ، ومن أمثلتها في شعر عدي بن الرقاع قوله يصف إبـلاً (٨) :

---

(١) الشعراء الشاميون ص : ٣٩ .

(٢) انظر : قصيدة النّعمان بن بشير الميمية في : شعر النّعمان بن بشير الأنصاري ص : ١١٧ .

(٣) يحفِش : يسيل من كلّ جانب إلى مُستنقع واحد . والودق : المطر .

(٤) بُنانه : روضه .

(٥) الصيّم : الصلب الشديد .

(٦) القطيع المُحرّم : السوط الجديد الذي لم يُلين بعد .

(٧) مُرجحِنة : مُستديرة ثقيلة .

(٨) الديوان ص : ١٥٧ .

يحسبُ النّاظرون ما لم يفرّوا أنها جِلّةٌ وهنَّ فِتاءُ (١)
قد نما في ضروعها النّي والحمل تِماماً واسترخت الأصلاء (٢)
فَنَتَجنا قِناعساً رَعت الحوّة أو جَوْش فهي قُعسٌ نواء (٣)

ومنها (٤): « الكمع » (٥)، و « الحَجاء » (٦) ، و « أحْزألَّ صُواها » (٧)، و « مصمّعات » (٨) ، و « أتلأبَّ » (٩)، و « مُستلبىء » (١٠) ، و غيرها من الألفاظ (١١).

أمّا حين يَنظمان في الموضوعات الرّقيقة كالغزل والتّهنئة ، فإنّهما يستخدمان الألفاظ الرقيقة والمعاني الحَضرية العذبة ، ومثال ذلك قول النّعمان بن بشير (١٢):

إنّي لعَمر أبيك يا ابنةَ هانىء لو تصحبين ركائبي لَشقيتِ (١٣)
وتُسرُّ أمّك أنّنا لم نصطحب فدعي التّبسط للقاء نسيت (١٤)
واقني حياءك واقعدي مكفيّة إن كنتِ للرشد المصيب هديت
ولعلّ ذلك أن يُرادَ فَتكرهي وهناك إنْ عفتِ السُّفار عُصيت
أنّى تَذكرها وغمرةُ دُونها هيهاتَ بطنُ قَناة من برْهوت (١٥)

---

(١) لم يفرّوا : لم ينظروا إلى أسنانها . وجلة : كبيرة السن . وفِتاء : أي فتية .
(٢) نما : ارتفع . والأصلاء : جمع صلا ، والصّلوان : مُكتنفا الذنب .
(٣) قناعِس : شِداد . والحوّة : حرّة لكلب . وجوْش : أرض لبني القَين . والقَعسُ : نقيض الحَدب . ونِواء : سِمان .
(٤) انظر : قصيدته الهائيّة في : الدّيوان ص : ٩٦ - ١٠٧ .
(٥) الكِمع : المُطمئنّ من الأرض .
(٦) الحَجاء : ما أشرف من الأرض .
(٧) احزألّ : اجتمع وانقبض . والصوى : حِجارة تُوضع على المَشارف ليُستدل بها .
(٨) : مُصمّعات : بعرات مُلتزقات .
(٩) اتلأبّ : استقام .
(١٠) مُستلبىء : أي يشرب اللّبأ .
(١١) انظر : الدّيوان ص : ١٧٧ .
(١٢) شعر النّعمان بن بشير الأنصاريّ ص : ١٣٨ - ١٣٩ .
(١٣) ابنة هانىء : هي ليلى بنت هانىء الكِندية زوج النّعمان بن بشير .
(١٤) التبسّط : ترك الاحتشام . ويقال : تبسّط في البلاد : سارَ فيها طولاً وعرضاً .
(١٥) غمرة : موضع . وقناة : وادٍ يأتي من الطّائف . وقناة أيضاً : وادٍ بالمدينة . وبرهوت : وادٍ باليمن . وقيل : بئر بحضرموت .

وقول عدي بن الرّقاع في تهنئة عبد العزيز بن الوليد بالزواج (١).

وقوله (٢):

ومّما شجاني أنّني كنتُ نائماً أعلّلُ من فَرط الكَرى بالتّنسمِ
إلى أنْ بكت ورَقاء في غُصن أيكةٍ تُردّد مَبكاها بُحسن التّرنم
فلو قبل مَبكاها بكيتُ صَبابةً بليلى شَفيتُ النّفس قبل التّندم
ولكن بكتْ قبلي فهاجَ لي البُكا بُكاها فقلتُ : الفَضلُ المُتقدّم

فهو يتخيّر ألفاظاً سَهلة رقيقة لتتلاءَم مع المعاني التي ضمّنها مقطوعته التي يبدو فيها أثرُ نعومة العيش واضحاً (٣) .

ومن المفردات الحضارية في شعر عدي بن الرقاع (٤)، القلم ، والدّواة ، والكتاب ، والبريد ، والتجار في قوله (٥): « قلم أصاب من الدواة مدادها » وقوله (٦) : « لمن رسمُ دارٍ كالكتاب المُنمنم » ، وقوله(٧) :

ونحن بأرضٍ قل ما يجشُم السُّرى بها العربيّات الحِسان الحَرائر
كثيرٌ بها الأعداء يحصرُ دونها بريدُ الأمير المُستحثُّ المُثابر

وقوله في الخمر(٨) :

عتّقت في القِلال من بيت رأسٍ سَنوات وما سبَتها التّجار

وتأثر عدي بن الرقاع بأسلوب القرآن الكريم ولغته ، فازدادت لغته بهذا التأثر عذوبة وطلاوة ، وظهرت الألفاظ الدينية في شعره بوضوح ، وبخاصة في مدحه للوليد بن عبد الملك (٩) ، وعمر بن عبد العزيز (١٠)، وله قصيدة ضمّنها بعض القصص القرآني ، فذكر قصّة نوح وداود عليهما السلام ، وقصّة ثمود ، وأشار تفصيلاً إلى قصة السفينة والطوفان ،

---

(١) انظر : الديوان ص : ٢٥٧ .
(٢) انظر : نفسه ص : ٢٦٦ .
(٣) الشعراء الشاميّون ص : ٣١ .
(٤) نفسه ص : ٣٤ .
(٥) الديوان ص : ٨٥
(٦) نفسه ص : ١٢٨ .
(٧) نفسه ص : ١٩٧ .
(٨) نفسه ص : ١٧٧ . وانظر : ص : ١٥٦ .
(٩) انظر نفسه ص : ١٥٠ ، ١٦٨ ، ٢١٦ .
(١٠) انظر نفسه ص : ١٢١ .

وانتهى إلى أن الإنسان غير خالد [١] :

واستشهد بعضُ اللّغويين والنّحويين المُتأخرين بأبيات من شعر عدي بن الرقاع وحكيم بن عيّاش الكلبيّ . منها : قول عدي بن الرقاع [٢] :

حَرفٌ تشـــذرُ عن ريّان مُغتَمـــسٍ   مُسْتحقب رزأتهُ رحمها الجملا

وهو من شواهد تأنيث الرّحم [٣] ، وقد استشهد ابنُ منظور في مُعجمه بأربعة وتسعين بيتاً لعديّ بن الرّقاع وزّعت على خمس وستين مادّة [٤] .

ومنها : قول حكيم بن عيّاش الكلبيّ [٥] :

فما وُجدتْ بناتُ بني نـــزارٍ   حلائل أســودين وأحمـــرينا

وهو شاهد على شذوذ جمع أسود وأحمر جَمع تصحيح . وأجازَ ابن كيسان : أحمرون وسكرانون واستدلّ بهذا البيت ، وهو عنده غير شاذّ [٦] .

ووَردت في شعر القبائل اليمانية الشامية ألوانٌ من المُحسّنات اللفظية والمعنوية كالجِناس والتّصوير والطّباق والتقسيم والمُبالغة والاحتراس والتّفسير . فمن المُحسّنات اللّفظية : الجناس ، ومنه جناس الاشتقاق كقول النّعمان بن بشير يُجانس بين بَدر وتبتدركم [٧] :

« ألم تَبَتَدركم يومَ بدر سُيوفنا » . ومن الجِناس التّام قول حُميدة بنت النّعمان بن بشير في زوجها الفيض بن محمّد الثقفي [٨] :

ألا يا فيضُ كنتُ أراكَ فيضاً   فلا فيضاً أصبتُ ولا فُراتا

وزاوجت حُميدة بين الجناس والطّباق فقالت في رَوح بن زنباع [٩] :

سُميّت روحاً وأنتَ الغَمُّ قد علموا   لا روّحَ الله عن رَوح بن زِنباع

---

(١) انظر : الديوان ص : ٢٣٩ .   (٢) نفسه ص : ٧٧ .
(٣) لسان العرب : مادة : رحم .   (٤) د. ياسين الأيوبي : معجم الشعراء في لسان العرب ص : ٢٧٩
(٥) الأغاني ١٦ : ٣٤١   (٦)خزانة الأدب : ١٧٨ .
(٧) شعر النعمان بن بشير الأنصاري ص : ١٥٥ .
(٨) الأغاني ٩ : ٢٢٣ .
(٩) بلاغات النّساء ص : ٩٦ . وانظر : الأغاني ٩ : ٢٢٢ .

ومن جناس الاشتقاق قول صالح بن جناح اللّخميّ يُجانس بين أُحسِنُ ويُحسن « ومحسِنوهم » ، وبين الإساءة وأساءوا [١] :

وكنتُ إذا صحبتُ رجالَ قوم صَحِبْتهم وشيمتي الوَفاءُ
فأحسِنُ حينَ يُحسن مُحسنوهم وأجْتَنِبُ الإساءة إنْ أساءوا

وقول عديّ بن الرقاع مُجانساً بين المساميح وسماحة [٢] ، وبين « غيثاً » ، وأغاثَ [٣] :

نزل الوليد بها فكان لأهلها غيثاً أغاث أنيسها وبلادَها

وجانس أيضاً بين صلّى والصّلوات ، و « أجمعوا والجُمُعَاء » [٤]، ومسبوق وسبّاق [٥] .

ومنها : التصدير أوردُّ العَجز على الصّدر ، وهو يُكسب البيت الذي يكون فيه أبّهة ويكسوهُ رونْقاً وديباجة ، ويزيده ما ئية وحلاوة [٦].

وقول صالح بن جناح اللّخمي [٧] :

ولا خيرَ قبل الماء في الطّيب كلّه وما الطيب إلاّ الماء قبل التطيبِ

وقول شقران مولى بني سلامان [٨] :

أسيرُ أمام قيس كلَّ يومٍ وما قيسٌ بسائرةٍ أمامي

ومن المحسّنات المعنوية في أشعار اليمانية : الطباق ، وهو من المحسنات التي تُعمّق المعنى وتزيده وضوحاً. وأمثلته كثيرة منها : قول عبد الله بن النّعمان بن بشير الأنصاري يُطابق بين غائب وشاهد ، وبين الدنوّ والتّباعد [٩]:

ماذا رجاؤكَ غائباً مَنْ لا يسرّك شاهدا
وإذا دَنوتَ يزيده منك الدّنوُ تباعدا

وقول صالح بن جَناح مُطابقاً بين الجهل والحلمِ [١٠]:

---

(١) رسائل البُلغاء ص : ٣٩٥ .
(٢) انظر : الديوان ص : ٩٣ .
(٣) نفسه ص : ٩١ .
(٤) نفسه ص : ٢١٩ .
(٥) انظر : نفسه ص : ٢٥٢ .
(٦) العُمدة ٢ : ٣ .
(٧) رسائل البُلغاء ص : ٣٩٩
(٨) الأغاني ٢ : ٢٧٠ .
(٩) نفسه ١٦ : ١٩ .
(١٠) المُستطرف في كل فنّ مُستظرف ص : ١٧٢ .

إذا كنتَ بين الجهلِ والحِلْم قاعداً   وخُيِّرت أنّى شِئتَ فالحلمُ أفضل

وقوله مُطابقاً بين يُكتم ويُبدي :

تظلُّ في قلبه البغضاءُ كامنةً   فالقلبُ يكتُمها والعين تُبديها

وأمثلة الطباق في شعر صالح بن جناح مُتعدّدة [1] .

ومن الطباق قول عُويج الطائي يُطابق بين أرباب وعبيد [3]:

فلولا أميرُ المؤمنين لأصبحت   قُضاعة أرباباً وقيسٌ عبيدُها

ومنه في شعر عدي بن الرقاع قوله يطابق بين الورود والصُّدور والترحل والنّزول [4]:

يَرِدون ثُمتَ يصدرون فمنهم   مُترحِّلون وآخرون نُزول

والطباق في شعره كثير [5] .

وطابق المُسيّب بن رُفل الكلبيّ بين الحق والباطل فقال [6] :

قَتلنا يزيدَ بن المهلّب بعدما   تَمنَّيتُم أن يغلبَ الحقّ باطلهُ

وطابق الحَنَتَفُ الضنيّ [7] بين الطارف والتّلْد فقال [8] :

أيها فِداكم طارفي وتَلدي   فجالدوا عن دينكم بجدٍّ

ومنها : التّقسيم في قول الأقيبل القَيني [9]:

فما القيدُ أبكاني ولا القتل شفّني   ولا أنّني من خَشية الموت أجزعُ

وفي قول عديّ بن الرّقاع يصف امرأة [10]:

قُضاعيّة الكَعبين كِندية الحشا   خُزاعيّة الأطراف طائية الفَم

لها حُكم لُقمان وسورة يوسف   ومنطِق داود وعفّة مَريم

---

(١) رسائل البُلغاء ص : ٣٧٨ .

(٢) انظر : نفسه ص : ٣٨٨ ، ٣٩٨ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٣٤٤

(٤) الديوان ص : ٢٠٨ .

(٥) انظر : نفسه ص : ٧٢ ، ١١٣ ، ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٩٣ ، ٢٠٤ .

(٦) أنساب الأشراف (مصوّرة الجامعة الأردنية) المجلد الثاني ص : ٢١٥ . وانظر : التنبيه والإشراف ص : ٢٧٨ .

(٧) الحَنَتَف الضنّي : شاعر من بني ضنّة بن سعد بن ليث بن زيد ، من قضاعة . انظر : أنساب الأشراف (مصوّرة الجامعة الأردنية) المجلد الثاني ص : ٣٤٨ .

(٨) أنساب الأشراف (مصوّرة الجامعة الأردنية) المجلد الثاني ص : ٣٤٨ .

(٩) تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنية) ٣ : ٣٩

(١٠) الديوان ص : ٢٦٨

وفي قوله للوليد بن عبد الملك (١):

فأنتَ غيثٌ بإذن الله أرسـلـه للمُسلمين حياً والأرض عِمرانا
فلا تَرى نائلاً يَجري كنائلـه ولا كُبنيانه في الأرض بُنيانا

ومنها : المُبالغة وهي « أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ، وأبعد نهاياته ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه (٢).

والمبالغة ضربان (٣) : ضربٌ فيه ملاحة وقبول ، وضَرب فيه إسراف وخروج بالصفة عن حدّ الإنسان .

فمن الضرب الأول المقبول مبالغة الشعراء في تصوير قوّة قبائلهم وكثرة فُرسانها وظفرها بأعدائها (٤) ، وفي تصوير قُبح مهجويّهم وقذارتهم وخُمول ذِكرهم (٥) . ومنه قول أحد شعراء اليمانية الذين حضروا مفاخرة الضحّاك بن المنذر الحميري لمعاوية بن أبي سفيان (٦):

إذا النّاس عدّوا المُكرمات فإنّما لنا فوقهم طُراً ثلاثُ مكارمِ
بعمرو ونهد المُعلمين لدى الوغى ونفخرهم عند السّخاء بحاتم (٧)
ونفخرُ بامري القيس مَن كانَ شاعراً من الأنس والجنان يوم التّلازم

ومن الضرب الثاني قول عدي بن الرّقاع (٨) :

وبقيتُ حتى ما أسائل عالمـاً عن عِلم واحـدةٍ لكي أزدادَها

حتى إنّ أبا جَعفر محمد بن موسى المُنجّم قال : ما ذُكِر لي أحدٌ فأحببتُ أن أراه إلاّ ابن الرقاع ، فكنت أعرضُ عليه أصناف العلوم ، فكلّما مـر به شيءٌ لا يُحسنه أمرتُ بصـفعه (٩) .

---

(١) الديوان ص : ١٧٢ . (٢) أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين ص : ٣٦٥ .
(٣) د. عبد العزيز عتيق : علم البديع ص : ٩١ .
(٤) انظر : تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٥ ، والأغاني ١٩ : ١٥٢ .
(٥) انظر : الحيوان ٣ : ٥٠٩ ، وأنساب الأشراف ٤ : القسم الأول ص : ١٤٩ .
(٦) الإكليل ٢ : ٢٠١ .
(٧) عمرو : هو عمرو بن معدي كرِب الزُّبيديّ . ونهد لعلّه : خالد بن يزيد النّهدي . وحاتم : هو حاتم الطائي الجواد المشهور .
(٨) الدّيوان ص : ٩١ .
(٩) الأغاني ٩ : ٣٠٣ ، والموشح ص : ١٧٣ ، ومحاضرات الأدباء ١ : ٣٩ .

وقوله يمدح الوليد بن عبد الملك (١) :

صلّى الذي الصلوات الطّيبات له ... والمسلمون إذا ما أجمعوا الجُمعا

على الذي يسبقُ الأقوام ضاحية ... بالأجر والحمد حتى صاحباه مَعا

هو الذي جمع الرحمن أمّته ... على يديه وكانوا قبـــله شِيعا

فصورة المبالغة في هذه الأبيـــات تبدو مقيتة ؛ لأنه جعل ممدوحه كالرسول يصلي عليه الله والمسلمون ، وهو الذي جَمَع الله الأمة على يـديه ، وهذه صفات لا تنطبق إلاّ على الرّسول(٢) .

ومنه قول عتيد (٣)بن ضرار الكَلبي (٤):

تغيّرت البلادُ وَمن عليهـــا ... ورثٌ العـــيْش إنْ أبْغضتُماني

وهانَ عليّ صَرْمُ بني حُصـــينٍ ... وبُـعـــدهم إذا لم تَصرمانـــي

فالبلاد لا تتأثر بتغيّر العلاقات الاجتماعية بين النّاس

ومن المُحسّنات المعنوية أيضاً : الاحتراس والتّفسير . فأمّا الاحتراس فمنه قول بيهس بن صُهيب الجَرميّ يصفُ قَبرَ محبوبته (٥) :

برابـيـةٍ فيــــها كــرام أحبّــــة ... على أنّهـــا إلا مضاجعهـــم قَفر

فقوله : « إلاّ مضاجعهم » إتمام للمعنى بالاحتراس والتّحرّز .

ومنه قول خَلَف بن خليفة البَجلي يذكر مقتل الوليد بن يزيد (٦):

تركنَ أمير المؤمنين بخالدٍ ... مُكباً على خيشـــومه غير ســـاجد

فاحترسَ بقوله : « غير ساجد » عن كونه مُكباً للصّلاة .

وأمّا التّفسير فمنه أمثلة في شعر الضّحاك بن المنذر الحميري (٧)، وفي شعر رجل من بلقين في بيعة عبد الملك بن مروان (٨)، ومنه قول صالح بن جناح اللّخمي (٩):

---

(١) الديوان ص : ٢١٩ ـ ٢٢٠ . (٢) رحلة الشّعر من الأموية إلى العبّاسية ص : ١٠٣ .

(٣) هو عتيد بن ضرار بن سلامان بن جُشَم بن ربيعة بن حصن بن ضَمضم بن عدي بـن جناب الكلبيّ . وهو أخو أبي الخطّار حسام بن ضرار . انظر : المؤتلف والمختلف ص : ٢٢٨ .

(٤) المؤتلف والمختلف ص : ٢٢٨ . وانظر : تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنية) ١١ : ٣٤ .

(٥) الأغاني ٢٢ : ١٣٣ (٦) تاريخ الرسل والملوك : ٢٦٠ .

(٧) انظر : الإكليل ٢ : ٢٠٠ . (٨) انظر : أنساب الأشراف ٥ : ٣٥٥

(٩) تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنية) ٨ : ٩٧ ، ونقد الشعر ص : ١٥٥ ـ ١٥٦ .

لئن كنتُ مُحتاجاً إلى الحِلم إنني   إلى الجهل في بعض الأحايين أحوَج

وفسّر ذلك بأن قال :

ولي فرسٌ للحِلم بالحلم مُلجم   ولي فرسٌ للجهل بالجهل مسرَجُ

فلم يزد المعنى ولا نقص منه ، ثمّ فسّر البيت الثاني فقال :

فَمن رامَ تقويمي فإنّي مُقوّمٌ   وَمن رامَ تعويجي فإني معوَّج

ومنه أمثلة في شعر عدي بن الرّقاع العاملي (١) .

وتدلّ هذه المحسّنات اللفظية والمعنويّة على مهارة شعراء اليمانية في استخدام اللّغة وتجويد المعنى وتوضيحه ، وتزيد في جمال الشعر وروعته . أمّا إذا كَثُرت فإنّها تدل على تكلّف .

ومن المآخذ اللّغوية والنّحوية على شعر اليمانية : الإقواء ، وهو اختلاف حركة الرّوي ، في شـــعر أبي ثُمامة الكلبي ، وعمرو بن مِخلاة الكلبي (٣) . والتذنيب : وهو من عيوب ائتـلاف اللفظ والوزن ، كأنّ يأتي الشاعر بألفاظ تقصُر عن العروض ، فيضطر إلى الزيادة فيهـــا (٤) . كقول جوّاس بن القعطل الكلبيّ لعبد الملك بن مروان (٥) : « أعبد المليك ما شكرَت بلاءنا » .

ومنها : أنّ الأصمعيّ عاب على عدي بن الرّقاع قوله يمدح عمر بن عبد العزيز (٦) :

له رايةٌ تهدي الجمـــوع كأنّها   إذا خطــرت في ثعلب الرّمح طائر

وقال : الراية لا تخطر ، وإنما الخطران للرمح (٧).

واعتبر الآمدي قول عدي (٨) :

وكفّك سبطة ونـــداك ســـحٌّ   وأنتَ المـــرءُ تفعل ما تقـــولُ

من خطأ الشعر ، إذْ جعل ربّه مرءاً (٩) .

---

(١) انظر : الديوان ص : ١٣٠   (٢) انظر : نقائض جرير والأخطل ص : ١٧ .
(٣) انظر : التّنبيه والإشراف ص : ٢٦٧   (٤) نقد الشّعر ص : ٢٥٠ .
(٥) التبريزي : شرح ديوان الحماسة ٤ : ٦٨ .
(٦) الديوان ص : ٢٠٠   (٧) المُوازنة ١ : ٤٧ .
(٨) الديوان ص : ٢٦١ .   (٩) المُوازنة ١ : ٤٧ .

ومنها : أنْ يلجأ الشاعر إلى ترك جزم الفعل المضارع ، لإقامة الوزن ، كقول حكيم بن عيّاش الكلبيّ في بلدته المِزّة [1] : « فمن ينتجعها للرشاد يُصيب وحقٌّ للفعل المضارع أن يكون مجزوماً بَمن ، لأنه جواب الشّرط ، فتُحذف منه الياء .

على أنّ هذه المآخذ اللغوية والنّحوية قليلة في أشعارهم ، كما أنها من المآخذ التي وُجدت في أشعار من سبقهم ومن لحقهم من الشعراء . ولم نجد في لغتهم ومعانيهم أثـراً للغة سُريانيّة أو ثقافة أجنبيّة .

٣ ـ الصّـــور البلاغيّة

كان ازدهار الشعر في العصر الأموي من الظّواهر التي لمسها النّقاد وعرفوا فيه جمال الصّور وجودة التّشبيهات .

وقد حفل شعر القبائل اليمانية الشامية بالصور البيانيّة كالتشبيه والاستعارة والكناية ، وبالأساليب البلاغيّة كالاستفهام والأمر والنّهي . وجاءت صورهم في أكثرها تقليدية تُحاكي صور الجاهليين وأخيلتهم ، ومنها : صورة المنازل المُقفرة والأطلال الدّارسة التي لعبت بها الرياح فغيّرت مَعالمها ، فأصبحت لا تكاد تُعرف الا توهّماً ، وهي ديار صامتة لا تردّ جواباً ، ولم يبقَ فيها غير النؤي والأثافيّ والرماد[2] .

ومنها : صورة الرّياح الذواري التي تهيل الرّماد على الأطلال [3]. وصورة الناقة العظيمة القويّة التي تقطع المَفاوز دون كللٍ أو مللٍ ، وتشبيهها بحمار الوحش وأتنه في النّشاط والقـــوّة . وقد ظلّت هذه الصورة تعيش في الشعر الأموي كما كانت تعيش في الشعر الجاهلي ؛ لأن شعراء العصر الأموي اتّخذوا من الشعر القديم نماذج يحذون حذوها ، مما جعل التقليد سنّة يطالب النقاد الشعراء بعدم الخروج عليها [4]، ومنها أيضاً : صورة البرق والسّحاب والمطر [5] .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (مصورة الجامعة الأردنية) ٣ : ١٤٨ ، ٥ : ١٣٥ .
(٢) انظر مثلاً : ديوان عدي بن الرقاع العاملي ص : ٤١ ، ٨٢ .
(٣) انظر : نفسه ص : ٦٨، ١١٥ ، والأغاني ٢٢ : ١٣١ .
(٤) د. علي البطل : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ص : ١٦٢ ـ ١٦٣ .
(٥) انظـر : شـعر النعمان بن بشير الأنصاري ص : ١١٧ ، وديوان عدي بن الرّقاع العامليّ ص : ١٤٦ ، ١٦٦ .

ورسمَ شعراء اليمانية صـــوراً لخيل الغارة ، وأسبغوا عليها عدداً من الصفات التقليدية مثل : العِتق والسّرعة والقوّة وطول القـامة والضمور وصلابة البنيان (١). وتنوعت صور خيلهم فمنها : « العتاق الجُرد » (٢) ، و« الطوال المَذاكي » (٣)، والضامرات اللواتي « ما تجفُّ لُبودها » (٤)، ومنها ما تُشبه الجبال (٥) لضخامتها ومتانة أجسامها ، ومنهـا ما تُشبه القطـا في السرعة (٦) ، وتيس الفلاة وجؤذر الحُلَّب السّمين في النشاط والقوة (٧).

ومن الصور التقليدية عندهم : صورة المرأة ، فقد شبّهوها بالدّمية (٨)، والظبية (٩) ، وبيضة النّعام (١٠)، وشبهوا ظعنها بالنّخل (١١) شأن الجاهليين .

وحظي عدي بن الرّقاع بعناية النّقاد ؛ لأنه كان شاعراً يُعنى بتثقيف شعره وتقويمه وتَجويده يقول (١٢):

وقصـيدةٍ قد بتُّ أجمـــعُ بينَــها ... حتّى أقوّم ميْلها وسِـــنادها (١٣)

نَظَر المُثقــف في كعــوب قَناتِه ... حتّى يُقيــم ثِقــافُه مُنآدهـــا

ورسم صوراً بارعةً كانت مثار إعجاب النقاد وحسد الشعراء ، منها : قوله في صفة الظبية التي انفردت عن سِربها ، وخذلت صواحبها لترى ولدها ، وتشبيـهه قرن الطبي بقلم غُمِـــس في مداد (١٤):

---

(١) انظر : شعر النّعمان بن بشير الأنصاري ص : ١٥٢ ، وديوان عدي بن الرقاع العاملي ص : ٥٥ ، ونقائض جرير والأخطل ص : ٢٦ ، والأغاني ١٩ : ١٤٥ .

(٢) الأغاني ١٩ : ١٤٥ .

(٣) نقائض جرير والأخطل ص : ٢٦ .

(٤) التنبيه والإشراف ص : ٢٦٧ .

(٥) انظر : الأخبار الطوال ص : ٣٦٧ ، وتاريخ الرسل والملوك ٧ : ٣٥ .

(٦) انظر : شعر النعمان بن بشير الأنصاري ص : ١٥٢ .

(٧) انظر : ديوان عدي بن الرقاع العامليّ ص : ٥٥ ، ١٧٩ ، ٢٥٠ .

(٨) انظر : نفسه ص : ٢٣٦ ، والمؤتلف والمختلف ص :٢٥ .

(٩) انظر : نفسه ص : ٨٤ ، ١٦٨ .

(١٠) انظر : نفسه ص : ٢١١ .

(١١) انظر : نفسه ص : ٩٧ ، والمؤتلف والمختلف ص : ٢٥ .

(١٢) الديوان ص : ٨٨ ـ ٩٠ .

(١٣) السّناد : من عيوب القافية .

(١٤) الديوان ص : ٨٤ ـ ٨٥ .

كالظبية البِكر الفرِيدة ترتعي من أرضــها قفَراتها وعِهادها
تُزجي أغنّ كأنّ إبرةَ روقِهِ قلمٌ أصاب من الدّواةِ مِدادها (١)

فقــد وصَـفَ ابن رشيق القيروانيّ تشبيهه هذا بأنه من التشبيهات العُقم التي لم يسبق أصحابها إليها ، ولا تعدّى أحدٌ بعدهم عليها (٢) . واستحسنه ابن قُتيبة الدينوريّ فقال : وعديّ أحسنَ من وصف ظبية (٣)، كما استحسنه صاحبُ لسان العرب (٤)، ووصفه أبو هلال العسكري بأنّه من المشهور الذي ليس له شبيه (٥). وقال عنه البصري : إنّه من التشبيه الرائع (٦). وأعجب به جرير وحسده عليه(٧) .

ومن صوره التي انفرد في رسمها ، وأبدع في تحبيرها : صورة أم القاسم التي شبّه فُتورَ عينيها بعيني جؤذر وسنان من جآذر جاسم فقال(٨) :

لولا الحَياءُ وأنّ رأسي قد عثا فيه المَشــيب لزرتُ أمّ القاســم
وكأنّها وسط النّساء أعارها عيْنيهِ أحــورُ من جــآذر جاســم
وسنان أقصدهُ النّعاس فرنّقّت في عينه سِــنةٌ وليس بنائــم (٩)

فاستحسن الأصمعيّ قوله هذا وفضّــله على أبيــات للنّابغة الذبياني (١٠)، وروى الخالديان أنَّ الأصمعيّ استحسنَ البيتين الثاني والثالث وقال : إنّهما أحسن ما قيل في فترة الجُفــون . وعقبا على البيتين بقولهما : « ولعمــري إن بيتــي ابن الرقاع هذين في نهاية الحُسن » (١١)، وأعجب أبو عبيدة بالبيت الثالث وقال فيه : « ما قال أحد في مثل هذا المعنى

---

(١) الرّوق : القرن .
(٢) العُمدة ١ : ٢٩٦ - ٢٩٧ .
(٣) الشعر والشعراء ص : ٤١٠ .
(٤) لسان العرب : مادة : بلد .
(٥) ديوان المعاني : ٢ : ١٣٢ .
(٦) الحماسة البصرية (عالم الكتب - بيروت) ١ : ١٤١ .
(٧) الأغاني ٩ : ٣٠٧ - ٣٠٨ ، ومعجم الشعراء ص : ٨٦ - ٧٨ ، وانظر : الكامل في اللغة والأدب ٢ : ١٠٤٦ ، والعقد الفريد ٦ : ١٤١ والمُرقصات المُطربات ص : ٤٠ .
(٨) الديوان : ص ١٢٢ .
(٩) رنّقت : دارت وماجت .
(١٠) العُمدة ١ : ٣٠١ .
(١١) الأشباه والنّظائر ١ : ١٦٥ .

أحسن منه في هذا الشعر » (١) .

وذكر الشّريف المرتضى الأبيات وقال عنها : ما وصف أحد عيني امرأة إلاّ احتاج إليها (٢). وكان أبو عمرو بن العلاء يستحسن أبياته هذه وينشدها فقال رجل كان يحضر مجلسه : أعرابيّ كأنّه مدنيّ ، ثم قال : أما والله ، لو رأيته مشبوحاً بين أربعة ، وقضبان الدّفلى تأخذه لزاد استحساني له . يعني لو يُغنّى به على العود (٣).

وقال الثعالبي : « لم أسمع للمتقدمين شعراً في الغزل أملح وأظرف وأغنج من قول عديّ في تشبيه المرأة بالظبيّ الوسنان » (٤). وكان جرير يستحسن أبياته هذه ويصفه بأنه أنسب الشعراء ، ويقول : « ما كان يُبالي إن لم يقل بعدها شيئاً (٥) . وأعجب القاضي عليّ بن عبد العزيز الجُرجاني بالبيت الثالث فقال : « إنّه زاد به على كل من تقدّم وسبق بفضله جميع من تأخر . ولو قلت : إنه اقتطع هذا المعنى فصار له ، وحظر على الشعراء الشركة فيه ، لم أبعد عن الحق ولم أجانب الصدق(٦) .

ومن صوره الطريفة وصفه لطول الليل إذ يقول (٧):

وكأنّ ليلي حينَ تغرُبُ شمسُه ... بسوادِ آخر مثله موصول
أرعى النّجوم إذا تغيّب كوكبٌ ... أبصرتُ أخرى كالسراج تَجول

فالليل عنده مُتصل بليل آخر طويل . وقد نقل بشار بن بُرد هذه الصورة فقال(٨) :

وطالَ عليّ الليلُ حتى كأنّه ... بليلينَ موصول فما يتزحْزَحُ

وعدي أول من شبّه الزوجين بالشمس والقمر في تهنئته لعبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك (٩). وأخذ الكتّاب من قوله في مدح الوليد بن عبد الملك (١٠): « وأتمّ نعمته

(١) الأغاني ٩ : ٣٠٥ .
(٢) أمالي المرتضى ١ : ٥١١ .
(٣) الأغاني ٩ : ٣٠٤
(٤) خاص الخاص ص : ١٠٦ .
(٥) الأغاني ٩ : ٣٠٧ .
(٦) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص : ٣٢ .
(٧) الديوان ص : ٢٠٤ .
(٨) المختار من شعر بشار بن برد ص : ١٧ ، والعمدة ٢ : ٢٩٤ .
(٩) انظر : الديوان ص : ٢٥٧ ، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص : ٢٩٩ .
(١٠) الديوان ص : ٩١ .

عليه وزادها » قولهم : « وأتمّ نعمته عليك وزاد فيها عندك » [١] .

ونقل عدي صورة لعراك حمارين وحشيين ، مُشبِّهاً الغبار الذي خلّفاه وراءهما بُملاءة نَسجاها ، أو نسجها هو حولهما ، ومشبّهاً اختفاء الغبار على الأرض الصلبة وظهوره على الأرض السهلة بالطي والنشر فقال[٢] :

يتعاوران من الغـبار مُـلاءةً ... بيضاء مُحدثةً هـما نسـجاها (٣)
تُطوى إذا علوا مكاناً جاسِـياً ... وإذا السّنابكُ أسـهلت نشـراها

وهي صورة تقليدية أخذها عدي من قول شاعر جاهليّ من بني عقيل [٤] :

قفار مَـرورْاةٌ يحـار بها القطـا ... ويُمسي بها الجأبان يقتـربان (٣)
يُثيران من نسـج الغُبار عليهما ... قميصـين أسـمالاً ويرتديان (٤)

إلاّ أنـه زاد في جمالها ، وأظهر في رسـمها قُدرة ومهارةً تشهد له بالتجويد والإبداع [٦] . فقد استحسنها قُدامة بن جعفر[٧] ، وقال عنها أبو هلال العسكري : لا أعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتمّ من قول عدي بن الرقاع وأنشد البيتين [٨] . وقرن أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ملاءة الغبار بعدي وجعلها من متاعه الخاص فقال [٩] :

يُثير عَجاجةً في كـلّ ثغـرٍ ... يهيـمُ به عـدي بـن الرقـاع

وقلّد عـدي في تصويره لعلاقته بأخت بني لؤي[١٠] أعشى بني قيـس بن ثعلبة في مُطولّته [١١] ، واستعار بعض صور عدي بن زيد العبادي[١٢] ، وأبي دؤاد الإيادي [١٣] .

---

(١) الشعر والشعراء ص : ٤١١ ، وديوان المعاني ٢ : ٢٢٣ .
(٢) الديوان ص : ١٠٥ .
(٣) يتعاوران : أي تصير الغَبرة مرّة للعير ومرّة للأتان .
(٤) زهر الآداب ٤ : ٩٩٧ .
(٥) الجأب : حمار الوحش .
(٦) رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية ص : ٢٤٩ - ٢٥٠ .
(٧) نقد الشعر ص : ١٣٨ .
(٨) ديوان المعاني ٢ : ١٣١ - ١٣٢ .
(٩) ديوان أبي تمّام ٢ : ٣٣٧ .
(١٠) انظر : الديوان ص : ٩٦ .
(١١) انظر : ديوان الأعشى الكبير ص : ١٠٧ .
(١٢) سمط اللآليء ص : ٨٧٦ .
(١٣) أبو عبيدة : كتاب الخيل ص : ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٨٤ .

واعتمد شعراءُ اليمانية في تشكيل صُورهم البيانية على التشبيه والاستعارة والكناية . والتشبيهات على ضروب مختلفة ، فمنها : تشبيه الشيء بالشيء هيئةً وصورة . ومنها : تشبيهه به حركة و لوناً وصوتاً . منها : تشبيهه به معنىً . وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض ، فإذا اتفق في المشبّه معنيان أو ثلاثة معانٍ من المشبّه به قوي التشبيه ، وتأكد الصّدق فيه ، وحسن الشّعر به (١) .

ولّما كانت البيئة من العوامل المؤثرة في الأدب ؛ لأنها تخلع عليه ألوانها ، وتعطيه بعض مظاهرها ، فقد تأثرت صورُ شعراء اليمانية بالبيئة الشامية التي عاشوا فيها ، فانتزعوا كثيراً من تشبيهاتهم منها كقول النعمان بن بشير يشبّه السهول الممتدة بالبسط المُزركشة (٢) :

إذا الغائط المروّت أمسى كـأنّه ... يُرى في شُعاع الشمس بُرداً منمنما

وقوله يُشبّه شيبه بنبات الثّغام (٣):

فكيف ولون الرأس منّي كـأنّه ... ثَغام يُرجّى ردُّ نـأي وعـاتم

وشبّه جواس بن القعطل عُيون القيسيين بأحداقِ الكلاب (٤)، وشبّه فُرسان قومه بأسد الغاب (٥)، وشبههم عمرو بن مِخلاة الكلبي بالمصعبات وهي الفحول من الإبل (٦). وشبّه ارتفاع الرايات في أيدي القادة وسقوطها يوم المرج بالطيور التي تعلو وتنخفض ، وهو تشبيه حركي(٧) . ومنهم من شبّه نفسه بالذئب(٨) .

ومن التشبيهات المُنتزعة من البيئة أيضاً : تشبيه السيف بالشّهاب في شعر يحيى بن معاذ الكلبي (٩). ومنـها : قول روح بن زِنباع الجُذامـيّ يهجـو زوجته حُميدة بنت النعمـان ،

---

(١) ابن طباطبا : عيار الشعر ص : ٢٣ .
(٢) شعر النعمان بن بشير الأنصاري ص : ١٢٤ .
(٣) الإكليل ٢ : ٢٠٤ .
(٤) انظر : التبريزي : شرح ديوان الحماسة ٤ : ٧٠ ـ ٧٢ .
(٥) انظر : نقائض جرير والأخطل ص : ٢٥ ـ ٢٦ .
(٦) انظر : تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٤٣ .
(٧) نقائض جرير والأخطل ص : ١٧ .
(٨) انظر : نفسه ص : ٢٦ .
(٩) انظر : الحماسة الشجرية ١ : ١٧١ ـ ١٧٢ .

مُشبّهاً رائحتها برائحة كلب ممطور (١) :

ريحُ الكَرائم معروفٌ له أرجٌ ... وريحها ريحُ كلب مسّه مَطَرُ

وقول عدي بن الرّقاع يصف فرسه بالمتانة والقوة ، فيشبّه حوامل أوصاله بالحبل المفتول (٢):

أُمرّت حَوامل أوصاله ... كما تستمرُّ قُوى القِنّب

وقوله يشبّه صوت الحصى تحت أخفاف الإبل بَصليل الدّراهم (٣) :

وكأنّ رنّة ما يُصبنَ من الحصى ... في كلّ فَدَفدة صَليل دَراهم

وشبّه عديّ نفسه بشارب الخمر في عدّة قصائد . وشبّه أبو الخطار الكلبي القتلى بجذوع النّخيل المطرّحة في المسايل فقال (٥):

قتلتُ به تسعين تحسب أنّهم ... جذوع نخيل طُرحّت في المسايل

وقامت بعضُ صورهم على الاستعارة ، وهي أفضل المَجاز وأول أبواب البديع ، وليس في حلى الشعر أعجب منها . وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها (٦). فقد جعل جوّاس بن القعطل الخلافة ناقةً لا تدرّ إلا لبني أميّة (٧). وشبّه الدنيا بصحيفة تُطوى فقال (٨):

صَبغت أميّة بالدماء رماحنا ... وطوت أميّة دوننا دُنياها

واستعار السجل للعداوة في خطابه لعبد الملك بن مروان فقال (٩) :

نَفحتَ لنا سجل العَداوة مُعرضاً ... كأنّك ممّا يُحدث الدّهر جاهل

واستعارت حُميدة بنت النّعمان البُكاء للخزّ والعجيج للمطارف والقول للعبا والأكسية (١٠). وشبّه عدي بن الرّقاع البهجة بالصائد (١١) ، وجعل الأثافي

---

(١) الحيوان ١ : ٢٢٦ . وانظر : بهجة المجالس ٢ : ٣٩ .

(٢) الديوان ص : ٢٥٠ .

(٣) نفسه ص : ١٢٤ .

(٤) انظر : نفسه ص : ٧٣ ، ١١٧ ، ١٧٧ ، ٢٢٢ .

(٥) المؤتلف والمختلف ص : ٢٣ ـ ٤٢ . وانظر : تاريخ مدينة دمشق (مصورة الجامعة الأردنية) ٤ : ٢٠١ ، والحلّة السيراء ١ : ٦٦ .

(٦) العمدة ١ : ٢٦٨ .

(٧) انظر : أنساب الأشراف ٥ : ٣٧٦ .

(٨) التبريزي : شرح ديوان الحماسة ٤ : ٧٠ .

(٩) نفسه ٤ : ٦٨ ـ ٧٠ .

(١٠) انظر : بلاغات النّساء ص : ٩٥ .

(١١) انظر الديوان ص : ٨٣ .

رواحل للقدور ، والزمان إنساناً يستلب الرماد فقال (١) :

كانت رواحل للقُدور فعرِّيت منهنّ واستلب الزمان رمادها

ومن الاستعارات التمثيلية في أشعار اليمانية قول الأحمر بن شُجاع الكلبي مُتحدثاً عن بني أميّة (٢):

وإن يكفرونا ما صنعنا إليهم فما كلّ مَنْ يؤتى الصَّنيعة يَشكرُ

وقول عدي بن الرّقاع للراعي النّميري (٣) :

فإنّك والشعر إذْ تُزجي قوافيه كُمبتغي الصّيد في عريّسة الأسدِ

وهو مثل يُضرب لِمن يطلب الشيء في غير موضعه .

ومنها قول شُقران مولى بني سَلامان (٤):

كُنّا نُداريها وقد مزّقت واتّسع الخَرقُ على الواقع

وهو مثلٌ يُضرب في استحالة تَدارك الأمر .

واستخدم الشعراء الكناية في أشعارهم . وهي من أكثر وسائل الصورة قُرباً من الإشارة (٥). ومن أمثلتها قول عمرو بن مخلاة الكلبيّ (٦): « شفى النّفس قتلى لم توسد خدودها » . كناية عن عدم دفنها ، وقوله في قاتل همّام بن قبيصة النميري (٧): « هو الأبيض القرم الطويل نجاده » كناية عن الشجاعة .

ومنها قول الوازع بن ذؤالة الكلبي في فرسان قُضاعة (٨):

إذا لقحت حربٌ مَرتها سيوفهم وأيدٍ طوالٌ لم تخنها الأشاجعُ

فقوله : « لم تخنها الأشاجع » كناية عن القوّة والثبات .

وقول عميرة بنت حسّان الكلبيّة (٩):

أراقَ البَحدليّ دماءَ قيسٍ وألصقَ خدّ قيس بالتّرابِ

---

(١) الديوان ص : ٨٢ . (٢) المؤتلف والمختلف ص : ٤٢ . (٣) الديوان ص : ١٧٦

(٤) تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنية) ٨ : ٤٧ ، ٤٨ . وانظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٢٣٧ .

(٥) العمدة ١ : ٣٠٢ . (٦) التنبيه والإشراف ص : ٢٦٧ .

(٧) نقائض جرير والأخطل ص : ١٨ . (٨) أنساب الأشراف ٥ : ١٤٦ .

(٩) كتاب الوحشيات ص : ٧ - ٨ .

كناية عن إذلاله قيساً .

وقول عدي بن الرقاع [١]: « كأنّ ثناياها بناتُ سحابة » كناية عن بياضها وصفائها .
وقوله يمدح الأسوار وقومه[٢] :

وأبى الحمدُ أن يحالف قوماً ... غيرهم فهو صائرٌ حيث صاروا

وهي كناية عن نسبة .

وقول عطيّة الكلبيّ يُخاطب ثابت بن نعيم الجُذامي [٣] :

كم من أخٍ لكَ أو مولى فُجعتَ بـــه ... يومَ الوقيعة لم يُنشــر له كَفَـــن

كناية عن عدم دفنه .

واستخدم الشعراء جُملةً من أساليب الاستفهام والأمر والنّهي ، وأخرجوها عن معانيها الحقيقيّة إلى معانٍ بلاغيّة . فمن الاستفهام ما يُفيد معنى الإنكار كقول النّعمان بن بشير يُخاطب معاوية بن أبي سُفيان [٤] :

أيشتُمنا عبد الأراقـــم ضـــلّةَ ؟ ... وماذا الذي تُجـدي عليكَ الأراقِم ؟ !

ومنه ما يُفيد معنى التحقير والاستهزاء كقول جوّاس بن القعطل [٥] :

هـــل يشـتُمنّي لا أبا لكُـــم ... دَنِـس الثياب كطابخ القِـــدر ؟!

ومنه ما يفيد التّعظيم كقول عمرو بن حُجر الكلبيّ [٦] :

ألا مَـــنْ مُبلغٌ قيســاً رَســولاً ... بأنّا قـــد شَــفينا واشــتَفينا ؟!

ومن أساليب الأمر التي تفيد التحقير والسخرية قول عمرو بن مِخلاة الكلبي ، يُعيّر بني ذبيان أخذ الدّية [٧]: « خذوها يا بني ذُبيان عقلاً » . ومن أساليبه التي تفيد التّحسر قول جوّاس بن القعطل [٨] : « بكّي على قتلى القُبور » . ومن الأمر الذي يفيد معنى الالتماس قول الأقيبِل القيني [٩] : « خَليليّ قوما في سمادير فانظرا » .

---

(١) الديوان ص : ١٩٧ (٢) نفسه ص : ١٨٥ . (٣) كتاب الوحشيّات ص : ٢٠ .
(٤) شعر النعمان بن بشير الأنصاري ص : ١٥١ . (٥) الحيوان ٣ : ٥٠٩ .
(٦) معجم الشّعراء ص : ٤٥ . (٧) الأغاني ١٩ : ١٤٨ .
(٨) الأشباه والنظائر ٢ : ١٣١ .
(٩) المؤتلف والمختلف ص : ٢٥ .

ومن النّهي ما يُفيد معنى التهديد كقول النّعمان بن بشير لمعاوية (١) :

فلا تَشتُمنّا يا ابن حـرب فإنّمـا ترقّى إلى تلكَ الأمور الأشـائم

ومنه ما يُفيد الدعاء كقول عمرو بن مخلاة لهمّام بن قبيصة النُميري (٢) :

بما جَرمَت كفّاك لاقيتَ ما تَـرى فلا يُبعد الرّحمـن غيرَك هالِكـاً

ومنه ما يُفيد النّصح والإرشاد كقول الأقيبل القيني (٣) :

إذا كان في صدر ابن عمّك حِشْنَةٌ فلا تستَثِرها سوف يبدو دفينُهـا

وهكذا نرى أن شعراء اليمانية اعتمدوا في تشكيل صُورهم على التشبيه والاستعارة والكنايـة ، وأنّ صورهم تأثّرت بالبيئة الشامية ، وكانت في أكثرها تقليدية تحاكي صور القدماء وتشبيهاتهم ، وأنّ عدي بن الرقاع قد أجاد في تشبيهاته ، وجدّد في بعض صوره ، فاستحسنها النقاد وحسده عليها الشعراء .

---

(١) شعر النعمان بن بشير الأنصاري ص : ١٥٧ .
(٢) الأخبار المُوفقيّات ص : ٥٠٩ .
(٣) سمط اللآلى ص : ٩٠٤ .



الخـــاتمـــــة

استوطنت القبائل اليمانية بلاد الشام قبل الإسلام ، و كانت قبيلة قضاعة الحميريَّة ، أول من نزل الشام من عرب اليمن ، إذ هاجر القضاعيون من ديارهم بتهامة وما يليها إلى بلاد الشام ، وانضافوا إلى ملوك الروم فملّكوهم على عرب الشام بعد أن تنصر أكثرهم . ثم تبعتها قبائل يمانية من فروع كهلان بن سبأ ، مثل قبيلة الأزد ، ومن فروعها : الغساسنة الذين انتزعوا ملك عرب الشام من القضاعيين واستمر حكمهم حتى ظهور الإسلام ، وكان آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم الغسّاني .

وقد وَقَفت القبائل اليمانية الشامية موقفاً عدائياً من دعوة الرسول ـ عليه السلام ـ بسبب خضوعها للسُّلطة البيزنطية ، فقاتل بعضُها المُسلمين في معركتي مؤتة واليرموك ، ثُمَّ إنها أسلمت بعد ذلك .

وجاءت إلى الشام في أثناء الفتح قبائل يمانية جديدة ، شاركت في فتحها وانضافت إلى أسلافها الذين استوطنوها قبل الإسلام ، فكثر العنصر اليماني في تلك البلاد .

واستمرت هذه القبائل تسكن بلاد الشام في صدر الإسلام والعصر الأُموي ، ووقفت إلى جانب معاوية بن أبي سفيان في معركة صفين . وتوطدت صلاتها بخلفاء بني أُمية بعد ذلك ، فاعتمدوا عليها وقربوا رجالها ، فأيدتهم بدافع من حرصها على مَصالحها ، وقاتلت معهم في مرج راهط ، وثبتت حكمهم بعد أن أشرف على الزوال .ولم يتغير ولاؤها لهم إلا في أواخر العصر الأموي ، بسبب تعصب بعض الخلفاء عليها وتقريبه لخصومها .

وقد غَلَبت القبائل اليمانية على بلاد الشام في العصر الأُموي ، فسكنت أجنادها الخمسة ، وهذه القبائل هي : حمير (ومن بطونها : شعبان وحَضرَموت) وقضاعة (ومن بطونها : تنوخ وكلب وبهراء وبَلي وَسليح والقين وجُهينة وعذرة وخشين وجرم) من قبائل حمير بن سبأ . والأزد (ومنها : غسان وعكّ) ولخم وجُذام وكندة ، (ومنها : السّكاسك والسكون) وهمدان وطّيء وَخثعم وَ بجيلة ومذحج (ومنها : زبيد وعنس ورهاء والنخَع) وعاملة والأشعرون وخَولان ، من قبائل كهلان بن سبأ .

ولم تكن بيئة بلاد الشام قبل الإسلام بيئة عربية خالصة ، فقد سكنت حواضرها

الكبرى طوائف من الروم والسريان ، إلاّ أن القبائل اليمانية استطاعت أن تحافظ على لغتها و ثقافتها العربية ؛ لأنها ظلت في مجموعها قبائل بدوية تنتقل من مكان إلى مكان في بوادي الشام ، ولم يكن لها اختلاط كبير بالسريان والروم .

وقد اتخذت هذه القبائل لهجة قريش التي سادت القبائل العربية منذ العصر الجاهلي لغة لها ، ولم تكن تتكلم الحميرية لغة عرب اليمن . ومع ذلك ، فإن علماء اللغة العراقيين أهملوا لغة هذه القبائل ، ولم يحتجوا بشعرها ؛ لأنها كانت عُرضة للاختلاط بالأعاجم .

وشاركت القبائل اليمانية في حركة الشعر منذ العصر الجاهلي ، وظهر من بينها شعراء عظام ، على رأسهم : امرؤ القيس الكندي . ووفد الشعراء على ملوك الحيرة اللّخميين ، وعلى ملوك الغساسنة في بلاد الشام ، فمدحوهم ونالوا جَوائزهم ، وكان هؤلاء الملوك يتذوقون الشعر وينقدونه . وبدافع من العصبية القبلية ، فقد تنازعت القبائل العدنانية واليمانية الشعر في الجاهلية ، وجعلت كل قبيلة أولية الشعر لشاعرها . وحظي الشعراء في القبيلة اليمانية بمكانة مرموقة ؛ لأنهم هم الذين ينصرونها وينشرون مفاخرها ويدافعون عن حقها . وظهرت في قبائل اليمن أُسر أنجبت عدداً لا بأس به من الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، ويدل ذلك على عراقة الشعر في القبائل اليمانية كعراقته في القبائل العدنانية . وقد سمى العلماء عدداً كبيراً من شعراء القبائل اليمانية في الجاهلية والإسلام ، وجمعوا شعر هذه القبائل في دواوين بلغ مجموعها ثمانية عشر ديواناً . ومع ذلك فإن ما وصل إلينا من شعر القبائل اليمانية الشامية قبل الإسلام قليل ، وربما كان السبب في ذلك أن شعرها لم يصل إلى رواة الشعر في الجزيرة العربية ، أو أنهم أعرضوا عن روايته ؛ لأنه لم يكن لعرب الشام في الجاهلية سلطان واسع على قبائل الجزيرة العربية ؛ ولأنه لم تنعقد بينهم وبينها مودة دائمة .

وظن بعض الباحثين أن شعر القبائل اليمانية في فتوح الشام قليل جيداً . والحق أن لها شعراً في تلك الفتوح ، لا يقل عن الشعر الذي قيل في فتوح العراق .

ونظم شعراء القبائل اليمانية الشامية في صدر الإسلام قصائد وأرجازاً في معركةصفين ، وهي تكشف عن بلاء قبائلهم فيها ، وعن تأييدها لمعاوية بن أبي سفيان .

واعتقد بعض الباحثين أن ظاهرة قلة الشعر في بلاد الشام في العصر الأموي ترجع

إلى أن سكانها كانوا من القبائل اليمانية ، وهي عندهم لا تضارع القبائل المُضرية فصاحة وشاعرية ، وإلى أنهم استقروا في حواضر بلاد الشام ، وخالطوا الطوائف الرومية والسريانية ، وتأثروا بها وقد تبين لي أن قلة الشعر في القبائل اليمانية عامة وفي القبائل اليمانية الشامية خاصة ، لا ترجع إلى عوامل النسب والبيئة والاستقرار التي ذكرها الباحثون ، وإنما ترجع إلى ضياع معظم مصادر شعر تلك القبائل ومنها: كتب القبائل اليمانية الشامية الجامعة لأشعارها وأخبارها ، وبعض كتب فتوح الشام خاصة ، وكتب الفتوح العامة التي تحتوي فتوح الشام وغيرها ، وكتب الأحداث التي وقعت بالشام ، وكتب الصوائف والشواتي ، وحروب أهل الشام مع الروم ، وكتب تاريخ بني أُمية وأهل الشام .

ويضاف إلى ذلك أن رواة الأشعار العراقيين أهملوا شعر هذه القبائل ، بسبب الخصومة السياسية واشتداد العصبية الإقليمية والعلمية بينهم وبين علماء أهل الشام ، وأن علماء اللغة العراقيين في القرنين الأول والثاني عزفوا عن الاستشهاد به ،لخروجه عن مُحيط اللغة الفصيحة الذي تواضعوا عليه . وكذلك فإن انتقال السيادة من الشام إلى العراق ، وانحطاط قبائل اليمن الشامية في الوقت الذي بدأ فيه العلماء بجمع الأعمال الشعرية ، وما جوبهت به مُخلفات العصر الأموي من صدود ، قد أدى إلى ضياع معظم شعر هذه القبائل ، فظهرت القبائل اليمانية في جُملة القبائل المقلة في الشعر ، وظهرت البيئات التي سكنتها في جملة البيئات التي لم تشهد حركة شعرية نشطة .

وارتبط كثير مما وصل إلينا من شعر القبائل اليمانية الشامية في العصر الأموي بالأحداث السياسية والوقائع الحربية التي خاضتها . وأغزر شعر هذه القبائل وأشهره ، هو ما قاله شعراؤها في وقعة مرج راهط وفيما تلاها من أيام بين قبيلتي قيس وكلب ، وفي مصرع الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

وتنوعت موضوعات شعر تلك القبائل ، فنظم شعراؤها في معظم الموضوعات التقليدية كالمديح والغزل والفخر والهجاء والرثاء والوصف والعتاب والحنين ، والحكم والآداب والمواعظ وطلب الأمان والتهنئة ، إلا الزهد فإنني لم أعثر لهم على شعر فيه .

وكان أكثر هؤلاء الشعراء من قبيلة كلب ، وأغلب ما بقي من شعرهم يتصل بمعركة مرج راهط وما تلاها من معارك بين قيس وكلب، وما حدث في الشام من أحداث سياسية

وعسكرية . ومن أشهرهم : عمرو بن مخلاة ، وجواس بن القعطل ، وعمران بن هلباء وحكيم بن عياش . وأبو الخطار الحسام بن ضرار ، على أن أشهر شعراء القبائل اليمانية الشامية في العصر الأموي هو عدي بن الرقاع العاملي .

وقد صور شعر اليمانية في الشام آمالهم العريضة في السلطان بعد أن هزموا القيسية في مرج راهط ، ونصروا بني أُمية ووقفوا دونهم يقاتلون عنهم . وصور أيضاً تذمرهم من خلفاء الأمويين وامتنانهم عليهم ومطاولتهم لهم ، كلما لمسوا منهم تحولاً عنهم وتقريباً لخصومهم . ودلّ شعرهم على أنّ القبائل اليمانية الشامية كانت أكبر أعوان الأمويين في معركة المرج ، وفي غيرها من المعارك ، وعلى أنها كانت أكبر أنصار يزيد بن الوليد في ثورته على ابن عمه الوليد بن يزيد . وكشف عن احتدام الصراع القبلي ، واشتداد نار العصبية القبلية بين قبائل الشام اليمانية والقيسية في العصر الأموي .

ولم ينظم معظم شعراء القبائل اليمانية شعرهم في قصائد طويلة متعددة الموضوعات ، بل صاغوه في قصائد ومقطوعات قصيرة مُستقلة ، ويستثنى منهم النعمان بن بشير الأنصاري وعدي بن الرقاع العاملي . فأما النعمان بن بشير فقد زاوج في شعره بين التقليد والتجديد ، وأما عدي بن الرقاع ، فهو أشهر شاعر يماني شامي احتذى التقاليد الجاهلية الموروثة في قصائده ، فافتتح معظمها بالمقدمة الطللية والغزلية ، وحافظ على عدد من المقدمات التقليدية مثل : وصف الطيف والشّيب والشباب والظعن . وعلى الرغم من ذلك فإنه كان يجدد أحياناً في بناء بعض قصائده ، فيخلصها من كثير من الرسوم التقليدية للقصيدة الجاهلية .

ووفق عدد من شعراء القبائل اليمانية الشامية في اختيار مطالع قصائدهم واهتموا بالتصريع فيها ، وأحسنوا التخلص من موضوع إلى موضوع ، ومنهم من اقتدى بالشعراء الجاهليين في تخلصهم . وأجاد بعضهم في اختتام قصائدهم ومقطوعاتهم ولاءموا فيها بين خاتمة القصيدة أو المقطوعة وموضوعها .

وتحققت الوحدة الموضوعية في المقطوعات والقصائد القصيرة التي نظمها شعراء اليمانية ؛ لأنهم عبَّروا فيها عن أحداث ومواقف مُعينة ، في أبيات قليلة لا تصلح فيها المقدمات التقليدية ، أما القصائد الطويلة مثل قصائد عدي بن الرقاع ، فإنها تتألف من مقدمة وموضوع .

وكانت لغة شعر القبائل اليمانية الشامية في العصر الأموي بعامة لغة جَزلة رصينة مُحكمة ، وتباينت ألفاظه من حيث الجزالة والقوة من موضوع إلى موضوع ، فكانت في الغزل والتهنئة أرق منها في المديح والفخر وغيرهما من الموضوعات التقليدية .ونكاد لا نجد صعوبة في الألفاظ إلا عند النعمان بن بشير ، وعدي بن الرقاع ، وذلك حين ينظمان في الموضوعات التقليدية مثل : وصف الناقة والفرس والصحراء وحيواناتها والسحاب والبرق والمطر . أما حين ينظمان في الموضوعات الرقيقة كالغزل والتهنئة ، فإنهما يستخدمان الألفاظ والمعاني الحضرية الرقيقة .

وكانت معاني هذا الشعر في جُملتها تقليدية مكررة . ومن معانيهم الجديدة : الفخر بعمق الموهبة الشعرية ، والتهنئة بالزواج . وقد راوح بعض الشعراء بين المعاني الجاهلية والمعاني الإسلامية ، وتأثر عدي بن الرقاع بأسلوب القرآن الكريم ولغته ، فظهرت الألفاظ الدينية في شعره بوضوح .

ووردت في شعر القبائل اليمانية ألوان من المحسنات اللفظية والمعنوية كالجناس والتصدير والطباق والتقسيم والمُبالغة والاحتراس والتفسير . وأخذ العلماء على شعرهم قليلاً من المآخذ اللغوية والنحوية .

وحفل شعرالقبائل اليمانية بالصورالبيانية التي قامت على التشبيه والاستعارة والكناية ، وبالأساليب البلاغية كالاستفهام والأمر والنهي ، وتأثرت صورهم بالبيئة الشامية ، وكانت في أكثرها تقليدية تحاكي صور القدماء وتشبيهاتهم . وأجاد عدي بن الرقاع في تشبيهاته وجدد في بعض صوره فاستحسنها النقاد ، وحسده عليها الشعراء .

المصادر والمراجع





المصادر والمراجع

أ - المطبوعة : -

١ - اتجاهات الشعر في العصر الأموي : للدكتور صلاح الدين الهادي - طبع مطبعة المدني بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٨٦م .

٢ - الأخبار الطوال : لأبي حنيفة ، أحمد بن داود الدّينوري (- ٢٨٢ هـ) - تحقيق عبد المنعم عامر - طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، ١٩٦٠ م .

٣ - أخبار مجموعة في فتح الأندلس : لمؤلف مجهول - نشر مكتبة المثنى ببغداد ، طبع مطبعة ربد نير بمدينة مجريط ، ١٨٦٧ م .

٤ - الأخبار الموفقيات : للزبير بن بكار (- ٢٥٦ هـ) - تحقيق الدكتور سامي مكي العاني - طبع مطبعة العاني ببغداد ، ١٩٧٢ م .

٥ - أخبار النساء : لأبي عبد الله ، محمد بن بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (- ٧٥١ هـ) - طبع مطبعة التقدم العلمية بمصر ، ط١ ١٣١٩هـ .

٦ - أدب السياسة في العصر الأموي : للدكتور أحمد محمد الحوفي - دار القلم بيروت - لبنان ، ١٩٦٥ م .

٧ - أدب الكاتب : لأبي محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (- ٢٧٦ هـ) - تحقيق محمد الدالي - مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢ م .

٨ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لأبي عمر ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (- ٤٦٣ هـ) تحقيق علي محمد البجاوي - طبع مكتبة نهضة مصر بالقاهرة .

٩ - الأشباه والنظائر : للخالديين أبي بكر ، محمد بن هاشم (- ٣٨٠ هـ) وأبي عثمان ، سعيد بن هاشم (- ٣٩١ هـ) - تحقيق الدكتور السيد أحمد يوسف - طبع لجنة التأليف و الترجمة والنشر بالقاهرة ، ١٩٠٨ م .

١٠ - الاشتقاق : لأبي بكر ، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (- ٣٢١ هـ) - تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - نشر مكتبة المثنى ببغداد ، ط٢ ، ١٩٧٩م .

١١ - الإصابة في تمييز الصحابة : لأبي الفضل ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (- ٨٥٢ هـ) - تحقيق علي محمد البجاوي - طبع دار نهضة مصر بالقاهرة ، ١٩٧٠ - ١٩٧٢ م .

١٢ - الأعلام : لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٤ م .

١٣ - أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام : لعمر رضا كحالة - طبع المطبعة الهاشمية بدمشق ، ط٢ ، ١٩٥٩ م .

١٤ - أعيان النساء عبر العصور المختلفة : للخطيب الشيخ محمد رضا الحكيمي - مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٨٣ م .

١٥ - الأغاني : لأبي الفرج ، علي بن الحسين الأموي الأصفهاني (- ٣٥٦ هـ) - طبع دار الثقافة ببيروت .

١٦ ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : لأبي محمد ، عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ـ ٥٢١ هـ) ـ تحقيق الأستاذ مصطفى السقا ، والدكتور حامد عبد المجيد ـ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .
١٧ ـ الإكمال : للحافظ بن ماكولا (ـ ٤٧٥ هـ) ـ تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ـ نشر محمد أمين دمج ، بيروت ، ١٩٦١ م .
١٨ ـ الإكليل : لأبي محمد ، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ـ بعد ٣٣٤ هـ)
أ ـ الجزء الأول ـ تحقيق اوسكار لوفجرن ـ بريل ـ ليدن ، ١٩٥٤ م .
ب ـ الجزء الثاني ـ تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ـ (ب . ن).
جـ ـ الجزء العاشر ـ تحقيق محب الدين الخطيب ـ الدار اليمنية للنشر والتوزيع ط ١ ، ١٩٨٧م .
١٩ ـ الأمالي : لأبي علي ، إسماعيل بن القاسم بن عيذون القالي (ـ ٣٥٦هـ) ـ طبع مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٣ م .
٢٠ ـ الأمالي الشجرية : لأبي السعادات ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي ، المعروف بابن الشجري (ـ ٥٤٢ هـ) طبع حيدر آباد الدكن بالهند ، ١٣٤٩هـ .
٢١ ـ أمالي المرتضى : لأبي القاسم ، علي بن الحسين الموسوي العلوي (ـ ٤٣٦ هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٥٤ م .
٢٢ ـ الإمامة والسياسة : لأبي محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ـ ٢٧٦ هـ) ـ طبع شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط ٢ ، ١٩٥٧ م.
٢٣ ـ أمراء غسان : لثيودور نولدكه ـ ترجمة الدكتور بندلي جوزي والدكتور قسطنطين زريق ـ طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ، ١٩٣٣ م .
٢٤ ـ الأمويون والخلافة : للدكتور حسين عطوان ـ طبع دار الجيل ببيروت ، ١٩٨٦ م .
٢٥ ـ الإنباه على قبائل الرواة : لأبي عمر ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ـ ٤٦٣ هـ) ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ نشر دار الكتاب العربي ببيروت ، ١٩٨٥ م.
٢٦ ـ أنساب الأشراف : لأبي الحسن ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ـ ٢٧٩ هـ)
أ ـ الجزء الأول ـ تحقيق الدكتور محمد حميد الله ـ طبع دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩ م .
ب ـ الجزء الثاني : أبو طالب وولده ـ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ـ نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ببيروت ، ١٩٧٤م .
جـ ـ الجزء الرابع : القسم الأول ـ اعتنى بنشره شلوسنجر ـ طبع القدس ، ١٩٧١ م .
د ـ الجزء الخامس : اعتنى بنشره غويتين ـ طبع القدس ، ١٩٣٦ م .
٢٧ ـ أهل اليمن في صدر الإسلام : للدكتور نزار عبد اللطيف الحديثي ـ نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت .
٢٨ ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : لأبي محمد ، عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ـ ٧٦١ هـ) نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ طبع مطبعة السعادة بمصر ، ط ٤ ، ١٩٥٦م .

٢٩- البداية والنهاية في التاريخ : لأبي الفداء ، اسماعيل بن عمرو بن كثير (- ٧٧٤ هـ) - نشر مكتبة المعارف ببيروت ، ط٤ ، ١٩٨١م .

٣٠- بلاغات النساء : لأبي الفضل ، أحمد بن ابي طاهر (- ٢٨٠ هـ) - تصحيح وشرح أحمد الألفي - طبع مطبعة مدرسة والدة عباس الأول بالقاهرة ، ١٩٠٨ م .

٣١- البلدان : لأحمد بن ابي يعقوب بن جعفر اليعقوبي (- ٢٩٢ هـ) - نشر المطبعة الحيدرية بالنجف ، ط٣ ، ١٩٥٧ م .

٣٢- بناء القصيدة العربية : للدكتور يوسف حسين بكار - طبع دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٧٩م .

٣٣- بهجة المجالس وانس المجالس : لأبي عمر ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (- ٤٦٣ هـ) - تحقيق محمد مرسي الخولي - طبع دار الكتب العلمية ببيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢ م .

٣٤- البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب : لابن عذارى المراكشي (- بعد ٧٠٦) نشر وتحقيق ج . س كولان ، و إ . ليفي بروفنسال - طبع ا . ج . بريل - ليدن ، ١٩٤٨ م .

٣٥- البيان والتبيين : لأبي عثمان ، عمرو بن بحر الجاحظ (- ٢٥٥ هـ) - تحقيق وشرح عبد السلام هارون - نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة - طبع مطبعة المدني بمصر ، ط٥ ، ١٩٨٥ م .

٣٦- تاريخ آداب العرب : لمصطفى صادق الرافعي - طبع مطبعة الأخبار بمصر ، ١٩١١م .

٣٧- تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية : لكارلو نالينو - طبع دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٩٧٠ م .

٣٨- تاريخ آداب اللغة العربية : لجرجي زيدان - نشر دار مكتبة الحياة ببيروت .

٣٩- تاريخ الأدب العربي : لريجيس بلاشير - ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني - طبع دار الفكر بدمشق ، ط٢ ، ١٩٨٤ م .

٤٠- تاريخ الأدب العربي : للدكتور شوقي ضيف .
 ا - العصر الإسلامي - طبع دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ م .
 ب - العصر الجاهلي - طبع دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ م .

٤١- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام : لأبي عبد الله ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (- ٧٤٨ هـ) - تحقيق محمد محمود حمدان - نشر دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري بالقاهرة ، ودار الكتاب البناني ببيروت ، ١٩٨٥م .

٤٢- تاريخ ابن خلدون : لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (- ٨٠٨ هـ) - نشر مكتبة المدرسةودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ببيروت .

٤٣- تاريخ خليفة بن خياط : لخليفة بن خياط العصفري (- ٢٤٠ هـ) - تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري - نشر دار القلم دمشق - بيروت ، و مؤسسة الرسالة ببيروت - طبع مطبعة محمد هاشم الكتبي ، ط٢ ، ١٩٧٧ م .

٤٤ ـ تاريخ الرسل والملوك : لأبي جعفر ، محمد بن جرير الطبري (ـ ٣١٠هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبع دار المعارف بمصر .
٤٥ ـ تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء : لحمزة بن الحسن الأصفهاني (ـ قبل ٣٦٠هـ) نشر دار مكتبة الحياة ببيروت ، ط٣ ، ١٩٦١ م .
٤٦ ـ تاريخ اللغات السامية : ل . ا ولفنسون ـ طبع دار القلم ببيروت ، ١٩٨٠ م .
٤٧ ـ تاريخ مدينة دمشق : لأبي القاسم ، علي بن الحسن بن عساكر (ـ ٥٧١ هـ) .
أ ـ المجلدة الأولىٰ ـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ طبع المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٥١ م .
ب ـ المجلدة العاشرة ـ تحقيق محمد احمد دهمان ـ طبع المجمع العلمي العربي بدمشق .
جـ ـ تاريخ مدينة دمشق (تراجم النساء) ـ تحقيق سكينة الشهابي ، دمشق ، ١٩٨٢ م .
٤٨ ـ تاريخ الموصل : لأبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي (ـ ٣٣٤هـ) تحقيق الدكتور علي حبيبة ـ طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، ١٩٦٧ م .
٤٩ ـ تاريخ النقائض في الشعر العربي : لأحمد الشايب ـ طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٤ م .
٥٠ ـ تاريخ اليعقوبي : لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي (ـ ٢٩٢ هـ) ـ طبع دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٠ م .
٥١ ـ تُحفة المجالس ونزهة المجالس : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ـ ٩١١هـ) ـ تصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي ـ طبع مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٠٨ م .
٥٢ ـ التطور والتجديد في الشعر الأموي : للدكتور شوقي ضيف ـ طبع دار المعارف بمصر ، ط٣ ، ١٩٦٥ م .
٥٣ ـ تقريب التهذيب : لأبي الفضل ، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢ هـ) تقديم محمد عوامة ـ طبع دار البشائر الإسلامية الطباعة والنشر والتوزيع ببيروت ، ١٩٨٦ م .
٥٤ ـ التمثيل والمحاضرة : لأبي منصور ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ـ ٤٢٩ هـ) ـ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ـ طبع دار إحياء الكُتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ، ١٩٦١ م .
٥٥ ـ التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه : لأبي عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز البكري (ـ ٤٨٧ هـ) ـ طبع مبعة السعادة بمصر ، ط٣ ، ١٩٥٤ م .
٥٦ ـ التنبيه على حدوث التُصحيف : لحمزة بن الحسن الأصفهاني (ـ قبل ٣٦٠هـ) ـ تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ـ طبع مطبعة المعارف ببغداد ، ١٩٦٧م .
٥٧ ـ التنبيه والإشراف : لأبي الحسن ، علي بن الحسين المسعودي (ـ ٣٤٦هـ) ـ تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي ـ طبع دار الصاوي للطبع والنشر والتاليف بالقاهرة ، ١٩٣٨ م .

٥٨ ـ تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر : للشيخ عبد القادر بدران ـ طبع دار المسيرة ببيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩م .

٥٩ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : لأبي منصور ، عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي (ـ ٤٢٩ هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبع دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥م .

٦٠ ـ الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي : للدكتور حسين عطوان ـ طبع دار الجيل ببيروت ، ١٩٨٧ م .

٦١ ـ الجُمل في النحو : لأبي القاسم ، عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي (ـ ٣٤٠ هـ) ـ تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد ـ نشر مؤسسة الرسالة ببيروت ، ودار الأمل بالأردن ، ١٩٨٤ م .

٦٢ ـ جمهرة أنساب العرب : لأبي محمد ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ـ ٤٥٦ هـ) ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ طبع دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ م .

٦٣ ـ الحدائق الغناء في أخبار النساء : لأبي الحسن ، علي بن محمد المعافري المقالي (ـ ٦٠٥ هـ) ـ تحقيق وتقديم الدكتورة عائدة الطيبي ـ طبع الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس ، ١٩٧٨ م .

٦٤ ـ الحلّة السيراء : لأبي عبد الله ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (ـ ٦٥٨ هـ) ـ تحقيق وتعليق حسين مؤنس ـ نشر الشركة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٦٣ م .

٦٥ ـ حماسة البحتري : لأبي عبادة ، الوليد بن عبيد الطائي (ـ ٢٨٤ هـ)ضبط كمال مصطفى ـ نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ طبع المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٢٩ م .

٦٦ ـ الحماسة البصرية : لصدر الدين بن أبي الفرج البصري (ـ ٦٥٩ هـ) .

أ ـ تحقيق الدكتور عادل جمال سليمان ـ نشر وزارة الأوقاف بالقاهرة ، ١٩٧٨ م .

ب ـ نشر عالم الكتب ببيروت ، ١٩٦٤م .

٦٧ ـ الحماسة الشجرية : لأبي السعادات ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي ، المعروف بابن الشجري (ـ ٥٤٢ هـ) ـ تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي ـ نشر وزارة الثقافة بدمشق ، ١٩٧٠ م .

٦٨ ـ حماسة الظرفاء من أشعار المُحدثين والقدماء : لأبي محمد ، عبد الله بن محمد العبد لكاني (ـ ٤٣١ هـ) ـ تحقيق محمد جبار المعيبد ـ طبع دار الحرية للطباعة ببغداد ، ١٩٧١ م .

٦٩ ـ الحياة الأدبية ، عصر بني أمية : لمحمد عبد المنعم خفاجي ـ نشر مكتبة القاهرة ـ طبع دار الطباعة المحمدية بمصر .

٧٠ ـ حياة الحيوان الكبرى : لكمال الدين محمد بن موسى الدميري (ـ ٨٠٨ هـ) ـ طبع دار الفكر ببيروت .

٧١ - حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري : للدكتور يوسف خليف - طبع دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٦٨ م .

٧٢ - الحيوان : لأبي عثمان ، عمرو بن بحر الجاحظ (- ٢٥٥ هـ) - تحقيق عبد السلام محمد هارون - طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٧٣ - خاص الخاص : لأبي منصور ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (- ٤٢٩ هـ) - تقديم حسن الأمين - نشر دار مكتبة الحياة ببيروت .

٧٤ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : لعبد القادر بن عمر البغدادي (- ١٠٩٣ هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون :

أ - الجزء الأول والجزء الثالث - طبع دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٦٧ م.

ب - الجزء السابع - نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ م .

جـ - الجزء الثامن - نشر مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٨١ م .

٧٥ - الخصائص : لأبي الفتح ، عثمان بن جني (- ٣٩٢ هـ) - تحقيق محمد علي النجار - طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩٥٢ م .

٧٦ - خطط الشام : لمحمد كرد علي - نشر مكتبة النوري بدمشق - طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ببيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣ م .

٧٧ - دُرة الغواص في أوهام الخواص : لأبي محمد ، القاسم بن علي الحريري (- ٥١٦ هـ) - طبع مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ، ١٢٩٩هـ .

٧٨ - ديوان أبي تمام : حبيب بن أوس الطائي (- ٢٣١ هـ) - تحقيق محمد عبده عزام - طبع دار المعارف بمصر .

٧٩ - ديوان الأعشى الكبير : ميمون بن قيس البكري - شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين طبع موسسة الرسالة ببيروت ، ط٧ ، ١٩٨٣م .

٨٠ - ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي - تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي ، والدكتور حاتم صالح الضامن ، طبع مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٧ م .

٨١ - ديوان المعاني : لأبي هلال ، الحسن بن عبد الله العسكري (- ٣٩٥هـ) - طبع مكتبة القدسي بالقاهرة ، ١٣٥٢هـ .

٨٢ - ديوان النابغة الذبياني - جمع وشرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - نشر الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر ١٩٧٦م .

٨٣ - رحلة الشعر من الأمويةإلى العباسية : للدكتور مصطفى الشكعة - نشر عالم الكتب ببيروت ، ١٩٧٩م .

٨٤ - رسائل البلغاء : لمحمد كرد علي - طبع مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، ط٣ ، ١٩٤٦ م .

٨٥ - الرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي : للدكتور حسين عطوان - طبع دار الجيل ببيروت ، ١٩٨٨ م .

٨٦ ـ الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي : للدكتور حسين عطوان ـ طبع دار الجيل ببيروت ١٩٨٦ م .
٨٧ ـ زُبدة الحلب من تاريخ حلب : لأبي القاسم ، عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم (ـ ٦٦٠ هـ) ـ تحقيق سامي الدهان ـ طبع المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، ١٩٥١م .
٨٨ ـ زهر الآداب وثمر الألباب : لأبي إسحق ، إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ـ ٤٥٣هـ) ـ شرح الدكتور زكي مبارك ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ طبع دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ببيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢م .
٨٩ ـ سر صناعة الإعراب : لأبي الفتح ، عثمان بن جني (ـ ٣٩٢ هـ) ـ دراسة وتحقيق الدكتور حسن هنداوي ـ طبع دار القلم بدمشق ، ١٩٨٥ م .
٩٠ ـ سمط اللآلىء : لأبي عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز البكري (ـ ٤٨٧ هـ) ـ تحقيق عبد العزيز الميمني ـ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، ١٩٦٣م .
٩١ ـ سير أعلام النبلاء : لأبي عبد الله ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ـ ٧٤٨ هـ) ـ أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط ـ طبع مؤسسة الرسالة ببيروت ، ١٩٨١ م .
٩٢ ـ السيرة النبوية : لأبي محمد ، عبد الملك بن هشام (ـ ٢١٨ هـ) ـ تحقيق مصطفى السقا وزميله ـ طبع دار إحياء التراث العربي ببيروت .
٩٣ ـ شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام : لبشير يموت ـ نشر المكتبة الأهلية ببيروت ـ طبع المطبعة الوطنية ببيروت ، ١٩٣٤ م .
٩٤ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذَهب : لأبي الفلاح ، عبد الحي بن العماد الحنبلي (ـ ١٠٨٩ هـ) ـ طبع دار المسيرة ببيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩م .
٩٥ ـ شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري : ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقي ـ نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ طبع المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٢٩م .
٩٦ ـ شرح ديوان الحماسة : لأبي زكريا ، يحيى بن علي الخطيب التبريزي (ـ ٥٠٢ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ طبع مطبعة حجازي بالقاهرة ، ١٩٣٨ م .
٩٧ ـ شرح ديوان الحماسة : لأبي علي ، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ـ ٤٢١ هـ) ـ تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ـ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، ١٩٥١ م.
٩٨ ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيليّ الهمداني المصري (ـ ٧٦٩ هـ) ـ نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ لجنة مطبعة السعادة بمصر ، ط ١٤ ، ١٩٦٤ م .
٩٩ ـ شرح قطر الندى وبل الصدى : لأبي محمد ، عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ـ ٧٦١ هـ) ـ نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ طبع مطبعة السعادة بمصر ، ط١٠ ، ١٩٥٩م .

١٠٠ ـ شرح المفصل : ليعيش بن علي بن يعيش النحوي (ـ ٦٤٣ هـ) ـ طبع عالم الكتب ببيروت .

١٠١ ـ شرح نهج البلاغة : لعز الدين أبي حامد بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد (ـ ٦٥٥ هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٥٩ م .

١٠٢ ـ شعر الأخطل : غياث بن غوث التغلبي ـ نشر الأب أنطون صالحاني ـ طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ، ط٢ .

١٠٣ ـ شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري : للدكتور نوري حمودي القيسي ـ طبع عالم الكتب ، ومكتبة النهضة العربية ببيروت ، ١٩٨٦ م .

١٠٤ ـ الشعر العربي بخُراسان في العصر الأموي : للدكتور حسين عطوان ـ نشر مكتبة المحتسب بعمان ودار الجيل ببيروت ، ١٩٧٤ م .

١٠٥ ـ شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام : للنعمان عبد المتعال القاضي ـ نشر الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٦٥ م .

١٠٦ ـ شعر الكميت بن زيد الأسدي : ـ جمع وتقديم الدكتور داود سلّوم ـ نشر مكتبة الأندلس) ببغداد ـ طبع مطبعة النعمان بالنجف ، ١٩٦٩م .

١٠٧ ـ شعر النعمان بن بشير الأنصاري : ـ تحقيق وتقديم الدكتور يحيى الجبوري ـ طبع مطبعة المعارف ببغداد ، ١٩٦٨م .

١٠٨ ـ الشعر والشعراء : لأبي محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ـ ٢٧٦ هـ) ـ تحقيق الدكتور مفيد قميحة ـ طبع دار الكتب العلمية ببيروت ،ط٢ ، ١٩٨٥ م .

١٠٩ ـ الشعراء الشاميون : لخليل مردم بك ـ طبع دار صادر ببيروت .

١١٠ـ الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية : للدكتور حسين عطوان ـ نشر مكتبة المحتسب بعمان ودار الجيل ببيروت ، ١٩٧٤ م .

١١١ ـ شعراء النصرانية بعد الإسلام : للويس شيخو ـ طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣ م .

١١٢ ـ الصاحبي في فقه اللغة : لأبي الحسين ، أحمد بن فارس (ـ ٣٩٠ هـ) ـ تحقيق وتقديم مصطفى الشويمي ـ طبع ونشر مؤسسة ا . بدران للطباعة والنشر ببيروت ، ١٩٦٣ م .

١١٣ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا : لأحمد بن عبد الله القلقشندي (ـ ٨٢١ ـ هـ) ـ شرح محمد حسين شمس الدين ـ طبع دار الكتب العلمية ببيروت ، ١٩٨٧ م .

١١٤ ـ صفة جزيرة العرب : للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ـ بعد ٣٣٤هـ) ـ تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ـ نشر دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض ، ١٩٧٤ م .

١١٥ ـ الصور الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث : للدكتور نصرت عبد الرحمن ـ نشر مكتبة الأقصى بعمان ، ط٢ ، ١٩٨٢ م .

١١٦ ـ الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري : للدكتور علي البطل ـ طبع دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٠ م .
١١٧ ـ ضحى الإسلام : لأحمد أمين ـ طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ط٩ ، ١٩٧٩ م .
١١٨ ـ طبقات فحول الشعراء : لأبي عبد الله ، محمد بن سلام الجمحي (ـ ٢٣١ هـ) ـ قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ـ طبع مطبعة المدني بالقاهرة ، ١٩٧٤ م .
١١٩ ـ الطبقات الكبرى : لمحمد بن سعد بن منيع (ـ ٢٣٠ هـ) ـ طبع دار صادر ببيروت .
١٢٠ ـ العبر في خبر من غبر : لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ـ ٧٤٨ هـ) ـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ طبع دائرة المطبوعات والنشر بالكويت ، ١٩٦٠ م .
١٢١ ـ عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب : لأبي بكر ، محمد بن أبي عثمان الحازمي الهمداني (ـ ٥٨٤ هـ) ـ تحقيق عبد الله كنون ـ طبع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة ، ١٩٦٥ م .
١٢٢ ـ العرب في سوريا قبل الإسلام : لرنيه ديسو ـ ترجمة عبد الحميد الدواخلي ـ راجعه الدكتور محمد مصطفى زيادة ـ طبع لجنة التاليف والترجمةوالنشر بالقاهرة ، ١٩٥٩ م .
١٢٣ ـ العرب في الشام قبل الإسلام : لمحمد أحمد باشميل ـ طبع دار الفكر ، ١٩٧٣ م .
١٢٤ ـ العرب قبل الإسلام : لجرجي زيدان ـ مراجعة الدكتور حسين مؤنس ـ طبع دار الهلال بمصر .
١٢٥ ـ العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي : للدكتور إحسان النص ـ طبع دار الفكر بدمشق ط٢ ، ١٩٧٣ م .
١٢٦ ـ العقد الفريد : لأحمد بن محمد بن عبد ربه (ـ ٣٢٨هـ) ـ تحقيق محمد سعيد العريان ـ طبع دار الفكر بدمشق ، ١٩٤٠ م .
١٢٧ ـ علم البديع : للدكتور عبد العزيز عتيق ـ طبع دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت ، ١٩٨٥ م .
١٢٨ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : لأبي علي ، الحسن بن رشيق القيرواني (ـ ٤٥٦ هـ) ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ طبع مطبعة السعادة بمصر ، ط٣ ، ١٩٦٣ م .
١٢٩ ـ عيار الشعر : لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ـ ٣٢٢هـ) ـ شرح وتحقيق عباس عبد الستار ـ طبع دار الكتب العلمية ببيروت ، ١٩٨٢ م .
١٣٠ ـ عيون الأخبار : لأبي محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ـ ٢٧٦ هـ) ـ نشر دار الكتاب العربي ببيروت ـ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩٢٥ م .

١٣١ ـ غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة : لأبي إسحق ، برهان الدين الكتبي المعروف بالوطواط ـ طبع دار صعب ببيروت .
١٣٢ ـ الفاخر : للمفضل بن سلمة بن عاصم (ـ ٢٩١ هـ) ـ تحقيق عبد العليم الطحاوي ـ مراجعة محمد علي النجار ـ طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٦٠ م .
١٣٣ ـ فتوح البلدان : لأبي الحسن ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ـ ٢٧٩ هـ) ـ راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان ـ طبع مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٩ م .
١٣٤ ـ فتوح الشام : لمحمد بن عبد الله الأزدي (ـ ٢٣١ هـ) ـ تحقيق عبد المنعم عامر ـ طبع مؤسسة سجل العرب بالقاهرة ، ١٩٧٠ م .
١٣٥ ـ فتوح الشام : لمحمد بن عمر الواقدي (ـ ٢٠٧ هـ) ـ طبع دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ببيروت .
١٣٦ ـ فجر الإسلام : لأحمد أمين ـ نشر مكتبة النهضة المصرية ـ طبع مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة ،ط ١٠ ، ١٩٦٥م .
١٣٧ ـ فحولة الشعراء : لأبي سعيد ، عبد الملك بن قريب الأصمعي (ـ ٢١٦ هـ) ـ شرح وتحقيق ونشر محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني ـ طبع المطبعة المنيرية بالأزهر ، ١٩٥٣ م.
١٣٨ ـ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : لأبي عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز البكري (ـ ٤٨٧ هـ) ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين ـ طبع دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ببيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣م .
١٣٩ ـ الفهرست : لمحمد بن إسحق بن النديم (ـ ٣٨٥ هـ) ـ تحقيق رضا ـ تجدد ـ طبع طهران ، ١٩٧١ م .
١٤٠ ـ في الأدب الجاهلي : للدكتور طه حسين ـ طبع دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ م .
١٤١ ـ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان : لأحمد بن عبد الله القلقشندي (ـ ٨٢١ هـ) ـ تحقيق وتقديم إبراهيم الأ=بياري ـ نشر دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري بالقاهرة ، ودار الكتاب اللبناني ببيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢ م .
١٤٢ ـ الكامل في التاريخ : لأبي الحسن ، علي بن محمد بن الأثير (ـ ٦٣٠ هـ) ـ طبع دار صادر ببيروت ، ١٩٧٩ م .
١٤٣ ـ الكامل في اللغة والأدب : لأبي العباس ، محمد بن يزيد المبرد (ـ ٢٨٥هـ) ـ تحقيق وتعليق محمد احمد الدالي ـ طبع مؤ سسة الرسالة ببيروت ، ١٩٨٦م.
١٤٤ ـ الكتاب : لأبي بشير ، عمرو الملقب بسيبويه (ـ ١٨٣ هـ) ـ طبع مطبعة بولاق بمصر ، ١٣١٦ هـ .
١٤٥ ـ كتاب الأصنام : لهشام بن محمد بن السايب الكلبي (٢٠٤ هـ) ـ تحقيق الأستاذ أحمد زكي ـ نشر الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٤ م .

١٤٦ ـ كتاب الخيل : لأبي عبيدة ، معمر بن المثنى (ـ ٢٠٩ هـ) ـ تحقيق الدكتور محمد عبد القادر أحمد ـ طبع مطبعة النهضة العربية بالقاهرة ، ١٩٨٦ م .

١٤٧ ـ كتاب الصناعتين : لأبي هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ـ ٣٩٥ هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ـ طبع دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٥٢ م .

١٤٨ ـ كتاب الفتوح : لأبي محمد ، احمد بن أعثم الكوفي (ـ ٣١٤ هـ) ـ طبع حيدر أباد الدكن بالهند ، ١٩٦٨ م .

١٤٩ ـ كتاب الوحشيات : لأبي تمام ، حبيب بن اوس الطائي (ـ ٢٣١ هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي ـ طبع دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ م .

١٥٠ ـ لباب الآداب : لأسامة بن منقذ (ـ ٥٨٤ هـ) ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ طبع المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٣٥ م .

١٥١ ـ لسان العرب : لمحمد بن مكرم الأنصاري (ـ ٧١١ هـ) ـ طبع دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ببيروت ، ١٩٥٥ م .

١٥٢ ـ المؤتلف والمُختلف : لأبي القاسم ، الحسن بن بشر الآمدي (ـ ٣٧٠ هـ) ـ تحقيق عبد الستار احمد فراج ـ طبع دار إحيا ء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ، ١٩٦١ م .

١٥٣ ـ مجموعة المعاني : لمؤلف مجهول ـ طبع مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ، ١٣٠١ هـ .

١٥٤ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : لأبي القاسم ، حسين بن محمد الأصبهاني (ـ ٥٠٢ هـ) ـ نشر دار مكتبة الحياة ببيروت ، ١٩٦١ م .

١٥٥ ـ المُحبر : لأبي جعفر ، محمد بن حبيب البغدادي (ـ ٢٤٥ هـ) ـ تحقيق الدكتورة إيلزة ليختن شتيتر ـ طبع حيدر آباد الدكن بالهند ، ١٩٤٢ م .

١٥٦ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : لأبي الفتح ، عثمان بن جني (ـ ٣٩٢ هـ) ـ تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ـ طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة ، ١٣٨٦ هـ .

١٥٧ ـ المُختار من شعر بشار : للخالديين أبي بكر ، محمد بن هاشم (ـ ٣٨٠هـ) وأبي عثمان ، سعيد بن هاشم (ـ ٣٩١هـ) ـ تصحيح محمد بدر الدين العلوي ـ طبع مطبعة الاعتماد بالقاهرة ، ١٩٣٤ م .

١٥٨ ـ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر لمحمد بن مكرم الأنصاري المعروف بابن منظور (ـ ٧١١ هـ) .

أ ـ الجزء السابع ـ تحقيق أحمد راتب حموش ومحمد ناجي العمر ـ طبع دار الفكر بدمشق ، ١٩٨٤ م .

ب ـ الجزء الثامن ـ تحقيق مأمون الصاغرجي ـ طبع دار الفكر بدمشق ، ١٩٨٥ م .
١٥٩ ـ المختصر في أخبار البشر : لأبي الفداء ، عماد الدين إسماعيل (ـ ٧٣٢ هـ) ـ طبع دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت .
١٦٠ ـ المخلاة : لبهاء الدين محمد بن الحسين العاملي (ـ ١٠٣١ هـ) ـ طبع دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت ، ١٩٧٩ م .
١٦١ ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ـ ٧٣٩ هـ) ـ تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي ـ طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ، ١٩٥٤م .
١٦٢ ـ المرقصات المطربات : لنور الدين علي بن الوزير أبي عمران : (ـ٦٧٣ هـ) ـ نشر دار حمد و محيو ، ١٩٧٣ م .
١٦٣ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر : لأبي الحسن ، علي بن الحسين المسعودي (ـ ٣٤٦هـ) تصحيح شارل بلا ـ طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ، ١٩٦٥ م .
١٦٤ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ـ ٩١١هـ) ـ شرح وضبط وتصحيح محمد أحمد جاد المولى بك وزميليه ـ نشر المكتبة العصرية بصيدا ـ بيروت ، ١٩٨٦م .
١٦٥ ـ المستطرف في كل فن مستظرف : لمحمد بن أحمد الأبشيهي (ـ ٨٥٢هـ) ـ تحقيق وتقديم عبد الله أنيس الطباع ـ طبع دار القلم ببيروت ، ١٩٨١م .
١٦٦ ـ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية : للدكتور ناصر الدين الأسد ـ طبع دار المعارف بمصر ، ط٣ ، ١٩٦٢ م.
١٦٧ ـ المعارف : لأبي محمد ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ـ ٢٧٦ هـ) ـ تحقيق وتقديم الدكتور ثروت عكاشة ـ طبع دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٩٦٩ م .
١٦٨ ـ معجم الأدباء : لأبي عبد الله ، ياقوت بن عبد الله الحموي (ـ ٦٢٦ هـ) .
أ ـ الجزء العاشر ـ طبع دار المستشرق ببيروت .
ب ـ الجزء الحادي عشر ـ طبع دار إحياء التراث العربي ببيروت .
١٦٩ ـ معجم البلدان : لأبي عبد الله ، ياقوت بن عبد الله الحموي (ـ ٦٢٦هـ) ـ طبع دار إحياء التراث العربي ببيروت ، ١٩٧٩ م .
١٧٠ ـ معجم الشعراء : لأبي عبيد الله ، محمد بن عمران المرزباني (ـ ٣٨٤) ـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ـ طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، ١٩٦٠ م .
١٧١ ـ معجم الشعراء في لسان العرب : للدكتور ياسين الأيوبي ـ طبع دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٨٠ م .
١٧٢ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : لأبي عُبيد ، عبد الله بن عبد العزيز البكري (ـ ٤٨٧ هـ) تحقيق مصطفى السقا ـ طبع عالم الكتب ببيروت .

١٧٣ ـ المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم : لأبي منصور ، موهوب بن أحمد ابن محمد الجواليقي (ـ ٥٤٠ هـ) ـ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ـ طبع طهران ، ١٩٦٦ م .
١٧٤ ـ المغازي : لمحمد بن عمر الواقدي (ـ ٢٠٧ هـ) ـ تحقيق الدكتور مارسدن جونس ـ طبع عالم الكتب ببيروت .
١٧٥ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : لأبي محمد ، عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن هشام الأنصاري (ـ ٧٦١ هـ) ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ (ب . ت) .
١٧٦ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : للدكتور جواد علي ـ طبع دار العلم للملايين ببيروت ١٩٧٦ م .
١٧٧ ـ المُقتضب : لأبي العباس ، محمد بن يزيد المبرد (ـ ٢٨٥ هـ) ـ الجزء الثاني ـ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ـ طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة ، ١٣٩٩ هـ .
١٧٨ ـ مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي : للدكتور حسين عطوان ـ طبع دار المعارف بمصر .
١٧٩ ـ المنازل والديار : لأسامة بن منقذ (ـ ٥٨٤ هـ) ـ تحقيق الأستاذ مصطفى حجازي ـ طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنةإحياء التراث الإسلامي بالقاهرة ، ١٩٦٨م .
١٨٠ ـ من تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي : للدكتور طه حسين ـ طبع دار العلم للملايين ببيروت ، ط ٤ ، ١٩٨١ م .
١٨١ ـ من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني : للدكتور إبراهيم السامرائي ـ طبع مؤسسة الرسالة ببيروت ، ١٩٨٤م .
١٨٢ ـ المُنمق في أخبار قريش : لمحمد بن حبيب البغدادي (ـ ٢٤٥ هـ) ـ طبع حيدر آباد الدكن بالهند ، ١٩٦٤ م .
١٨٣ ـ الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : لأبي القاسم ، الحسن بن بشر الآمدي (٣٧٠ هـ) ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ طبع دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ م .
١٨٤ ـ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء : لأبي عبيد الله ، محمد بن عمران المرزباني (ـ ٣٨٤هـ) ـ وقف على طبعة واستخراج فهارسه محب الدين الخطيب ـ طبع المطبعة السلفية ومكتبته بالقاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٥ هـ .
١٨٥ ـ نسب قريش : لأبي عبد الله ، مصعب بن عبد الله الزبيري (ـ ٢٣٦ هـ) ـ نشر وتصحيح وتعليق إ . ليفي بروفنسال ـ طبع دار المعارف للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٥٣ م .
١٨٦ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني (ـ ١٠٤١ هـ) ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ طبع دار صادر ببيروت ، ١٩٦٨ م .

١٨٧ ـ نقائض جرير والأخطل : لأبي تمام ، حبيب بن أوس الطائي (ـ ٢٣١ هـ) ـ عني بنشره الأب أنطون صالحاني اليسوعي ـ طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ، ١٩٢٢ م .

١٨٨ ـ نقد الشعر : لقدامة بن جعفر البغدادي (ـ ٣٣٧ هـ) ـ تحقيق كمال مصطفى ـ نشر مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٦٣ م .

١٨٩ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب : لأحمد بن عبد الوهاب النويري (ـ ٧٣٣ هـ) ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ـ نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ـ طبع مطابع كوستاتسوماس وشركاه بالقاهرة ـ والجزء الحادي والعشرون ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، ١٩٧٦ م .

١٩٠ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه : للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ـ ٣٦٦ هـ) تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ـ طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ، ط٣ .

١٩١ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبي العباس ، شمس الدين أحمد محمد بن أبي بكر بن خلكان (ـ ٦٨١ هـ) ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ طبع دار الثقافة ببيروت ، ١٩٦٨ م .

١٩٢ ـ وقعة صفين : لنصر بن مُزاحم المنقري (ـ ٢١٢ هـ) ـ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ـ نشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة ـ طبع مطبعة المدني بالقاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٢ هـ .

١٩٣ ـ الوليد بن يزيد : عرض ونقد : للدكتور حسين عطوان ـ طبع دار الجيل ببيروت ١٩٨١ م .

ب ـ المخطوطة : ـ

١٩٤ ـ أنساب الأشراف : لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ـ ٢٧٩ هـ) ـ مصورة مكتبة الجامعة الأردنية عن مخطوطة استانبول .

١٩٥ ـ تاريخ مدينة دمشق : لأبي القاسم ، علي بن الحسن بن عساكر (ـ ٥٧١ هـ) مُصورة مكتبة الجامعة الأردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق .

١٩٦ ـ حركة الشعر في اليمانيين في الجاهلية الأخيرة : لداود غطاشة ـ رسالة دكتوراه مخطوطة بمكتبة الجامعة الأردنية ، ١٩٨٥ م .

١٩٧ ـ عدي بن الرقاع العاملي : حياته وشعره : لتحسين محمد الصلاح ـ رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة الجامعة الأردنية ، ١٩٨٦ م .

ج ـ الدوريات : ـ

١٩٨ ـ مجلة دراسات (العلوم الإنسانية) ـ المجلد الرابع عشر ـ العدد الرابع ـ طبع مطبعة الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٨٧ م .

ABSTRACT

This book is a study of the poetry of the levantine Yemeni tribes in the Umayyad era . It consists of four chapters .

The first chapter provides a historical background about the Pre ~ , and Post ~ Islamic Yemeni tribes in the Levant . This capter has been divided into three sections . Tje first part deals with the Yemeni tribes who lived in the Levant in the Pre - Islamic era ; whereas the second part is about the Yemeni tribes who participated in the Islamic Conquest of the Levant and settled there since then . Finally, in the third section , a comprehensive picture of all the Yemeni tribes who lived in the levant in the Umayyad era.is presented.

The second chapter investigated the language of those tribes and its influence on their poetry . I have shown that those tribes spoke classical Arabic . Nevertheless , linquists paid no attention to the language of those tribes and made no reference to their poetry because they were liable to non` Arab influences. I concluded that their poetry is as genuine as the poetry of the Mudhari tribes , but most of it was lost for several reasons .

The Third chpter deals wiht the major themes of the poetry of those tribes that include : praise, love poetry , pride , satire , elegy , description , blame , aphorisom , congrafulation , and preaching .

Finally , in the fourth chapter , I studied the structure , meaning , images and language of the poetry of those tribes .



المحتـــويـــات

الصفحـــة

الصفحـــة

الصفحة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شعر القبائل اليمانية الشاميّة في العصر الأموي

تأليف:
مفلح النمر الفايز



